عطر الماضى

نهاية العصر الملكى ...
وبداية العصر الثورى

كتاب لـ
فوزى فراج

عطر الماضى

ل : فوزى فــراج

دار الفكر الإسلامى

صورة الغلاف تصميم أ. د: **إبراهيم السكرى**

التنفيذ بريشة: **الفنانة أسماء فوزى.**

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديــــــم

كتاب شيق صادق – بارع رائع جدير بالتداول – يصور فترة تاريخية من حــياة مصر هي من أكثر العقود حماساً وإثارة وتشويقاً – فترة ما بين عهدين، الحقبة الأخيرة من النظام الملكي، والحقبة الأولي بعد قيام ثورة ١٩٥٢.

يصــور الكاتــب مصــر في تلك الفترة الزمنية في لوحات مرسومة لكنها بكلمــات مسطورة، فيرسم بالكلمات شوارع، وحدائق وميادين القاهرة ويندهش القاريء من نظافتها، وتألقها ومن مدي العناية بها، ومن الأحاسيس الجميلة التي تتركها وتخلفها تلك الأماكن في نفوس ووجدان المتنزهين والمستمتعين بها– حي اليكنية كم أحببته وعشقته وتمنيت لو أتاحت لي الظروف أن أقضي به حقبة من عمري صور صادقة عن الحياة الاجتماعية، نمط الأفراح والأتراح وتجسيد صلة الأرحــام، والــترابط الأسري – والعلاقات الاجتماعية بين العائلات والجيران وبعضــهم البعض في المناسبات المختلفة. قصة سعاد وعلي التي أحسست بمدي صــدقها، وأمانــتها، وكأنني عايشتها وتعايشت معهم عن قرب بالفعل، وكأنهم أفراد، أسرتي التي أنتمي إليها، فقد أحسست بمشاعرهم في مختلف المواقف في الغــربة، والفراق المؤقت والمواقف الإنسانية، لم يكن همهم فقط البيت، والأولاد إنما الأمة بأثرها، فالإحساس الفطري بالوطنية الجياشة الذي فيه الحرص والحب الشديد لتأدية الواجب الوطني بقداسته وحماسته.

الأحاســيس الروحانــية التي تضفي وتنير، وتلمع وتسطع في أعين وقلوب الأســر بمســتوياتها المختلفة بتلميحات خفيفة طريفة عن الاحتفالات بالمناسبات الدينية في تلك الفترة كالاحتفال بالمولد النبوي الشريف.

إصــرار الــنحاس باشا ورفضه إقامة حفلة تتويج للملك وتمسكه بنصوص الدســتور فــي ذلك الأمر ورضوخ الملك ومعه الأمراء علي الالتزام بنصوص الدستور.

كـيف تعايش سكان القاهرة مع الغارات الجوية الألمانية شبه اليومية خلال فـترة الحـرب ١٩٣٩ – ١٩٤٥ والآثار الاجتماعية التي خلفتها الحرب، حرب فلسطين (بدايتها ونهايتها).

الأحـزاب السياسـية وقوتهـا وصوتها المؤثر والمسموع، الوعي والحس السياسي والفني والأدبي لرجل الشارع البسيط – الدور الطلابي النشط والمؤثر في الحياة السياسية، وفي جميع ما يهم مجتمعهم، وكيف انتهي هذا الدور للآن

معارك القنال – حريق القاهرة الخسارة والضحايا ولماذا أصبح اليوم الذي سـبقه عيداً للشرطة – رؤساء الحكومات والوزراء، والسياسيون في تلك الحقبة نزاهتهم ممتلكاتهم ووطنيتهم.

الإنسان كمشاعر وأحاسيس، وكبنيان مهم في الدولة وترجمة ذلك لسلوك- الديمقراطـية وآمالهـا وضـياءها – الديكـتاتورية وإظلامها وبؤسها – التخبط السياسي تصفية الأحزاب إلغاء الدستور والرفض الشعبي وازدراءه لذلك.

فـي هذه الفترة الحافلة بالأحداث الغنية الثرية الشجية المتلاحقة الصائبة – كـتاب بحـق أتمنـى أن يقرأه كل فرد سيجد فيه العبر والدروس المستفادة لمن صاغوا وبنوا وشيدوا وأسسوا هذا العقد.

أ.د سميرة أحمد سالم

أستاذ بكلية العلوم بجامعة القاهرة

وعضو لجنة الثقافة العلمية

بالمجلس الأعلي للثقافة

هذه الخواطر

لـم تكتب ليقرأها من هو في عجلة من أمره، أو مـن اعتاد علي القراءة بأسلوب التصفح السريع، كما يفعل مع الصحف اليومية، فليس لمثل هؤلاء كتبتها – وإنما كتبت لعشاق مصر الفريدة، وأم الدنيا والتي علي الـرغم من أننا نعيش علي أرضها، ونستظل بسمائها فهـي وطـن يعـيش فينا، والتي كرمها الله في قرآنه الكـريم فـي أكـثر مـن سـورة فتاريخها هو تاريخ الإنسـانية، والتي تبدأ الحصة الأولي لدارسي التاريخ بجمـيع مدارس الدنيا بدراسته فعلي أرضها نشأت أول حكومـة علي ظهر الأرض، وهي مهد العلوم والفنون، والـزراعة والبـناء وتجييش الجيوش – فهي مجدو، وقـادش، وعيـن جـالوت، وهي النهضة محمد علي وإسـماعيل، وهـي التـنوير رفاعة رافع الطهطاوي، وعلي مبارك، وقاسم أمين، ومحمد عبده، والمنفلوطي، وشوقي، وحافظ – هي العشق والفداء مصطفي كامل، ومحمـد فـريد، وهـي الـثورة الكبري سعد زغلول ومصـطفي الـنحاس، سـراج الديـن، وهي المعارف الحديـثة والبناء طه حسين وإسماعيل القباني، وطلعت حـرب فـإن من لا يهتم بماضيه فإنه لا يهتم بحاضره ومستقبله.

المقدمة

هذه المقدمة جزء لا يتجزأ من الموضوع

قبلت دعوة من صديق لمشاهدة أحد الأفلام السياسية والتي صاحب الإعلان عـنها صخب إعلامي كبير، وتوقفت طويلاً أمام بعض المشاهد الأخيرة للفيلم. حيث تتعرض القاهرة لغارت جوية عنيفة من قاذفات القنابل البريطانية، وبعض أبـناء مصـر يجتمعون في منزل أحدهم، ويفهم من حوارات هؤلاء النفر بأنهم تجـردوا مـن كـل مشـاعر الولاء للوطن – حيث كانوا يتكالبون علي توزيع المناصـب الوزاريـة فـي الوزارة المزعومة والتي سوف يشكلونها علي أسنة الحـراب البريطانـية والفرنسية، وكذلك الإسرائيلية بعد دخولهم القاهرة وإسقاط الحكـم الـثوري – ولم يحدد الفيلم أسماء بعينها بالرغم ومن المفروض أنه فيلم وثائقـي – ولكن يفهم من حوارات هؤلاء المجتمعين بأنهم زعماء، وسياسي ما قبل الثورة.. الأمر الذي يجعل كل من شاهد ذلك المشهد أن يتساءل لماذا تجاهل كاتـب القصة، وكذلك كاتب السيناريو والحوار ذكر أسماء تلك الزمرة الخائنة، ومن يكونون وفي منزل من كانوا يتآمرون.

وإذا كانت الواقعة صحيحة وغير مختلقة فلماذا لم يقدم هؤلاء جميعاً للقضاء العادل ليقتص منهم علي ما تآمروا عليه بليل – أو يقدموا للقضاء العسكري جرياً علي العرف في التعامل مع رجالات العهد الرجعي كما جرت العادة علي نعتهم بذلك – ومع افتراض أن الواقعة صحيحة فيكون للنظام الثوري كل الحق في ذلك

وبضـمير مسـتريح أري أن القصـة كلها مختلقة قصد منها الإمعان في التشهير بالنظام القديم في جميع المناسبات، وبدون أي مناسبات واعترف أن هذا الهدف تحقق بالكامل، وأصبحنا أمام أجيال ثقافتها، وعلمها السياسي بتاريخ البلد – إعلامـية مصـدرها الإذاعـات المملوكة والموجهة من الدولة – سواء كانت مسموعة أو مرئية، وبشكل خاص تلك الأخيرة – وهكذا ترسب في أذهان أجيال بأكملها بأن مجتمع ما قبل ١٩٥٢ فساد في فساد.

وأقول بكل ثقة أن ذلك لم يكن أبداً في صالح مصر كما أن ترديده فيه إهانة لأعـرق شـعوب الدنيا، والقاصي والداني يعرف أن تاريخ الشعوب هو سلسلة متصـلة الحلقات، ولذلك فأنا لا ألوم جيل الشباب بل ألتمس له العذر وفي إحدي حواراتـي مـع شباب من الذين يشغلون مواقع هامة في البلد، وكان الموضوع كفاح الشعب المصري منذ مطلع القرن الماضي – وإذا بأحدهم يفاجئني بالسؤال الآتي: " ماذا تقول في موضوع الأسلحة الفاسدة في عام ١٩٤٨ ؟ ".

فنظرت إليه بعطف وإشفاق لأن موضوع السؤال تم استغلاله أسوأ استغلال مـن الجهـاز الإعلامـي الثوري علي مدي نصف قرن، وأصبح المادة والقاسم المشـترك في كل الأعمال الفنية السياسية، ولما لا فهو قميص عثمان الذي كانوا به يتاجرون، وفي نفس الوقت أقصر الطرق لسيف المعز وذهبه. ولذلك فلسوف أعرض لهذا الموضوع بشكل موجز للغاية.

– المـتهمون فـي تلك القضية تم إحالتهم للقضاء مرتين.. الأولي في ظل الـنظام القديـم، والثانية في أول العهد الثوري وحكم القضاء العادل ببرائتهم في المرتين.

ومـع ذلك لم يتوقف التركيز الإعلامي علي نعت العهد كله بالفساد كما أن البيان الأول للثورة قد سبق وركز علي نفس المعني حيث جاء به بالنص "وتسبب المرتشـون والمغرضـون في هزيمتنا في حرب فلسطين" وفهمنا جميعاً من تلك العبارة إنها إشارة للأسلحة الفاسدة – والآن وبعد مضي ما يزيد علي نصف قرن من قيام الثورة لم يحدد لنا أحد من هم " المرتشون، ومن هم المغرضون "، ومن الـذي رشاهم ؟ فهذا سؤال – وهناك سوءال ثاني ينبثق من السؤال الأول، وهو إذا كـان المرتشـون هم أسباب هزيمة ١٩٤٨ ؟ فمن هم المتسببون في هزيمتي ١٩٥٦، ١٩٦٧ ؟ ناهـيك عما حدث في سوريا عام ١٩٦١، وفي اليمن بعد ذلك وبالطـبع فهـذه النوعية من الأسئلة لا يعرفها إعلام الدولة.. وإشارة صغيرة لنتائج حرب عام ١٩٤٨ أو حرب الأسلحة الفاسدة نجدها كما يلي:

– حافظت مصر علي حدودها الدولية دون مساس بالأرض أو السيادة.

– عُهد لمصر بإدارة قطاع غزة تحت إشراف الأمم المتحدة.

أمـا مكاسب إسرائيل من حرب عام ١٩٥٦ والتي هزمت مصر فيها ثلاث دول، بـل حولـت دول عظمي إلي دول من الدرجة الثانية، ودول من الدرجة الثالثة كما كان يردد جهاز الإعلام هي:

- تأسيس ميناء إيلات علي البحر الأحمر.

- وضع قوات الطواريء الدولية علي الأرض المصرية دون الإسرائيلية – ومعني ذلك ببساطة إسقاط السيادة المصرية علي مضايق تيران، وكذلك علي الضفة الغربية لخليج العقبة – وكسر الحصار البحري الذي كان مضروباً علي إسرائيل منذ نشأتها من جهة البحر الأحمر.

- في عام ١٩٦٧[1] حاولت مصر تصحيح الوضع بدون استعداد فوقعت الكارثة، واستطاعت إسرائيل النفاذ إلي أفريقيا عن طريق البحر الأحمر.

- قامت فرنسا بمكافأة الحليف الإسرائيلي بمساعدته في إقامة مفاعل ديدمونة وهكذا أصبحت إسرائيل الدولة النووية الوحيدة في المنطقة.

كل ذلك والإصرار موجود علي إننا هزمنا ثلاثة دول والقاص والداني في علم السياسة يعلم أن العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ انتهي بسبب الضغط الأمريكي فقط وهكذا انسحبت إنجلترا، وفرنسا من بور سعيد، وإسرائيل من سيناء، وبمرور الوقت كان الإحساس بالمرارة وخيبة الأمل من ضحالة الفكر السياسي لأجيال ما بعد ١٩٥٢ يزداد، وكثيراً ما كنت أسأل نفسي أين هؤلاء من جيل الشهيد عبد الحكم الجراحي، وغيره من الشباب الذين أسقطوا دستور عام ١٩٣٠ ، وأعادوا دستور ١٩٢٣، وكذلك شباب اللجنة التنفيذية العليا للطلبة الذين نجحوا في وأد مشروع معاهدة صدقي بيفن عام ١٩٤٦ – أما جيل ١٩٥١ أبطال معركة القناة فحدث ولا حرج، وسجل أيها التاريخ بأحرف من النور أسماء عمر شاهين، عادل غانم، إبراهيم الأعسر، والمنيسي، الطفل نبيل المنصور وغيرهم كثيرين وكثيرين.

ومن المؤكد أن ما ذكرت من أسماء غريب عليك أيها القاريء العزيز ولذلك فسوف أعرفك بمن هو عبد الحكم الجراحي.

- استشهد الطالب عبد الحكم الجراحي في ١٣ نوفمبر ١٩٣٥ وكان وقتها طالباً بكلية الآداب – وكذلك الطالب عبد المجيد مرسي بزراعة فؤاد الأول[2]

---

(١) عندما طلبت مصر رفع قوات الأمم المتحدة من أراضيها في مايو ١٩٦٧– قام يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة بمحاولة لنزع فتيل الحرب بين العرب وإسرائيل حيث طلب من إسرائيل استضافتها لقوات الأمم المتحدة (البوليس الدولي) علي أراضيها– لكنها رفضت واختارت خيار الحرب علي بقاء قوات الأمم المتحدة علي أرضها.

(٢) جامعة القاهرة.

فـوق كوبري عباس عندما أطلق الرصاص عليهم بأوامر من مستر لو كاس بـك قائد البوليس الذي أصابه الطلاب بحجر في رأسه – أما سبب التظاهر فكان التصريح الذي صرح به وزير الخارجية البريطاني "صمويل هور" بأن المصـريين لا يستحقون الاستقلال التام لعدم معرفتهم الحكم النيابي، وكذلك الدسـتور واستمر طلاب الجامعات والمدارس الثانوية يحرصون علي إحياء هـذه الذكـري والتي كانت معروفة بيوم ذكري الشهداء واستمر هذا الإحياء تقليداً حتى عام ١٩٥٤– وكان الهتاف الذي يبدأ الاحتفال به..

– تحيا ذكري الشهداء

– رفعت العلم يا عبد الحكم

وحيـنما كانت تمر بخاطري تلك الأسماء الشريفة لشباب مصر الشهداء – جـاءت فكـرة تسـجيل هـذه الخواطر، فهي ليست محاولة للكتابة أو للتأريخ السياسـي، والاجتماعي لفترة زمنية معينة – فلا أزعم لنفسي الحق في الجلوس في مقعد أستاذ التاريخ أو عالم الاجتماع، فذلك أيضاً شرف لا أدعيه وربما تكون هـذه الكتابة محاولة متواضعة للدفاع عن رموز شريفة من أبناء الوطن ظلمهم الإعلام الحكومي والتاريخ المزيف.

وجمـيعهم الآن في رحاب الله بعد أن تركوا عالمنا وفي غير حاجة لكلمة إنصـاف مني أو من غيري لأني كما قلت فهم في جوار من لا يظلم عنده أحد، وأعـترف بأنـه مهما بلغت درجة الصدق في التدوين في هذه الخواطر فهي لن تسـتطيع أن تمحـو الأثر الذي أحـدثه الإعـلام الحكومي في عقول أجيال بأثرها، ومع ذلك فلا يأس من المحاولة، وقد نهجت في التسجيل بقدر المستطاع الـنهج الروائي للتخفيف من جفاف الكتابة السياسية، وفي الأحداث الهامة نهجت شـكل الـراوي محـاولاً فـي نفس الوقت تصوير الحياة الاجتماعية للطبقات المتوسطة في أفراحها، وأتراحها لكسر الملل من تتابع الأحداث السياسية الكثيرة لتلك الفترة.

وقـد تجاوزت ذلك للوصف التفصيلي لبعض الأماكن في القاهرة إما لأنها أصبحت أثراً بعد عين أو امتدت إليها يد الإهمال فشوهتها.

والفترة الزمنية التي تُسجلها هذه الخواطر هي من بدايات الأربعينيات حتى منتصـف الخمسـينيات – حيث كان الوطن يموج بتيارات سياسية كثيرة أهمها وأقواها بلا منازع تيار الوفد أو حزب الجلاليب الزرقاء كناية عن تغلغل الحزب

فـــي الأوســـاط الشـــعبية الفقيرة – يليه مباشرة تيار الإخوان المسلمين، ثم بقية الأحزاب الأخري كالسعدي، ومصر الفتاة والتيار الشيوعي، وكانت هذه الأحزاب تعبر عن نفسها بحرية تامة عدا التيار الشيوعي الذي اختار العمل السري – أما مســـرحها فكان حي اليكنية، وكذلك حي الحلمية – فالحي الأول كان سكناً للأسر الأرســـتقراطية مـــن عهد محمد علي حتى بداية القرن الفائت– حيث انتقلت تلك العائلات للحلمية ثم جاردن سيتي. وقد استمد الحي اسمه من الأسرة اليكنية التي كـــان لبعض أبناءها أدواراً بارزة في الحياة السياسية لمصر في العشرينيات من القرن الماضي، وما زال أحد شوارعها للآن يحمل أسم شارع أحمد باشا يكن – أمـــا شارع سوق السلاح[1] فكان يقسم الحي لقسمين الأول شرقي ويسمي اليكنية الجديدة، والثاني غربي ويطلق عليه اسم اليكنية القديمة.

وكانت التركيبة الاجتماعية للسكان تختلف اختلافاً كبيراً في كلا من اليكنية وشـــارع سوق السلاح، وما يتفرع عنه من حواري صغيرة تسكنها طبقات فقيرة من أصحاب الحرف الصغيرة – كالحدادة والنجارة وعمال المخابز.

كمـــا كان يتواجد بالشارع عدداً لا بأس به من المقاهي الشعبية والمحلات الـــتجارية الصغيرة – وذلك علي العكس تماماً من سكان اليكنية التي كان يقطن بهـــا بعض علماء الأزهر الشريف ووصل البعض منهم إلي عضوية هيئة كبار العلماء، وأساتذة بكليات اللغة العربية، والشريعة، أو " كلية القضاء الشرعي " – أمـــا غالبـــية السكان فكانوا من موظفي الحكومة الكتابيين بدواوينها ومصالحها المخـــتلفة ونســـبة أقـــل من التجار الذين كانوا يمارسون التجارة خارج الحي، وبداخلـــه أيضـــاً، ويشـــترك السكان جميعاً في سلوكيات اجتماعية واحدة أهمها الحـــرص علـــي تعلـــيم الأبناء من الجنسين، ووجود خادم أو خادمة لكل أسرة للمعاونـــة فـــي الأعمال المنزلية وجميع السكان بدون استثناء كانوا من أصحاب الملكـــيات الزراعية الصغيرة التي آلت إليهم عن طريق الميراث– ولذلك حرص الجمـــيع علـــي قضاء الأجازات السنوية بقراهم الأصلية، أما منازل الحي فكان جـــزءاً منه له حديقة من الداخل علي الطرز التركية أو المملوكية – حتى يكون أهل الدار في مأمن من أعين الغرباء وهم يجلسون للاسترواح، يستثني من ذلك مـــنزلاً وحيداً علي ناصية شارع الهلالية حيث كانت حديقته تحيط بالبناء – أما

(١) أخـــذ الشـــارع اسمه من محلات بيع الأسلحة وإصلاحها كالبنادق ، والمسدسات – وكان يطلق علي هذه المحلات اسم التوفاكشية

باقـــي منازل الحي فكانت بدون حدائق وتتكون من عدة طوابق – أما المحلات الـــتجارية فكان لا يتجاوز عددها ست محلات منها صالونين للحلاقة، ولا يوجد بالحى أى مقاهى.

كانت منطقة الحدائق الشهيرة بالقلعة ملتقي أطفال المنطقة كلها خصوصاً فى الأعياد – وعندما أذكر تلك الحدائق لابد أن أشير بشيء من التفصيل لحديقة الأسماك الملونة والتي كانت بكل المقاييس غناء تصدح فيها الطيور من البكور للغروب وتتوسطها بركة مياه(١) لأسماك الشعاب المرجانية الملونة والتى تنحدر إليها المياه من خلال كتل صخرية تبدو كما لو كانت شلالات طبيعية – وحولها آرائك خشبية نظيفة للراغبين في الجلوس – والبركة يشطرها جسر خشبي صغير تحيط به الأزهار من كل الألوان فكانت الحديقة متعة للناظرين، ومكان ممتاز للاسترخاء وصولاً لأعلي درجات السلام النفسي، أما مساحتها الخضراء فكانت تعلو وتهبط في تدرج بديع – ومن هنا كان لهذه الجنة مكانتها الكبيرة في نفوس الجميع، كما كانت شاهداً علي مولد حب كبير كان له دور عظيم في هذه الخواطر – واعتقد إنها كانت من إحدي محاولات الخديوي إسماعيل العملاقة في تجميل القاهرة وكذلك كانت حديقة الأزبكية٢ في شكلها القديم جزء من مسرح هذه الخواطر.

---

(١) البركة اختفت تماماً ، كما تقلصت المساحات الخضراء لأكثر من نصف المساحة.

(٢) كانت حديقة الأزبكية تشمل موقف الأتوبيس بالعتبة والجراج المتعدد الطوابق ، ومسرح الطليعة ، ومسرح الجمهورية بالإضافة لمبني السنترال والمكان المخصص لشرطة النجدة.

مدرسة الإرتقاء الأولية

وبمجرد أن أمسكت القلم، وشرعت في الكتابة سقط من عمر الزمن أكثر من نصف قرن – وعادت بي الأيام لمطلع الأربعينيات وحلقت روحي في سماء فترة عزيزة عليها حيث وجدت نفسي مرة أخري بمنزلنا بالبكنية – ما أجمل تلك الأيام فأنا الآن أجري مع أتـــــرابي من سكان الحي خلف عربية الرش من شارع لشارع، ويا لها من لحظات سعيدة مرحة حين يضغط الحوذي بقدمه اليمني علي مفتاح رش المياه من الخلف فنقابلها بوجوهنا وأيدينا مستغرقين في ضحكات من الأعماق، وتتناثر المياه الممزوجة بالطين مع وقع أقدامنا الصغيرة علي الوجوه والملابس والتي كنا نسرع باستبدالها عند عودتنا للمنزل مع الليل قبل عودة والدي غير عابيء بصراخ أمي ووعيدها بإبلاغه بذلك – هذا التهديد والوعيد الذي لم تنفذه مرة واحدة في حياتها شأنها شأن أمهات ذلك الزمان. فكان العدو خلف عربات رش المياه والتي كانت تقوم بهذا الواجب مرتين في اليوم صباحاً ومساءاً بعد كنسها، من المتع اليومية لي ولأقراني – أما ركوب عربات الحنطور من الخلف، فكنت أنفر منها بفطرتي ولم أسمح لنفسي مشاركة أقراني فيها حيث كانت نفسي تأبي التدني في اللعب، والمرح، ومع ذلك كنت أتابع أصدقائي وهم يجلسون علي ما يُسمي الدنجل الخلفي للعربة في استمتاع كبير، لا ينغصه شيء سوي سماع أحد المارة يصرخ ليجذب نظر الحوذي بالنداء التقليدي " كرباج ورا يا أسطي " وعلي الفور تكون هناك استجابة لهذا التحذير من جانب الحوذي بشكل تقليدي، ويضرب بكرباجه الطويل هؤلاء المتطفلين علي حنطوره من أعلي ومن الأجناب، مما يجبرهم علي ترك الحنطور والجري بعيداً.. كل ذلك يتم وهو يقود العربة ونظره للأمام، كنت أمتلك مع شقيقي الذي يكبرني بعامين ونصف عوامة خشبية وهي عبارة عن ذراع طويل من الخشب علي شكل صليب أو ما يطلق عليه " الجادون " وينتهي بعجلة من رومان البلي وفي نفس الوقت يرتبط بجسم العوامة بمفصلات من الحديد حتى يمكن التوجيه يميناً ويساراً بواسطتها أما جسم العوامة الخشبي نفسه فمحمول علي أربع عجلات من نفس الرومان بلي – وكنا نجلس عليها سوياً يتولي هو القيادة، وأنا أقوم بالدفع من الخلف، فإذا ما انزلقت علي الأرض بفعل الدفع، والعجل الرومان أسرعت وجلست وكلما توقفت يبدأ الدفع والركوب مرة أخري وهكذا..

هذه العوامة منحتني نوع من الامتياز علي أقراني الذين كثيراً ما كانوا يتوددون إلينا لركوبها أو لمجرد السماح لهم بدفعها من الخلف – هكذا كانت أيامي جميلة وحياتي سعيدة لم يعكر صفوها شيء حتى ذلك اليوم الذي تعرضت فيه لاختبار من والدي في مدي تحصيلي في حفظ آيات القرآن الكريم – وكانت المفاجأة أن مستوي تحصيلي لم يتجاوز فاتحة الكتاب، والصمدية – الأمر الذي جعل غضبه عليّ، وعلي مدرسة ولي العهد الملكية التي كنت مقيداً بها بلا حدود. وكانت هذه المدرسة محببة لنفسي لأسباب كثيرة منها قربها الشديد للمنزل، بالإضافة إلي أن كل أقراني كانوا زملاء دراسة بها – وفي هذا اليوم قرر والدي يرحمه الله نقلي لمدرسة الارتقاء الأولية الخاصة وهذا هو أسمها الرسمي – أما الاسم المتعارف عليه هو كتاب الشيخ صالح المخصص لحفظ القرآن الكريم، والذي يقع في شارع التبانة البعيد عن منزلنا وعبثاً ذهبت توسلاتي أدراج الرياح للبقاء بمدرسة ولى العهد الملكية أو المدرسة التى تجاورها وأسمها مدرسة أم المصريين – فقد كان يرحمه الله ممن لا يتراجعون فى قرار اتخذوه أبداً مهما كانت نتائجه، فما بالك والأمر يتعلق بالإهمال في حفظ القرآن الكريم، وهكذا تركت مدرسة ولي العهد الملكية المحببة لى وانتقلت لمدرسة الإرتقاء الأولية الخاصة – أو كتاب الشيخ صالح ولكي تكون الصورة قريبة سوف أعقد مقارنة بين المدرستين في الصفحات التالية:

مدرسة
ولي العهد الملكية

- عبارة عن فيلا لها حديقة صغيرة بالفناء.
- قريبة جداً من منزلنا الأمر الذي سهل لي الذهاب والعودة.
- في الفسحة للأكل أو لقضاء الحاجة، والعودة للمدرسة بكل يسر.
- المدرسة لها ناظر مستنير بكل ما تحمله الكلمة من معني.
- يتولي التدريس بها سيدات، أو آنسات مما انعكس علي أسلوب التعليم.
- نستخدم في الكتابة القلم الرصاص والكراسات.
- المدرسة تهتم بالأناشيد.. أذكر منها نشيد مصر الفريدة لي وطن.. وهي الحمي وهي السكن.
- زمـــلاء الدراســـة بنين وبنات من نفس الحي الذي أسكن فيه من بينهم إحدي جاراتي في المنزل وشقيقها.

- في مناسبات مختلفة كانت المدرسة تقيم حفلات ترفيهية، كما كانت تقوم برحلات لحديقة الحيوان لمن يرغب من التلاميذ فى الاشتراك.
- في نهاية العام كانت تعد مسرح تقدم الطالبات فيه بعض العروض الفنية بزي الفلاحة المصرية.

مدرسة الارتقاء الأولية
(كتاب الشيخ صالح)

- الكتاب للبنين فقط.
- بـناء مملوكي ضخم يتكون من دورين شديد الشبه بالمساجد القديمة وله أبـواب خشبية ضخمة يوجد علي كل من جانبيها مصطبة كبيرة وأسمه في العهد المملوكي كتاب أم السلطان.
- بعيد عن سكننا فهو في حي متواضع اجتماعياً عن اليكنية.
- الدراسة تبدأ في الثامنة صباحاً حتى الرابعة بعد الظهر.
- نستخدم لوح الإردواز في الكتابة.
- صاحب المدرسة أو ناظرها الشيخ صالح – رجل وقور له وجه مستدير أبيض ذو لحية كثه بيضاء زادت من وقاره، ويرتدي الملابس الأزهرية في أناقـة لكنه مع الأسف الشديد ترك الإدارة الفعلية للمدرسة في يد نجله الشيخ سـعودي الذي ترك زيه الأزهري وارتدي الملابس الإفرنجية وأطلق علي نفسه لقب السيد الوكيل.
- كان يثور ثورة كبيرة إذا تجرأ إنسان ما وخاطبه باسم الشيخ سعودي وما زلـت أذكـره بقامـته القصـيرة ووجهه الأبيض المكتنز ؟؟؟ وعلي رأسه الطربوش أما العصا فكانت لا تفارق يده أبداً، ويستخدمها لأبسط الأسباب.
- يعـاون الشـيخ سعودي في التدريس أو السيد الوكيل رجال من الطبقة الفقيرة جداً – يرتدون الزي الأزهري الرث – ومعظمهم كان يحترف القراءة علي المقابر أيام الخميس بسبب الفقر وقرب المدرسة من جبانة باب الوزير، ويتعاملون مع السيد الوكيل باحترام شديد.
- ومـن الأمـور التـي لفتت نظري في شخصية الشيخ سعودي أو السيد الوكـيل إصـرارة علـي أن يكون الجاكت لون والبنطلون لون آخر لحكمة يعلمها هو وحده.

- عم محمد شميس
- هـو الفـراش الوحيد للمدرسة ضخم الجثة صوته أجش يرتدي جلباب فضفاض ممتليء الوجه يضع علي رأسه طاقية تميل للخلف فتظهر جزء من الرأس – صاحب نفوذ علي الجميع بما فيهم الشيخ سعودي نفسه.
- يمـتلك محـلاً فـي مواجهة الكتاب يبيع فيه الحلوي الرخيصة لأطفال المدرسة مثل العسلية، والعسلية بالسمسم وكان يطلق عليها اسم الحرنكش – وفـي أثـناء الفسـحة يبيع سندوتشات الطعمية والسلطة الذي يعدها بنفسه بمعاونة زوجته المسنة.
- عند بداية الحصص ونهايتها يمسك في يده جرس يصلصل به وهو يعبر شارع التبانة من دكانه للمدرسة.
- أما قمة الغرابة في شخصية هذا الرجل أنه كان ينتمي للطائفة الرفاعية، ويشـاركهم فـي إحياء الليالي المتفق عليها مقدماً وذلك بالذكر وهم يرتدون الجلاليب البيضاء والعمائم السوداء وسبحان عالم الأسرار فهذه الفئة لها قدرة غريبة في السيطرة علي الأفاعي – لذلك كان عم محمد شميس يحتفظ بثعبان يضعه في نملية من السلك بدكانه – ويشاهده كل المتعاملين معه.
- المدرسـة أو الكتاب لا يعرف النشاط الترفيهي علي الإطلاق حتى حفظ الأناشيد فهي ليست ضمن مناهج الدراسة.

إن تجربتـي بمدرسـة الارتقاء أو كتاب الشيخ صالح حفرت أخاديد عميقة بنفسيتي رغم مرور فترة زمنية طويلة عليها وإن نسيت فلا أنسي ذلك اليوم الذى رجعت فيه للكتاب بعد انقطاع أسبوعاً كاملاً بسبب مرض الحمي – ولم أكن قد شفيت تماماً – فأسبوع من الراحة مع العلاجات المتواضعة المتاحة لم تكن كافية لتحقيق الشفاء المطلوب، ومع ذلك استقبلني الشيخ سعودي بتجهم شديد ثم بادرني بالسؤال قائلاً:

يا ولد: لماذا الغياب إسبوع عن المدرسة.

قلت : كنت مريض.

قال : هاتو رجليه.

وعلى الفور تطوع عدد من زملاء الفصل الذين كانوا يكبرونني سنا وجسماً وتـبدوا على سماتهم الخشونة والبلاده، قاموا في آن واحد بطرحي على الأرض وفشـلت محاولتهم في خلع حذائي بسبب ضيقه الشديد ولما رأى الشيخ سعودي ذلك قال: ومالو ثم إنهال ضرباً بالعصا على قدمي من خارج الحذاء الذي خفف كثـيراً من وقعها بالإضافة إلى إنني تعمدت الصراخ لإيهام الجميع بأن الضرب موجع ونجحت في تضليلهم في ذلك إلى حد بعيد.

ولما جاء موعد الفسحة الصغيرة جلست القرفصاء في حزن شديد إلى جوار حـائط كبـير بالفناء الداخلي للمدرسة واجهشت بالبكاء – أما سبب بكائي فكان لإحساسـي الكبـير بالهوان، وقلة حيلتي في هذا الجحيم ومن الغريب أن زملاء الفصـل الذيـن تسابقوا لطرحي على الأرض كانوا ينظرون لبكائي بلا مبالاة، وبعضـهم كان يضحك ملىء شدقيه، ومرت السنون وتلك المشاهد تزداد توهجاً فـي ذاكرتـي وفي واقع الأمر أنني كنت تلميذاً شاذاً في هذه المدرسة، فزملاء الدراسة بالكامل كانوا من مستوي اجتماعي متدني للغاية فمهن أولياء أمورهم لم تخـرج عـن عربجية الكارو – وباعة العرقسوس والأغلبية من صناع الأحذية الرخيصـة التي كانت تسمي الصنادل، وجميعهم يسكنون في حي قمة في الفقر أسمه درب شغلان، وبدون شك هو سنت انطواه[1] القاهرة وفي هذا الحي كانت توجد المحلات التي كان منظرها يدل علي بؤس أصحابها وفيها تمارس صناعة الصنادل والأحذية الرخيصة، كما كان البعض الآخر يمارس مهنة البيطار وهي تهذيب أقدام الخيل والحمير، ووضع حدوة حديدية بها، وربما يسأل سائل من أين لـي بمعرفة مهن أولياء الأمور بذلك التفصيل الذي ذكرته، إجابتي علي ذلك في منتهـي الغـرابة ففي هذه المدرسة الفريدة من نوعها والغريبة في نفس الوقت والأغـرب مـنها سلوك وكليها الشيخ سعودي اليومي معنا، وقبل نهاية الحصة الأخيرة بحوالي ربع ساعةـ كان سـيادته يجـمعنا بالفـناء الداخـلي والوحيد بالمدرسة ونحن وقوف، وظهر كل منا للحائط، والأيدي مربعة علي الصدور ثم ينادي علينا بمهن أولياء أمورنا، وليس بأسمائنا هكذا:

الشـيخ سعودي: العربجية يروحوا فينصرف علي الفور وفي صخب شديد كل من كانت مهنة والده الكارو ثم يستأنف سيادته النداء قائلاً: بتوع العرقسوس يـروحوا، ثم الشباشبية[2]، والصندلجية، وأخيراً أبناء التجار والمزارعون الذين

---

(١) أفقـر أحياء باريس ، وهو الحي الذي اندلعت منه الثورة الفرنسية بسبب بؤسه الشديد وهو قريب من سجن الباستيل الشهير والذي بدأت الثورة بتحطيمه.

(٢) مفردها شباشبي وهو صانع الشباشب الجلدية

قــذف بهم القدر السيىء لهذا الكتاب، وكان عددهم لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة وكنت أنا من هذه الفئة الأخيرة.

كنت شديد النفور من سلوك الشيخ سعودي لكن ما حيلتي فوالدي كان غير مســتعد للرجوع في قراره بإخراجي من هذا الكتاب البغيض لعدم ثقته بمدرسة ولــي العهــد الملكــية فــي موضـــوع تحفيظ القرآن الكريم، وفي محاولة منه لاسترضائي، وتشجيعي علي الذهاب للمدرسة فقد فتح لي حساب جاري عند عم محمــد شــميس فراش المدرسة علاوة علي مصروفي اليومي الذي كان نصف قرش وكنت أسحب من هذا الحساب، ما أشاء دون أي اعتراض متمثلاً ذلك في أنــواع العســلية أو مــا يبيعه من ملبسات رخيصة، ومع ذلك فقد كان الضغط العصــبي والنفســي بلا حدود لرفضي مناخ الكتاب بالكامل، وكان والدي يتابع باستمرار تقدمي في حفظ آيات القرآن الكريم مع ثناءه الشديد علي الشيخ صالح صــاحب الكــتاب وولــده الشيخ سعودي ولا ينسي أن يلعن مدرسة ولي العهد وإدارتها الرخوة.

بــدون توجيه كنت أتحاشي تماماً الاندماج مع زملائي بسبب سلوكهم الذي تغلب عليه الغلظة والخشونة بالإضافة لملابسهم الرثة - حيث كانوا يحضرون للكــتاب بالجلــباب، وبعضــهم يضع في قدميه قبقاب خشبي، والأكثرية بدون، والبعض الآخر لم تكن المياه تعرف طريقها لوجهه منذ أيام - وفي موعد الفسحة الكبيرة كان منهم من يقاسمني غــذائي الذى أحضرته معي من بيتنا في الصباح، وكنــت أدفع هذه الفردة[1] دون أدنى اعتراض نظير بسيط حماية هذا الزميل لي مــن عدوان الآخرين لذلك لم يكن أمامي من سبيل سوي التوسل لله العلى القدير كــل صــباح بمــا أحفظ من آيات الذكر الحكيم أن ينقذني من هذا العذاب، بأن يخســف بالشيخ سعودي وبكتابه الأرض - فكنت أقرأ القرآن، وأنهمك في ذلك لكننـــي لا أستطيع أن أعبر عن حجم الحسرة والإحباط الذين أشعر بهما عنــد اقترابي من الشارع الذي يقع فيه الكتاب، حيث يلوح لي من بعيد بجدرانه العالية والشيخ سعودي يقف بقامته القصيرة، وبيده العصا للتعامل مع المتأخرين.

كان يوم الخميس من كل أسبوع هو يوم الخلاص الذي انتظره بفارغ الصبر - فالدراســة في هذا اليوم كانت تنتهي قبل صلاة الظهر أو مع آذانها بالإضافه إلي إنها كانت قاصرة من بداية اليوم علي ترديد أهزوجة دينية جميلة عن نسب

---

(١) ضريبة أو رشوة.

النبـــي صلي الله عليه وسلم، وما أن ننتهي من إنشادها حتى نتبعها بأخري عن أســماء أولاده صلوات الله عليه وسلامه - حتى إذا انتهينا نقوم بإعادة ترديدها حتى نهايه اليوم - ومن حبي واعتزازي بها - مازلت أذكرها للآن وهي " سيدنا محمــد صلي الله عليه وسلم بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بـــن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن النضر بن لؤي ابن غالب ابن فهر بن مـــالك بن النضر بن كنانة بن حزيمة بن مدركة بن الياس بن مصر بن نذار بن معـــد بـــن عدنـــان، ثم نتبع ونقول أولاد النبي صلي الله عليه سلم: ثلاث ذكور وأربعـــة إناث... الذكور عبد الله، القاسم، إبراهيم - والاناث... فاطمة وزينب، ورقية، وأم كلثوم.. وكلهم من السيدة خديجة إلا إبراهيم من ماريا القبطية ".

ثـــم نعود لتكرار النسب الشريف مرات، ومرات كما سبق أن ذكرت حتى نهاية اليوم المدرسي الذي كان ينتهى علي النحو السابق ذكره.

كنـــت أتناول غذائي مع باقي إخوتى، وقلبي يتلهف شوقاً والسعادة تغمرني فـــبعد قليل سوف ألتقي بأصدقائي القدامي زملاء مدرسة ولي العهد، وكنا نستمر فـــي اللعـــب إلي ما بعد العشاء ــ كنا نلعب ألعاباً كثيرة أقربها لنفسي "المرسال جـــالكم" وهيه اللعبة الوحيدة المسموح فيها باختلاط الجنسين، فهي مشهد تمثيلي لمجموعتين - مجموعة (أ)، وأخري (ب) كنا نؤديها والأيادي متشابكة من عند الأكتاف ونحن نقف في صفين متقابلين كما يظهر من الرسم

شكل (١)

مجموعة (أ) x x x x x x x x x

مجموعة (ب) x x x x x x x x x

▪ يـــبدأ اللعب بتقدم إحدي المجموعتين نحو الأخري ولتكن مثلاً المجموعة (ب) فـــي حـــركة رشـــيقة وإيقـــاع محسوب حتى تقف أمامها بمسافة قليلة والمجموعـــة تردد معاً عبارة " المرسال جالكم بريلا بريلا بريليلا " ثم تعود نفـــس المجموعة بنفس الخطوات لتقف مكانها الأصلي والذي بدأت التحـــرك منه.

شكل (٢)

مجموعة (أ) x x x x x x x x x

مجموعة (ب) x x x x x x x x x

▪ تتحرك المجموعة (أ) نحو المجموعة (ب) بنفس الشكل الذي سبق شرحه حتى تقف أمامها وهو يتساءلون " عايزين مين بريلا بريلا بريليلا " ثم تعود المجموعة للمكان الذي بدأت منه التحرك.

▪ تُجيب المجموعة (ب) علي هذا التساؤل قائلين مثلاً: " عايزين ميمي بريلا بريلا بريليلا " مع الارتداد للخلف، والحفاظ علي الإيقاع.

▪ تقــوم المجموعــة (أ) بالتســاؤل عن نوع الهدية التي سوف تقدم للآنسة المطلوبة مع التحرك ذهاباً وإياباً وعودة للمكان الأصلي.

▪ يكون الرد من المجموعة الخاطبة (ب) بأن الهدية سوف تكون ساعة مثلا.

▪ تعتذر المجموعة (أ) لقبول العرض نظراً لتواضع الهدية.

▪ تقوم المجموعة (ب) الخاطبة بتصحيح الوضع والاعتذار وهي تتحرك كما سبق البيان مرددة " كل الدنيا لها – بريلا بريلا بريليلا".

▪ علــي الفور تستجيب مجموعة الآنسة المطلوبة وتتقدم بالخطوات الرشيقة حــتى تقف أمام المجموعة الخاطبة وهي تدفع بها لتنضم إليها وهم يرددون " أتفضــلوا خدوهــا – بريلا بريلا بريليلا " وعلي الفور تنتقل الآنسة / ميمي للمجموعة (أ) الخاطبة..

كــنا نســتمر فــي اللعب، وأنا مندمج اندماج كامل فيه بشكل أنسي فيه كل مشــاكلي مــع الشــيخ سعودي وكُتابه، حتى تحضر خادمات المنازل لمصاحبة الآنسات المشاركات في اللهو لمنازلهن ونحن نودعهن بنظرات حانية – أما نحن الصــبية فكان يستمر تواجدنا مع بعضنا في أشكال أخري من المرح إلي ما بعد العشــاء – وعند عودتنا يكون الدخول للحمام إجباري وبعد تناول العشاء يتحلق كــل أفــراد الأســرة حول نار المجمرة، للتدفئة وشي أبو فروة أو مص عيدان القصب التي كان يبعث بها الوالد باللبشة[1].

يستمر السمر حتى يداعب النوم جفوننا فيتسلل كل منا لمخدعه في هدوء.

يــوم الجمعــة هو أفضل الأيام عند الله – لكن عند الذين كانوا في مرحلتي العمــرية يأتــي ترتيبه بعد يوم الخميس الذي بانقضائه تنتهي أجمل بل ساعات الأسبوع، وحينما تميل شمس يوم الجمعة للغروب إيذاناً بحلول الليل يكون حزني واكتئابــي بــلا حــدود فما هي إلا سويعات الليل، ويتجدد اللقاء بالشيخ سعودي وقســوته غير المبررة ناهيك عن أسوأ زمالة عرفتها في حياتي – وكنت أعزي

(١) حوالي ٢٠ عود من القصب مشدودين بعضها البعض.

نفســي عــن كل ذلك بأنني كلما التقيت بأي من زملائي القدامي أبادره بالسؤال الآتي:

قائلاً: وصلتم لأي سورة في القرآن الكريم ؟

كنت أوجه السؤال وأنا أعرف مقدماً الإجابة قبل أن ينطق بها صديقي حيث يقول "وصلنا لسورة تبت يدا "

فيتملكنــي الغرور وأقول ياه بس كده – إحنا وصلنا للنازعات – وما كنت أقصد من ذلك إلا إقناع نفسي بالتميز لإحساسي العميق بأنني فقدت الشيء الكثير عندما تركت مدرستي الأولي.

أمضــيت بمدرســة الارتقاء سنة كاملة – وليست سنة دراسية – فمدرسة الارتقــاء لا تعــرف الأجــازة الصــيفية لأن في منحها ضياع للمورد الرئيسي للمدرسة المتمثل في الخمسة قروش التي كان يدفعها الطــالب شهرياً – وللأمانة لــم تكن هذه الفترة بالنسبة لي كلها شر حيث تعلمت في هذا الكتاب ما لم أتعلمه في أي مكان آخر – فعندما تركته كنت أحفظ من المصحف الشريف " جزء عم " بالكــامل أما حروف الهجاء ومباديء الحساب فقد كان تحصيلي منهما متواضعاً للغايــة بالــرغم من المجهود الكبير الذي كان يبذله معنا الشيخ سعودي فقد كان يكتب علي الصورة حرف (أ) ثم ينطقه لنا ونحن نردد وراءه أ، أ، أ ثم يطلب منا كتابــته في اللوح الإردواز الخاص بكل منا، ويراجع الكتابة بنفسه حتى يطمئن علي تعرفنا علي الحرف الهجائي ثم ينادي علينا هكذا قائلاً:

الشيخ سعودي: إفتح مخك

علــي الفور يضع كلاً منا يده علي الرأس من الجانب الأيمن ونؤدي حركة الفتح بالمفتاح ثم يصيح فينا قائلاً:

" خلاص فتحت مخك ؟ ونقول في نفس واحد " نعم " فيقول أدخل حرف (أ) ثــم أغلــق علــيه بالمفتاح – فنؤدي جميعاً الحركة وننتقل لحرف آخر وهكذا، وعندما يمتليء اللوح بالكتابة نقوم بمسحه لإعادة الكتابة عليه مرة أخري. ونفس الشيء بالنسبة لتعلم الأرقام، لكن التركيز الرئيسيء كان علي حفظ سور القرآن الكريم.. والذي كنا نحفظه بشكل جماعي – انتقلت بعد ذلك لمدرسة أولية أميرية هــي مدرسة طرباي الشريف[1] ومنها عرفت طريقي للتعليم الإبتدائي، والثانوي ثم الجامعي.

---

(١) تسمى الآن مدرسة صلاح الدين..

اليكنية

الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله – حي علي الصلاة حي علي الفلاح – قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله الصلاة خير من النوم..

الصلاة خير من النوم..

كـــان ذلـــك صوت المؤذن بنداء الحق يمزق سكون الليل من مسجد برمق باليكنـــية معلناً بزوغ فجر يوم جديد، وداعياً لناس لصلاة الفجر، هذا وقد اختلط الـــنغم المقدس بأصوات الطيور من عشرات العشش والتي تعلوا أسطح المنازل، مؤكـــدة أن الـــبكور قـــد هـــل ومؤديـــة واجبها هي الأخري في تذكير الغافلين بالاستيقاظ للصلاة لفجر يوم جديد، هذا وقد بدأت الحياة تدب في شوارع اليكنية فعمـــال المخابز البسطاء يحملون أقفاص الخبز مسرعي الخطي لمحلات البقالة داخـــل، وخـــارج الحي – والبعض الآخر يتجه للمنازل مباشرة لتوزيع الرواتب اليومـــية– مقاهي شارع سوق السلاح المجاور بدأت في فتح أبوابها إن كانت قد أغلقـــتها لســـاعات قليلة – زكية بائعة اللبن بصوتها الذي لا يخطئه سكان الحي تـــنادي لبن يا قشطة – ثم تكرر النداء مُسرعة الخطي من منزل لآخر بجسدها الضـــخم الـــذي يهتز مع حركتها السريعة وهي مُمسكة قسط اللبن بيد والمكيال بالأخـــري، بجلبابها الأسود الفضفاض، وعقدها الكهرماني ذي الحبات الصفراء الضـــخمة علي صدرها – أما شعرها الكستنائي فيعرف من خصلة وحيدة تتدلي أســـفل منديل رأسها – أما شارع حمام بشتك الذي يقسم اليكنية لقسمين جنوبي، وشـــمالي فطلـــوع الفجر به له مذاق خاص حيث تزدحم به عربات بائعي الفول المدمـــس، والعين تكاد تميز ما تراه بصعوبة في ضباب الفجرية، إلا أن الإنسان يستشـــعر الحركات النشيطة لهؤلاء البسطاء الذين بدأوا يومهم بالجهاد بحثاً عن لقمة العيش الحلال – فهناك اثنان من عمال المستوقد يتعاونان في رفع قدر كبير من النحاس، وهو في درجة الغليان لوضعه علي عربة يد داخل أكوام قش الأرز الحـــافظ لحـــرارته، وآخـــر يجهز الكِبش المستخدمة في البيع بغسلها ووضعها بجـــردل معدنـــي نظيف معلق بعريش العربة وثالث انتهي من كل ذلك ويستعد لمغادرة المكان مردداً في نفس الوقت اصطبحنا وصبح الملك لله – يا فتاح ياعليم يـــا رزاق يـــا كـــريم، وهو يدفع عربته بكلتا يديه نسمات الفجر، مع نداء البائع

وأصوات الطيور، ورائحة الفول الساخن المتصاعدة في الجو، والمحركة للشهية – كـل ذلـك يعطي طعم، ومذاق خاص للصباح في هذا المكان الحاجة أم علي زوجـة الحـاج عبد الله أشهر بقالي الحي انتهت من العجين ــ وتركته للخمير، وصـعدت للـدور الثانـي من المنزل حيث سكن الأسرة، وقد استأنفت نشاطها اليومـي المعتاد بإشعال موقد الغاز لتسخين المياه للزوج والأولاد وبدون شك كل من عاصر قاهرة الأربعينيات يعلم تأثير صوت وابور الجاز في الصباح الباكر معلـناً هو الآخر بما يشيعه في المنزل من طمأنينة عن إنبلاج الصباح بعد ليل طويـل – وبالترتيب يكون الحاج عبد الله أول المستيقظين علي صوت الزوجة الوفية، ورفيقة الرحلة الطويلة.

أم علي : صباح الخير يا حج.

الحـاج عـبد الله : صباح الخير يام علي، ويستطرد أنا صاحي من بدري ومـرردداً لا حـول ولا قـوة إلا بالله وبعد أن ينتهي من صلاته تكون القهوة قد أُعدت علي وابور السبرتو وجلس الزوجان يحتسيانها في هدوء وصفاء.

الحـاج عبد الله : خليتك بعافية يا أم علي أنا نازل أشوف الولد علام فتح المحل ولا لسه أفتح أنا.

أم علي : يعني موش حتغير ريقك.

الـزوج : مـا أنتي عارفة المولي عز وجل بيفرق الأرزاق قبل طلـوع الشـمس أطمأن علي فتح المحل الأول، وبعدين أرجع علشان أفطر معاكي.

خـرج الرجل للشارع، وهو مندمج تماماً في تسابيحه بقامته الطويلة ووجه بسمرته الخفيفة المميزة لأبناء الصعيد، مرتدياً الجلباب وبالطو من النوع الكاكي وطربوشـه علي الرأس وكان الرجل يُدير محله بنفسه بمساعدة أحد الشباب من بلدياته يُدعي علام.

واعتـباراً من الساعة السادسة صباحاً يبدأ الأولاد في الاستيقاظ الأول هو الابن الأكبر علي الطالب بهندسة فؤاد الأول[١] – أو بالمهندسخانة كما كان يقول والـده، والثانـي محمـد الطالـب بالخديوية الثانوية وموسي التلميذ بالمحمدية الإبتدائـية، وهـند الطالـبة بالفـنون الطـرزية، أما نجية فهي الأبنة الكبري،

(١) جامعة القاهرة الآن.

والمخطوبة لأبن عمها عبد السلام البائع في محل مني فاتورة (قماش) بحي السيدة زينب وقد انقطعت عن الدراسة وهي في التعليم الراقي[1] لمساعدة والدتها في أعمال المنزل وتعلم إدارته إستعداداً للزفاف لعبد السلام.

وعلي مائدة الإفطار كان هذا الحديث بين الشقيقين علي ومحمد.

محمد : إيه اللي أنا سامعه ده يأبو علوة.

علي : سامع إيه -.خير إن شاء الله.

محمد : سامع إيه يعني إيه ده قيامة وقايمة في البلد - إنت ما سمعتش عن المظاهرات اللي بتقول إحنا في إنتظارك يا روميل.

علي : يا سيدي ما هياش حاجة مزعجة يعني موش مظاهرات كبيرة من اللي يشترك فيها طلاب الجامعة، والمدارس وكذلك العمال إنما هي شيء محدود جداً يعني شوية من بتوع مصر الفتاة، والباقي فوضويين الذين ليس لهم انتماء حزبي - وزي كل المثقفين ما هم عارفين هذا الحزب توجاهاته فاشية

محمد : فاشية يعني إيه ؟

علي : سبحان الله هي دي عايزة سؤال ما أنت لسة بتقول أهو إنهم بيهتفوا " إحنا في إنتظارك يا روميل ".. ثم استطرد علي قائلاً: " روميل ده حييجي يعمل إيه - يعني مُستعمر جديد ألماني بدلاً من المستعمر القديم الإنجليزي - وممكن يكون أيضاً هتاف هؤلاء إحنا في إنتظارك يا موسوليني " ثم أضاف: " يا محمد التوجهات للأحزاب المحركة للأشكال ـي واضحة زي الشمس - يعني الناس ديه لو كانت بتفكر ك'نوا يهتفوا للديكاتورية ".

وحينما أقول ديكتاتورية لا أقصد الهتلرية فقط إنما أقصد دول المحور الثلاثة ألمانيا - إيطاليا الفاشية - واليابان ثم قال: " ما إحنا كل يوم بنسمع ونقرأ عن ما عملته ألمانيا النازية في الدول التي استسلمت لها، ونفس الشيء عملته كلاً من إيطاليا واليابان - عملوا مذابح تقشعر لها الأبدان علاوة

(٢) الذي يعد المدرسين للتعليم الأولي.

علـــي تصـــنيف هـــتلر للشعوب كأجناس أرقاها الألمان – وشـــوف بقي ترتيبنا عندهم حيكون فين – فهذا الهتلر بيحكم بلده بالحديد والنار – إحنا مشكلتنا مع الإنجليز إنما استبدال مستعمر بآخر منطق إيه ده ؟ وأي عاقل ينادي بذلك ؟

محمد : فعلاً ما فيش فرق بينهم ربنا يخرب بيت الأثنين.

علي : يـــا رب يبتلـــيهم بمصيبة معاً ثم أضاف إحنا النهاردة فيه معاهدة بيننا وبين الإنجليز ــ وتنفيذاً لبنودها إحنا مضطرين للمســـاعدة، وإن شـــاء الله بعـــد الحـــرب وإنتصـــار الدول الديمقراطـــية ســـيتم الجلاء الفوري عن المدن المصرية ثم اســـتطرد قـــائلاً أول أمس كنت في زيارة زميل لي – والده ضابط سابق بالجيش وشرح لنا والد صديقي هذا خطط ونية الألمـــان يعني شيء بشع، واستعمار أشد وأفظع من استعمار الإنجليز.

محمد : إزاي.

علي : أقولك إزاي – شرح لنا أن الخطة الموضوعة بمعرفة رئاسة الأركان المشتركة (الألمانية والإيطالية) هي٠٠ وهنا قاطعه محمـــد علـــي الفـــور متســـائلاً: يعنـــي إيه رئاسة الأركان المشتركة؟

علـــي : أنا سمعتها كده، وأنا طالب بكلية الهندسة يعني موش ضابط يا سيدي ماشيها علي أساس القيادة العسكرية في البلدين.

محمد : ماشي أتفضل كمل.

علـــي : الخطـــة موضـــوعة بأن تتقدم أحد الجيوش المحورية جنوباً لصـــعيد مصـــر، ومنها للسودان والحبشة لاسترداد إريتريا والصومال مع استمرار الزحف لجنوب أفريقيا لتحريرها من البريطانييـــن – وإنشـــاء قواعد للغواصات في موانئها – ثم الســـيطرة علـــي طـــريق رأس الرجاء الصالح ومنه متابعة الهجـــوم إلي الهند، ثم أستراليا وقبل هذا وذلك يتم السيطرة علي طريق قناة السويس وإغلاقه في وجه الملاحة البريطانية وأخطـــر مـــا فـــي الموضوع هو ولا قدر الله أن تقوم باقي

جيوش المحور بالقضاء علي المقاومة البريطانية في الدلتا مع تقديــرهم لصــعوبة هذه المهمة حيث أن الهجوم المحوري حســب تخطــيطهم سيكون أثناء فيضان النيل وبالطبع فإن الخطط العسكرية البريطانية المضادة تضع في حساباتها بأنها ســوف تســتفيد مــن تعــدد شــبكات الري في الدلتا وذلك باســتخدامها كموانع في إيقاف الهجوم النازي وتدميره، ومع ذلك فإن القيادات العسكرية النازية كانت علي ثقة كبيرة من قــدرة قواتها علي تنفيذ تلك المهام واستطرد علي في حديثه وهو يضيف وإذا قدر لهم لا سمح الله النجاح ستكون وجهتهم بعد ذلك هو عبور قناة السويس لسيناء ومنها لفلسطين، علي أمل أن يقوم العرب بثورتهم العربية الثانية[1] وفي هذه المرة ضــد فرنســا وبريطانــيا ثم يتوالي بعد ذلك سقوط سوريا، ولبــنان، والعراق، ويستمر الزحف لقوات المحور حتى يتم تحقيق الهدف النهائي وهو قطع الإمدادات لروسيا عن طريق إيــران بعــد الســيطرة علي طريق المواصلات من الخليج الفارســي[2] حــتى القوقاز ومع استمرار الضغط يتم إجبار تركيا للانضمام للمحور ضد الحلفاء حيث يتم قطع الإمدادات النهائــية عــن القــوات الروســية المجهدة في القوقاز، ثم محاصرتها من الجنوب الشرقي والغرب ثم تدميرها.

محمــد : مــوش معقول إللي أنا سمعته ده منك يا علي ده فعلاً شيء فظيع وبشع.

علي : جداً جداً وللغاية، ومتهيأ لي كفاية كده سياسة النهاردة علشان ألحق محاضراتي فالمحاضرة الأولي الساعة التاسعة.

محمــد : أيــوه يــا سيدي عقبالنا لما نبقي من أصحاب المحاضرات، ونخلص من ضرب الجرس الساعة الثامنة.

علي : بسيطة كلها فركت كعب وتدخل الجامعة إن شاء الله.

---

(١) الثورة العربية الأولي كانت ضد الدولة العثمانية أثناء الحرب العظمي (١٩١٤ – ١٩١٨)
(٢) يطلق علي الخليج الآن اسم الخليج العربي.

النبضات

اعتاد الشاب علي عبد الله أن يقطع المسافة من منزله باليكنية للسيدة زينب حيث محطة أتوبيس السنتي كروفت سيراً علي قدميه مروراً بشارع علي باشا إبراهيم بالحلمية، وذلك لسببين أولهما الاستمتاع برياضة المشي والآخر وهو السبب الحقيقي إن خط سيره هذا هو نفس خط سير الآنسة سعاد الطالبة بالسنية الثانوية، وهي أيضاً من سكان اليكنية حيث يتابعها بخطواته ونظراته حتى موقف الأتوبيس ومن هنا كان حرصه الدائم علي أناقته ببدلته ذات الصفين، والتي تظهر طوله الفارع، وفي يده حقيبته التي يظهر منها حرف T الخشبي معلناً للكافة عن دراسته بكلية الهندسة أما سمرة وجهه فكانت تضفي علي مظهره الوقور، جلال، واحترام. ولم تكن سعاد تسير بمفردها حيث تلازمها إما شقيقتها الصغرى آمال التلميذة بالمحمدية الإبتدائية بنات، وأحياناً أخري زميلتها علية عبد الستار المقيمة بشارع علي باشا إبراهيم، وكثيراً ما تلاقت العيون لكل من علي، وسعاد وهم يتبادلون نظرات الإعجاب في صمت، فسعاد غادة حسناء ذات ستة عشر ربيعاً شديدة البياض يميل وجهها للحمرة مدللاً علي أصولها الشركسية، والتي كانت تزداد إلي حد التوهج مع نظرات الإعجاب من الطالب علي عبد الله، لم تكن سعاد بدينة – كما لم تكن نحيلة، وكان الزي المدرسي الأزرق يزيد من فتنتها – ومع مرو الوقت تحول الإعجاب الصامت إلي ابتسامات، ثم تبادل سريع للتحية، وكانت هي الأبنة الكبري لعطية أفندي سلمان الموظف بوزارة الأوقاف، والذي يمتلك سكناً يتكون من طابق واحد تسكنه الأسرة وله فناء كبير به حجرتان تتوسطهما صالة كبيرة ولها دورة مياه مستقلة عن الدور العلوي وهما مخصصتان لإستقبال الزوار من أهل قريتهم عند تواجدهم بالقاهرة – أما الدور العلوي حيث سكن الأسرة به ثلاث حجرات للنوم والرابعة صالون به بيانو لسعاد، وشقيقتها وتتوسط الحجرات صالة كبيرة بها ترابيزة أو مائدة الطعام، ودولاب للفضيات، وكنبتان من النوع المسمي الإسلامبولي.

والشـكل العـام للأسـرة كريم – كان والد سعاد يحظي باحترام كبير بين جـيرانه، وبنفس الدرجة من الاحترام أيضاً بين زملاءه في الوزارة– ومن حيث الشكل فكان يميل للبدانة نسبياً – له وجهه الأحمر بلون طربوشه يحترم مواعيد العمـل إلي حد القداسة حيث يغادر منزله صباحاً في السابعة والنصف – ويعود

في الثانية والنصف بعد الظهر، يتبادل تحية الصباح والمساء مع كل من يصادفه من الجيران عندما يرفع يده اليمني بمذبته التي لا تفارق يده أبداً.

أمـــا الزوجة فهي السيدة زينب حسان ابنة عمه – وربة المنزل تميل للبدانة – وما زال بها مسحة من جمال غارب ليس لها أية اهتمامات سوي إدارة شئون المنزل الذي تعاونها فيه خادمتها نعمة التي أحضروها من قريتهم بالبدرشين، أما الأســـرة المقابلة وهي عائلة الحاج عبد الله فهي من أصول مصرية صميمة يلتئم شـــملها علي مائدة العشاء لأنها الوجبة الوحيدة التي يلتقي فيها كل أفرادها وكان الحاج عبد الله بشخصيته الوقورة الدمثة يتعامل مع زوجته وأولاده جميعاً بحب، واحترام أما زوجته فكانت لا تناديه إلا بكلمة الحاج أو سي عبد الله وكان الرجل يـــتحدث عن أولاده بزهو كبير مع أصدقاءه المقربين – ولما لا فكلها سنتين أو أقل، ويصبح ولده الأكبر مهندساً، ومن يدري فربما لحق به في دراسته الجامعية بقية إخوته ثم يصبحون جميعاً من ذوي الشأن.

دخـــل علـــي حجـــرته لإســـتذكار المواد التي تحتاج للمراجعة أولاً بأول وبتركيز، ولكن كيف ومن أين يأتي التركيز لهذا الصب وطيف سعاد يملأ عليه وجدانه وجعله باستمرار شارد الذهن وفي حالة من السُهد كبيرة، واستجدي النوم بـــأمل أن يحظـــي بإغفائـــة كبيرة أو صغيرة ويستيقظ بعدها متعجلاً للساعات والدقـــائق حتى يلتقي بمحبوبته في الطريق ويسعد منها بنظرة أو ابتسامة تعطيه جرعة، وزاداً عاطفياً لصباح اليوم التالي، وفي إحدي هذه الليالي، وفي حوار مع نفسه اهتدي لفكرة ملخصها كتابة خطاب للحبيبة يبثها فيه أشواقه – ويخبرها بمن يكون وتردد في أول الأمر وسأل نفسه ماذا يكتب ؟ هل يكون الخطاب علي ذلك الـــنمط الموجود في كتاب رسائل المحبين ؟ والذي يباع في الترام ؟ وعلي الفور استبعد هذا الخاطر فمثله لا يمكن أن يهبط لمستوي المراهقين من طلاب الصف الأول بالمدارس الثانوية – ومع ذلك شرع في الكتابة وانتهي من كتابة المسودة، وأعـــاد قـــراءته أكثر من مرة، ثم نسخه بخط واضح – ثم بدأ يفكر في المشكلة الأهم وهي الكيفية التي يمكن بها إيصال الخطاب لسعاد، وللوهلة الأولي فكر في أن يكـــون ذلـــك عن طريق شقيقه الأصغر موسي، لكنه إستبعد هذا الخاطر في نفـــس اللحظـــة فهـــو الشقيق الأكبر، والقدوة وهذا التصرف يحط من قدره أمام الجمـــيع، وأخيراً قرر أن يقوم بهذه المهمة بنفسه ثم سأل نفسه السؤال التالي: " وهـــو علـــي فـــرض نجاحي في تسليمها الخطاب فماذا يحدث لو رفضت هي الاســـتلام – أو مزقت الخطاب ونظرت إليه نظرة من إياها فكيف تكون نظرته

لنفسه أولاً قبل نظرة الآخرين له – ومع ذلك قرر أن يخوض المغامرة – أما رد سعاد علي الرسالة فكانت فكرته في منتهي البساطة، حيث طلب من الحبيبة إذا كانت تبادله نفس الشعور فما عليها إلا أن تأتي بأي تصرف يؤكد هذا المعني فمثلاً أن تتظاهر بإخراج منديل من جيبها ثم تعيده مرة أخري، أو أن تقوم بفتح حقيبة الكتب ثم تقوم بإغلاقها. فمثل هذه التصرفات البسيطة كافية لوصول الرسالة وأن الرد عليها بالإيجاب، وبات ليلته مرتاحاً لما وصل إليه من تفكير – وفي صباح اليوم التالي وفي الطريق المعتاد تلاقت العيون والمشاعر – لكن العاشق حديث العهد بالحب خانته شجاعته ووقف جامداً في مكانه، وفشل في تنفيذ ما بات ليلته يحلم به، ومضت سعاد في طريقها لكن بخطوات أسرع مما اعتادت مما يحتمل معه رؤيتها للخطاب في يده، وصار هو من خلفها مهزوماً وبخطوات بطيئة متثاقلة، وفي الكلية ترك محاضراته للمرة الأولي وذهب لحديقة الحيوان المجاورة وأخذ يمشي تارة ويجلس أخري ثم يستعيد في خاطره مشهد الصباح والمحاولة الفاشلة، وسأل نفسه "ماذا سوف تقول عنه ؟ هل فهمت ما كان يرمي إليه أم ظنت به الظنون، وهل في صباح الغذ سوف ترد تحيته كالمعتاد، أم تقتله بتلك النظرة المصحوبة بتكشيرة كبيرة من جبينها، والتي يعرفها كل من اكتوي بصد الحبيب " وولي نهار ذلك اليوم وهو علي تلك الحال

وفي المساء تحلقت الأسرة كلها حول مائدة العشاء، وعلي شارد الذهن بشكل لفت معه نظر والده الذي علمته الأيام الكثير، والذي سأله برفق وحنان قائلاً:

الحاج عبد الله : مالك ياباشمهندس موش عوايدك.

علي : سلامتك ولا حاجة.

الحاج : ولا حاجة إزاي – ده أنت ماتكلمتش كلمة واحدة عن الألمان إحنا سامعين إنهم أخدوا مرسي مطروح.

ولم يكمل الحاج تساؤلاته، وحدث هرج ومرج ثم تعالي الصياح من كل مكان – مع صوت صفارات الإنذار معلنة عن بداية وقوع غارة جوية – وسمعت أصوات من الشارع أطفئوا الأنوار – أطفئوا الأنوار، وفي لحظات كانت أصوات المدفعية المضادة للطائرات تدوي وبشكل مخيف ترتج معه منازل الحي القديمة وتسابق سكان المنازل المجاورة لمنزل الحاج عبد الله للاحتماء به إعتقاداً منهم بمتانة أساساته والبعض الآخر هرول مسرعاً للاحتماء بالمخابيء

التـــي أعدتها الدولة لهذا الغرض، أما الغالبية فكانوا يفضلون الهبوط من الأدوار العلـــي للســـفلي، أو لأفنية المنازل، وهبط علي وأشقاءه ووالدته لفناء منزلهم أما الحـــج عبد الله فرفض وظل مستلقياً علي سريره في حجرته مُستهيناً بأصوات الإنفجــارات معتمداً علي قدرته علي التمييز بشكل كبير بين أصوات إنفجارات قـــنابل الطائرات المغيرة، وبين أصوات طلقات وقذائف المدفعية المضادة، وذلك بحكم مشاركته في الحرب العظمي[1] في بر الشام عندما كان يعمل مع غيره من الشباب المصري المصاحب للقوات البريطانية فيما كان يعرف باسم " السُلطة ".

وكلما كانت تهدأ أصوات المدفعية – كان بعض الأولاد أو الصبية يتسللون من فناء المنازل للشارع وهم يتظاهرون بشجاعة كاذبة لمشاهدة الأنوار الكاشفة، والتـــي كان يطلق عليها الناس الكشافات وهي تجوب السماء بحثاً عن الطائرات المغـــيرة حيـــث تتعامل معها الدفاعات الأرضية علي الفور عند تحديد مكانها، وكثـــيراً ما احتمت الطائرات بالسحب هرباً أو إختفاءاً من تلك الأنوار المصاحبة للنـــيران الأرضـــية ومـــن المواقـــف المضحكة في تلك الظروف الصعبة تلك الحوارات التي كان يتبادلها السكان المذعورين من قليل بمجرد أن تهدأ أصوات المدفعـــية يصـــبحون جميعاً خبراء في تمييز أنواع المدافع بل، وتحديد أماكنها فيقول أحد هؤلاء الخبراء بثقة كبيرة سمعتم إنه مدفع العباسية.

وعلـــي الفـــور يرد عليه آخر بنفس الثقة، وأحياناً بثقة أكبر منها لالالا ده صوت مدفع القلعة أنا عارفه كويس – ثم يتدخل خبير ثالث كان من لحظات في حالـــة مـــن الذعـــر يرثي لها قائلاً: " مدفع القلعة إحنا عارفينه ده أسمه الحاجة فاطمة، والطائرات لازم تهرب منه ".

ويقطـــع الحـــوار فجأة مطاردة المدفعية بقذائفها شديدة الارتجاج للطائرات، وتســـكت علـــي الفـــور أصوات خبراء المدافع ويعودون مرة أخري للدعاء " يا لطيف يا لطيف ".

أمـــا الفـــرج من هذا الكرب فكان يأتي مع سماع أصوات صفارات الأمان مُعلـــنة للكافة بأن الغارة قد انتهت بعدَ حوالي ساعة ونصف أو ما يزيد من هذا الفزع، وعندها يتبادل الجميع التهنئة بالسلامة مشيدين بقوة بناء حوائط وأساسات المـــنزل ثـــم يعودون لمساكنهم في الطوابق العليا مع تبادل كلمة تصبحوا علي خير.

---

(١) الحرب العالمية الأولي ١٩١٤ – ١٩١٨.

لـم ينم علي تلك الليلة فقد كان مشتت الفكر والبال فيما يمكن أن يخبئه له الغـد، بالإضـافة للتوتر العصبي الذي سببته الغارة الجوية – لكن ما الحل هل يغـض الطـرف عن هذا الحب الذي قد يسبب له مشاكل هو في غني عنها أم يحـاول مرة أخري ولم يتردد وأتخذ القرار فهو ليس أقل شجاعة من زملاء له لهـم حبيـبات وهن في نفس المستوي الجمالي لسعاد، وفي الصباح وفي طريق سـعاد المعـتاد للمدرسـة انـتظرها، ليس في مكان انتظار الأمس حيث كانت المحاولـة الفاشـلة – وإنمـا فـي مكان آخر عند " دار الإفتاء ومقر المحكمة الشـرعية"(١) بالقرب من ميدان بركة الفيل، وما أن لمحها حتى بدأ يسمع دقات قلـبه السـريعة وفي هذه المرة شاهدته وتجاهلته تماماً – ومشي هو خلفها بتلك الخطـوات البطيـئة وساقيه لا تقوي علي حمله حتى ميدان السيدة زينب حيث توارت هي تماماً عن ناظريه واستقل هو الأتوبيس للجامعة، وفي مدرجات الكلية لـم يكـن أسـعد حـالاً عن حالته في اليوم السابق، فالشرود وعدم القدرة علي التركـيز، وبالطبع للمرة الثانية كانت حديقة الحيوان هي الملجأ والملاذ لعله يجد فـي هدوءهـا السـلوي مما أصبح فيه– لكنه لم يمكث طويلاً فيها فقبل الواحدة والنصف بعد الظهر كان قد وصل المنزل حزيناً مهموماً بشكل جعل والدته تقتحم عليه غرفته متسائلة..

الحاجة الوالدة : مالك يا علي رجعت بدري ليه النهاردة من الكلية.

علـي : وهـو يغالب نفسه – لا مافيش حاجة يا حاجة – الأستاذ المحاضـر اعـتذر عـن محاضرتين علشان كده رجعت بدري علشان أنام ما أنتي عارفة يا نينا – إمبارح ما حدش عرف يذاكر أو حتى ينام.

وتركـته الوالـدة، وانسحبت من الغرفة مُغلقة وراءها الباب وارتدي علي جلبابه والطاقية واستلقي علي فراشه وراح في ثبات عميق.

ومـرت أيام وأيام والعاشق الولهان يزداد حباً، وهياماً بسعاد، ويجد سلوته مـع صـوت محمد عبد الوهاب المنبعث من ذلك الراديو الضخم – والموضوع فوق رف خشبي بصالة الطعام وهو يشدو بأغانيه مثل:

مين عذبك بتخلصه مني — وذنبي إيه بتعذب فيه
ليه العوازل حـاسديـني — دول حقهم يبكوا عليّ

---

(١) كان مقر دار الإفتاء في الحلمية القديمة قبل إنشاء مقرها الحالي بحي الدراسة.

أو أغنية:

بالك مع مين يا شاغل بالي   يا حبيب العين ارحم حالي

كـــان علـــيَ يتصور إنه المقصود هو ومن إكتوي بنار الحب وصد الحبيب بهــذه المعانـــي، ومع تركيزه الشديد في موضوع سعاد اهتدي إلي فكرة وجدت صدي في نفسه – ملخصها في أن يكونٍ أكثر جرأة ويحسم الأمر مع معشوقته، والخطـــة لا تعـــدوا أن تكـــون إنتظاراً شجاعاً منه بشكل يجعله يكمن لها عند المحكمة الشرعية – فالمنطقة شديدة الهدوء، وهناك يقابها وجهاً لوجه من الإتجاه المعـــاكس لسيرها، وبسرعة خاطفة يقوم بدس الخطاب بين حقيبة الكتب وكتفها حيـــث اعتادت هي أن تحمل الحقيبة بكلتا يديها وهي تضمها لصدرها في أجزاء مـــن الطريق وفي هذه المنطقة بالذات – وارتاح للفكرة ولم يفكر في الفشل وفي الساعة الثالثة مساءاً انتظرها بالمكان المحدد وانقض عليها بجرأة وخفة وسلمها الخطـــاب أو فرضـــه علـــيها وبنفس الشكل الذي سبق التخطيط له، واستمر في طريقه دون أن تصدر منه نظرة ودون أن يلتفت للخلف.

بالنســـبة لسعاد فكان الموقف أكبر من أن تستطيع التعامل معه بهدوء حيث اشـــتعل وجههـــا حُمـــرة وخجلاً وارتبكت إرتباكاً شديداً ولم تدري كيف يكون التصرف مع هذا الذي حدث وفرض عليها فرضاً سوي أن تسرع الخطي حتى لا تلفت الأنظار إليها، وزادت من السرعة في سيرها حتى وصلت لشارع أحمد باشـــا تـــيمور، وحانت منها التفاتة سريعة للخلف، ولما تأكدت بعدم وجود من يراقـــبها، دســـت الخطاب بحقيبة الكتب وأسرعت في السير وهي أكثر ارتباكاً وخوفاً.

وفـــي حجرتها الخاصة بالمنزل فضت الخطاب ولأول مرة تري من يناديها بكلمـــة حبيبتـــي ســـعاد، والتهمت سطوره بسرعة خاطفة ثم أعادت إخفاءه بين صـــفحات إحـــدي كتـــبها – وحاولت أن تتماسك حتى تبدو أكثر هدوءاً، لكنها سرحت بخواطرها بعيداً بعيداً، واستلقت علي فراشها بملابس المدرسة، وتركت هـــذا العـــالم لعالم آخر جديد لم تعرفه من قبل ولم تنتبه إلا علي صوت والدتها المتكرر وهي تناديها قائلة.. -

" ســـعاد ســـعاد الله إنتـــي مازلت بملابس المدرسة يالله الأكل جاهز علي السفرة.

سعاد   : حاضر يا ماما أنا جاية علي طول.

الأم : أســرعي، وأعملــي لــك همة شوية بابا وأختك قاعدين علي السفرة.

أسرعت سعاد باستبدال ملابس المدرسة وشاركت الجميع تناول طعام الغذا.

الحمــد لله – قالهــا عطية أفندي رب الأسرة أنا قايم ارتاح شوية – لغاية الراديو ما يبدأ إرساله الساعة الخامسة علشان نعرف أخبار الحرب(1).

الــزوجة : الحــرب ده ربــنا يخلصنا منها علي خير – كل يوم غارة – وبيوت بتقع، وناس بتتبهدل، وغلب موش باين له آخر.

الزوج : ياريت علي أد كده وبس – ده الإنجليز يفكرون الآن في إغراق الدلتا كلها بماء البحر علشان يوقفوا زحف الألمان لأن احتمال سقوط الإسكندرية في أيديهم وارد بعد سقوط مرسي مطروح..

ثــم أضــاف والآن الجيوش البريطانية والجيش المصري يتم حشدهم عند العلمين لصد هذا الخطر الداهم.

وانســحبت الــزوجة مــن الغرفة وهي تغلق الباب معطية الزوج والحبيب فرصة للنوم والاسترخاء.

---

(1) كــان الردايو يبدأ إرساله في الساعة السابعة صباحاً – وينتهي إرسال الفترة الصباحية في الثامــنة والنصــف – ويســتأنف الإرسال في الثانية بعد الظهر حتى الثالثة – ثم يستأنف في الخامسة مساءاً حتى الحادية عشر والنصف.

خرجــت ســعاد للشرفة " التراسينا[1] "تستنشق هواء العصر لكن بإحساس جديــد لــم تعــرفه من قبل – كل شيء تغير وأصبح مختلف المذاق حتى نسمة العصاري، وصوت بائع العرقسوس الذي يعرفه الجميع أصبح له رنين جديد لم تعــرفه مــن قــبل فما الذي تغير إنه أبو عبده هكذا كان أسمه بجسده الممتليء وجلــبابه الأبيض، وحزامه الجلدي الذي يتمنطق به ويضع به أكوابه النحاسية، وطاقيــته البيضاء علي رأسه ونفس الفوطة الحمراء التي يلف بها نصفه السفلي وقــدر العرقســوس الزجاجــي يحمله علي صدره.وبيده اليمني الصاجات التي يصلصــل بها وبيده الأخري دورق صغير به ماء لغسل الأكواب بين كل زبون وآخر – أما ندائه فهو اليوم شديد العذوبة واستمعت إليه سعاد بإنصات شديد وهو ينادي مع الصلصلة بالصاجات:

" أبو عبدَه عنده خروب مدهش "

" هاتو الشفاشق والكوبايات وحصّلوا "

" أبو عبدَه شوفوا المتلج "

إنهــا الآن تستمتع بكل ما هو موجود حولها، ولسان حالها ينطق بأن الحب شــيء جمــيل – ومــن بعيد ومن ناحية شارع سوق السلاح العتيق وصل إلي أســماعها أصوات فرح، وكانت حفلات الزفاف بين أفراد الطبقات الشعبية تكاد تكــون يومــية بسبب حالة التوظف الكامل بين العمال سواء كانوا من أصحاب المهن أو من الذي لا حرف لهم، وذلك فيما كان يعرف بأسم " الأورنص "[2]

وبــدأت أصــوات الفرح تعلو رويداً رويداً حتى أصبحت صاخبة وتساءلت ســعاد " فــرح مــن يكون هذا " فأجابها في نفس اللحظة والدها الذي لم تشعر بدخوله للشرفة قائلاً: " إنه فرح ابن المعلم إسماعيل بدير ".

والتفتــت سعاد لمصدر الصوت قائلة " " أهلاً يا بابا حضرت دخلت أمتي " وأجابهــا والدها الآن وعادت سعاد تسأل مرة أخري عمن يكون المعلم إسماعيل بدير هذا ".

---

(١) كانت الفراندة تسمي تراسينا حتى نهاية الأربعينيات.

(٢) المصــطلح هو اختصار تقريباً لتعبير إنجليزي معناه المؤسسة أو الجهة الإدارية المسئولة عــن الــورش الخدمــية للقوات الإنجليزية خلف ميادين القتال وكانت هذه الورش متواجدة بقشلاقشــات العباســية وبداخــل قلعــة صلاح الدين وما كان يطلق عليه منطقة دجلة كامب بالمعادي وكان المبني الإداري لهذه الورش بشارع القصر العيني وعلي ناصية جاردن سيتي بالعمارات المعروفة باسم عمارات سيف الدين.

وكانت إجابة والدها قاطعة ولا تصدر إلا من إنسان ملم إلماماً كاملاً بكل ما يــدور حوــله في المجتمع، وتلك كانت من سمات ذلك الزمان، واستطرد عطية أفندي في حديثه موضحاً أن المعلم إسماعيل بدير هذا ممن يطلقون عليهم أغنياء الحـــرب الذين هبطت الثروة عليهم فجأة بسبب تعاملهم مع الجيش البريطاني إنه من تجار السول Swell – أو ما يسمي الرابش.

وقالــت سعاد وهي ضاحكة، حضرتك متصور إنني فاهمة كلمة Swell أو كلمة رابش ثم استغرقت في الضحك راجية الوالد المزيد من الشرح، والتوضيح

يا بابا أنا موش فاهمة أي حاجة من الاصطلاحات اللي حضرتك ذكرتها.

الوالد : أنا عارف.

ثم بدأ في الشرح قائلاً:

الرابش أو السول Swell عبارة عن مخلفات الجيش الإنجليزي من الأنواع المخـــتلفة مـــن كل شيء حتى بقايا الطعام، وتجارة الرابش دي تجارة كبيرة لها تجـــار جُملـــة وتجـــزأة، ويشارك تجار الجملة بعض الجنود البريطانيون الذين يحصـــلون علـــي نصيبهم أيضاً من هذه التجارة عن طريق تهريب أصناف في وسط الرابش بحالة جيدة وسليمة أو معلبات لم يتم فتحها بعد – والمعلم إسماعيل متخصـــص في بقايا المواد الغذائية المتخلفة بعد الاستعمال والمهربة سليمة وهي الأكثرية مثل علب التونة– السلامون – الأسماك الطازجة – كل أنواع المربات – كـــل أنـــواع الجبن حتى الخبز الفينو – وعلب السجائر بالخراطيش، وكذلك الشيكولاته.

سعاد : حضرتك قلت الشيكولاته.

الوالـــد : نعـــم – ثـــم أضـــاف وكل هذه الأصناف تجد طريقها للمحلات الـــتجارية ومنها ما يباع علي الأرصفة لذا فقد أطلقت الصحف علي تلك النوعية من التجار إصطلاح " أغنياء الحرب ".

وكانـــت أفراح تلك الطبقة لها شكل مميز، مجرد تماماً من تقديم أي أعمال فنية غنائية أو موسيقية ذات قيمة، والشيء الوحيد الذي كان موجوداً والمتعارف عليه من الجميع هو " سلام يا جدع " للجوقة الموسيقية التي كان يطلق عليها اسم " البيانو " – ومع ذلك فكان هذا السلام يا جدع لا يعزف لنهايته بسبب المقاطعة لمـــن يلوح بالنقوط للراقصة، والتي تتناوله منه ثم تنادي هي بصوتها " سلام يا جدع علشان المعلم فلان، وفلان وحكاية طويلة من السلامات – ومع دخول الليل

زاد الصخب حتى وصل المطرب الشعبي الناشيء والذي كان الجميع في انتظار وصـــوله بفـــارغ الصبر والذي بدأ حياته الفنية في تلك الفترة وصعدت شهرته لعـــنان الســـماء لهذا الوسط، وكان تقريباً قاسماً مشتركاً في جميع أفراح أغنياء الحـــرب ثـــم ذاع صيته بعد ذلك بكازينوهات روض الفرج ومنها عرف طريقه للإذاعـــة – هـــذا المطرب هو الفنان الراحل محمود شكوكو – ولا أستطيع أن أصور حجم النقوط من العملات الورقية ذات المائة، والخمسين، والعشر جنيهات التـــي كان يُحيي بها تجار الرابش، وعمال الأورنس كلاً من المطرب والراقصة وكذلـــك أفـــراد الجوقة أو البيانو، وبدأ صوت شكوكو يلعلع من خلال مكبرات الصوت، والتي لم تكن القاهرة تعرفها قبل ذلك الوقت والتي جعلت الكثيرين من شـــباب الطبقات العاملة يتسابقون للسرادق للاستمتاع بغناء نجمهم المفضل ومن خـــلال مكـــبرات الصوت ترامي لأسماع سعاد صوت الفنان وهو يغني أغنيته الشهيرة..

" ورد عليه فُل عليه ورد عليه فُل عليه "

ثم قوطع شكوكو بالآهات والتصفيق وفيضان جديد من النقوط ثم بدأ يكمل الأغنية:

" يا عود قرنفل في الجنينة ملعلع... فُل عليه "

" تعجب الشبان المجدع... فُل عليه "

واستمر في الغناء حتى وصل للمقطع الذي يقول فيه..

" أنا عترة والنبي خد بالك يا أبو علي "

وهـــنا هـــاج الفرح وماج، وقام الحاضرون وقوفاً وهات يا رقص بالعصي وشاركت النساء من شرفات المنازل المطلة علي الفرح بالزغاريد وتحول الفرح لحالـــة من الصخب والضجيج لم تتوقف إلا علي صوت صفارات الإنذار معلنة عـــن وقوع غارة جوية جديدة علي القاهرة، وفي لحظة أو تكاد – كانت أصوات طلقـــات المدافع المضادة بنيرانها الأرضية ترج الأرض، وحوائط المنازل رجاً عنـــيفاً حيـــث أن مقذوفات هذه النوعية من المدافع كان لها ارتداد عنيف للغاية، وفـــي نفس الوقت كانت الأنوار الكاشفة تجوب سماء القاهرة بالطول والعرض بحـــثاً عـــن الطائـــرات المغيرة حتى يمكن توجيه النيران الأرضية لمكانها فيتم الـــتعامل معهـــا بدقة، وانقلب الفرح لغم – وحل الصراخ والعويل مكان الزمر والطـــبل، وأطفـــأت الزيـــنات أما الكلوبات المعلقة بالصواري الخشبية فتكفلت

الكراسي المتطايرة بها – واختلط الحابل بالنابل علي رأي المثل، فذلك الذي من لحظــات كان يرقص ويتمايل بالعصا الآن يجري في أي اتجاه، وآخر يقفز من فوق الكراسي المتناثرة في كل مكان غير عابيء بكوفيته والتي سقطت من علي رقبــته علي الأرض وإحدي السيدات تصرخ بحثاً عن صغيرها الذي اختفي في هذا الهول.

كــل ذلك والمدفعيات تزمجر كأنها هي الأخري أبت إلا أن تشارك بنصيب فــي الفــرح – والــبعض من الأهالي يجري قاصداً الخندق الذي بني خصيصاً للوقايــة من تلك الغارات، والمحافظون احتموا بأفنية منازلهم– وكذلك بالطوابق السفلية، وبدأ من جديد صوت الدعاء يتردد بقوة في الفضاء " يا لطيف يا لطيف ألطف يارب " وفجأة ترامي للأسماع صوت نسائي لهجته تدل علي أن صاحبته من أهل الريف وهي تصرخ وتولول قائلة:

" حوش يا حواش حوش يا حواش "

وفجــأة أضــيئت سماء القاهرة كلها وأصبح الليل كأنه عز النهار علي حد التعبير الشائع بسبب المقذوفات المضيئة التي كانت تلقيها الطائرات المغيرة حتى تستطيع إصابة أهدافها بدقة – ومن المحتمل أنها كانت طلقات مضيئة من النيران الأرضــية للمســاعدة فــي تحديــد أماكن الطائرات في وسط الظلام الدامس – وبصــرف النظر عن مصدر هذه الأضواء إلا أنها جعلت الجميع يوقن بالهلاك وأن الموت آت لا ريب في ذلك، فترك الناس الخنادق وأفنية المنازل وبدأ الجري فــي الشوارع علي غير هدي ومع أصوات الإنفجارات الضخمة التي كانت ترج المكان بالكامل كان البعض يتلوا الشهادتين، والأغلبية تولول.

ومع ذلك استمر الطوبجية[1] والذين هم بحق خير أجناد الأرض في ملاحقة الطائــرات المغيرة بالنيران الكثيفة – مما أجبرتها علي التخلي عن حمولتها من القنابل والفرار بعد أن أسقطت منها خمس طائرات – مما حدي بالقيادة العسكرية البريطانــية بالقاهــرة مــن توجــيه الشكر والتحية لجنود وقوات الدفاع الجوي المصري، ونشرت الصحف الصباحية ذلك في عنوانيها الرئيسية، وبإنتهاء الغارة تنفس الناس الصعداء، وباتت القاهرة ليلة من أصعب لياليها – وفي الأيام القليلة التي تلت ذلك اليوم بدأ الكثيرون في النزوح للأرياف باعتبارها ملاذاً آمناً بسبب

---

(١) مفردها طوبجي – والمقصود رجال الدفاع الجوي واعتقد أن الكلمة تركية الأصل ، وكانت شائعة الاستعمال في ذلك الوقت.

بعدها عن الأهداف العسكرية البريطانية، وبالفعل سافر البعض – أما أصحاب المصالح وموظفي دوواين الحكومة أمثال عطية أفندي سلمان فقد آثروا البقاء، ومع ذلك فقد كان لهذه الهجرة أثر كبير في أعداد كثيرة من المنازل، والتي بدت مهجورة تماماً بعد أن تركها شاغلوها[1].

(١) للأطفال عالمهم الخاص – ففي اليكنية أضاف أطفالها لعبة جديدة لألعابهم مستوحاة من مناخ الحرب ، وذلك بتقليد صوت صفارات الخطر ، والأمان واستطاعات الطفلة آمال شقيقة سعاد الصغري من إجادة عزف لحن الخطر المتقطع علي البيانو ، والذي كثيراً ما خدع والدتها من شدة إتقانه ، وكثيراً ما كانت تنهرها حتى تكف عن ذلك لكي لا يمتد الفزع الذي يسببه سماع لحن الخطر لباقي الجيران.

غيرت سعاد خط سيرها للمدرسة، بعد استلام الخطاب معاندة بذلك نبضات قلبها البكر – فخلال ثلاثة أيام من استلامها الخطاب تعمدت ترك طريقها المعتاد للسيدة زينب مروراً ببركة الفيل لطريق آخر عن طريق شارع درب الجماميز[1] – صحيح أن هذا الأخير أطول، لكنها كانت في حاجة كبيرة لمزيد من الوقت حتى تستعيد توازنها النفسي، والعاطفي، وفي المقابل فعل علي نفس الشيء حيث كان ينتظرها عند المحكمة الشرعية ببركة الفيل، قانعاً نفسه بأنها قد غيرت طريقها حتى يفر من المواجهة التي قد لا تحمد عقباها.

وفي اليوم الرابع وفي نفس المكان الذي شهد أول إيجابيات حبه، وجرأته في التعامل مع الجنس الآخر، لمح من بعيد من ناحية الحلمية حبيبة القلب – قادمة ومن نفس الطريق المعتاد وعندما اقتربت من المكان الذي يقف فيه، أخرجت منديل يدها من جيب المريلة، ومسحت به برفق الوجه الجميل الذي أصبح في لون ثمرة البرتقال الناضجة، ثم أسرعت الخطي في اتجاه ميدان بركة الفيل – أما هو فقد تخشب في مكانه للحظات إنه الآن لا يصدق نفسه – فقد وصلت الرسالة للحبيبة وهو الآن قد تلقي الرد الإيجابي إذاً فشعورهما متبادل، وذهب للكلية وهو لا يكاد يصدق ما حدث، واستعاده في ذهنه مرات ومرات، إنه يريد أن يقبل كل من يلتقي به من الأصدقاء والزملاء والأساتذة، حتى عم حنفي عامل البوفيه الذي يبيع للطلاب السندوتشات، ويقدم لهم الشاي والقهوة أما في صباح اليوم التالي فقد كان أكثر جرأة من الأمس، وبمجرد وصولها لنفس المكان انقض عليها قادماً من الناحية الغربية – أي من ميدان السادات ثم فاجأها بكلمة صباح الخير يا آنسة سعاد، والتي أجابت صباح الخير، يا أستاذ علي، ثم مشيا متجاورين صامتين حتى شارع الحوض المرصود[2]، وهناك استجمع المسكين شجاعته وقال: " أنا موش عارف أشكرك إزاي ".

سعاد : علي إيه.

علي : لمجرد استلام الخطاب وردك عليه.

سعاد : أولاً أنا ما استلمتش الخطاب منك وأنت لم تعطيني أي فرصة للقبول أو الرفض – يعني أنت فرضت عليّ الأمر الواقع وأي اعتراض مني كان حيتسبب في شوشرة لكلينا، وليّ علي وجه الخصوص.

---

(١) شارع بورسعيد حالياً.

(٢) شارع قدري الآن.

علـــي : أنا مقُدر كل ذلك – علشان كده بأكرر شكري وأسفى علي أي حرج سببته لك.

ســعاد : الحمد لله المسألة عدت بسلام، وإحنا دلوقتي قربنا علي ميدان السيدة، ولي زميلات هنا – مع السلام أنت بقي الآن.

علي : مع السلامة.

وفـــي الأيام التالية تكررت اللقاءات الصباحية، والمسائية بين الحبيبين في المســافة من شارع علي باشا إبراهيم في الحلمية حتى محطة أو موقف السنتي كروفــت[١] – في ميدان السيدة زينب – وتكلم علي عن نفسه، وعرفت سعاد إنه طالـــب بهندســـة فؤاد الأول، وكـــذلك تكلم معها عن أسرته بتفصيل، وقالت له سعاد إنها كانت تعرف أنـــه يدرس الهندسة، وذلك من المسطرة حرف "ت T" الخشـــبى التي يبرز من حقيبة كتبه، وعرف منها أنها بالخامسة أدبـــي فلســـفة بالســـــــــنية الثانوية[٢] وهنا سألها علي:

علي : لماذا اخترت يا سعاد " من غير أن يسبق الاسم كلمة آنسة " شعبة الآداب ؟.

ســعاد : لرغبتي الكبيرة للالتحاق بكلية الآداب جامعة فؤاد.. يعني سوف نكون زملاء إن شاء الله بجامعة واحدة.

علي : زملاء لسنة واحدة إن شاء الله.

ســعاد : إن شاء الله، وبالمناسبة ده أنا شديدة الإعجاب بعدد من الرائدات مـــثل د. ســـهير القلماوي، د. بنت الشاطيء، وأقصد بالطبع د. عائشة عبد الرحمن.

علي : ومين كمان ؟

سعاد : وأيضاً الأستاذة مفيدة عبد الرحمن فهي في حدود علمي أول سيدة مصـــرية تمارس المحاماة كما سمعت عنها الكثير من بابا – كما إنها موضع تقدير رجالات القضاء، ثم أضافت وحضرتك إن شاء الله سوف تكون باشمهندس أد الدنيا.

علي : وأملي العمل في مشروع كهربة خزان أسوان والذي تنتوي حكومة الوفد إن شاء الله تنفيذه.

---

(١) خط أتوبيس السيدة زينب – الجيزة.

(٢) كانت الدراسة بالثانوية خمس سنوات.

سـعاد : أنـا فعلاً سمعت عن هذا المشروع وإنه سيكون الأول من نوعه علي نهر النيل لتوليد الطاقة الكهربية.

علـي : بالضـبط، إحـنا في حزب الوفد – أو حزب الشعب عندنا أعظم مهـندس في المسائل ده – أقصد عثمان محرم باشا الذي ينوي كهربة جميع القناطر علي نهر النيل المقامة، والتي سوف تقام.

سعاد : يا سلام إنت موش شايف إنك متحمس للوفد.

علـي : تُهمـة لا أنفيها علي حد تعبير الزعيم سعد زغلول – إحنا أسرة وفديـة أبـاً عـن جد من أيام سعد زغلول باشا وللأبد، ولعلك تدركين مع غيرك إن شعب مصر في غالبيته ينتمي للوفد.

سعاد : إزاي ففي حدود علمى فإن الفترات التي حكم فيها الوفد محدودة.

علـي : هذا صحيح بسبب تزييف الانتخابات عن طريق تحالف الإنجليز والسرايا وأحزاب الأقلية.

ثـم أضـاف وأي انتخابات لا تزيف يكتسحها الوفد من عهد سعد للآن، ونظرة واحدة لأطفال اليكنية في لهوهم البريء ممكن تعرفي حجم الوقد في الشارع المصري.

سعاد : وضح أكثر.

علي : الموضوع في غاية البساطة، أي يوم يعجبك بعد العصر أنظري من شـباك حجرتك أو من الفراندة علي الأطفال وهم يلعبون، وسوف تجدينهم يلعبون إثنين إثنين والأيدي متشابكة وهم يرددون ما يلي:

سعاد : يرددون ماذا ؟.

علي : يقولون:

" طلـع طـبق – نزل طبق إحنا أولاد الكشافة – وأبونا سعد باشا وأمنا ست صفية – تحيا الأمة المصرية "

ثم أضاف قائلاً: " إيه معني كل ذلك، معناه إن عقيدة الوفد تغلغلت بيـن كـل طـبقات الأمة، وحتى الأطفال أصبحوا يعرفون لسعد زغلـول قدره فالوفد بلا شك، هو ضمير الأمة، وقال أنا آسف أنا مقـدرش أمسك نفسي عن الكلام، إذا كان الحديث عن الوفد، وكان المفـروض أراعـي وجـودك فالمعروف إن أهتماماتكن بالسياسة محدودة.

سعاد : متسائلة، ومن قال ذلك، ثم أضافت هل تعلم إن طالبات المدرسة السنية أشتركن في ثورة ١٩١٩، وكذلك طالبات مدرسة بنات الأشراف بالإسكندرية.

وساهمت في كل المناسبات السياسية بعد ذلك أيضاً طالبات مدارس شبرا الثانوية، والأميرة فوزية – يعني موش أنتم وحدكم بتوع السياسة – ثم قالت علي العموم كدا إحنا وصلنا ميدان المنشية(١) كفاية لحد كده وكل واحد فينا يمشي من ناحية.

علي : أنا موش طالب أكثر من خمس دقائق نجلسها سوياً في حديقة الأسماك.

سعاد : موش أكثر.

علي : وهو كذلك.

ودخل الحبيبان الحديقة غير متشابكي الأيدي.

وتعددت بعد ذلك اللقاءات للعاشقين، واتخذت شكلاً منتظماً لحد بعيد، وكانت حديقة الأسماك بالمنشية مسرحها، فعلي أرائكها الخضراء الموضوعة حول بركة الأسماك الملونة جلس الحبيبان، وعلي الجسر الخشبي الصغير الذي يفصل شطريها كانت النظرات، والتنهدات، وكم من مرة تشابكت الأيادي في صمت وفي ثواني ودقائق لا تحسب من عمر الزمان، وفي هذه اللقاءات قطعت سعاد الصمت بقولها:

" الجنينة دي جميلة جداً ثم أضافت متسائلة إيه كل هذا الجمال.. الواحد موش مصدق عينيه بركة أسماك ملونة مياه منحدرة من مرتفعات جميلة تبدو كأنها شلالات مياه طبيعية وأرائك خشبية بلون العشب للجلوس، ومرتفعات ومنحنيات لمساحة لا بأس بها من العُشب الأخضر، وكذلك تلك الأشجار الباسقة لثمرة المامبوزيا(٢)، والنخيل الأفرنجي(٣) – كل ذلك جعل من هذه الحديقة بلا أي مبالغة جنة تسر الناظرين ".

علي : متسائلاً إنت أول مرة تزوري هذه الحديقة، موش معقول طبعاً فهي لا تبعد عن اليكنية أكثر من عشر دقائق.

---

(١) ميدان صلاح الدين أو ميدان القلعة الآن.

(٢) شديدة الشبه بالزيتون الأسود لكنها حلوة المذاق.

(٣) نخيل للزينة وهي أشجار مجلوبة من جزر الهند الشرقية والتي أصبحت فيما بعد تسمي أندونيسيا.

سعاد : بالطبع لا – موش الزيارة الأولي لكن في هذه المرة فإنني أستمتع لأول مرة بكل هذا الجمال – يمكن كنت رأيته من قبل لكنني لم أستشعره كما أستشعره الآن.

علي : أشكرك علي المجاملة الرقيقة دي.

سعاد : لا متغيرش الكلام، أنا بتكلم عن الجنينة وضحك الأثنان ثم قال

علي : الحديقة هذه من ضمن محاولات الخديوي إسماعيل في تحديث القاهرة، وزي ما كل المثقفين ما هم عارفين أن الخديوي كانت أحلامه أن تكون القاهرة صورة من باريس، وبذل مجهودات كبيرة في هذا السبيل.

سعاد : إزاي.

علي : سمعت من بعض من زاروا أوروبا إن ميدان العتبة، وكلاً من شارع محمد علي، وقصر النيل، وسليمان باشا عبارة عن مزيج من باريس ولندن وروما، ثم أضاف يكفي حدائق الحيوان والليمون[1] بالجيزة، وحديقة الأسماك الشهيرة بالزمالك وكذا إضاءة الشوارع ليلاً، وإنشاء ثاني سكك حديدية علي مستوي العالم في مصر لربط مدينة القاهرة بالإسكندرية، ومدن القناة الثلاث بور سعيد والإسماعيلية والسويس – أما في المجال التعليمي فيكفي إنشاء مدرستك.

سعاد : متسائلة مدرستي أنا.

علي : نعم – المدرسة السنية هي أول مدرسة لتعليم الفتيات في الشرق، ثم تلتها مدرستان بكل من الإسكندرية والمنصورة، ولا ننسي إنشاء دار الأوبرا، دار الآثار ودار الكتب، وإنشاء الجمعية الجغرافية وبدأت الصحافة ظهورها في عهده، وكذلك بدايات الحكم النيابي بإنشاء مجلس شوري النواب.

سعاد : ياه لهذه الدرجة كان الخديوي إسماعيل رجلاً مستنيراً ؟

علي : بالفعل – كان حاكم مستنير – ولكن يجب أن نذكر بكل العرفان إبن مصر العظيم الذي وضع أفكاره موضع التنفيذ وأضاف إليها من عنده وفكره الخاص.

---

(١) حديقة الأورمان الآن.

سعاد : عرفت تقصد علي باشا مبارك رائد التعليم في مصر والشرق.

علي : بالضبط.

وأضاف ففي عهده أنشئت مدرسة دار العلوم وكان يقوم بالتدريس بها، كما قسم التعليم في عهده أيضاً إلي إبتدائي، ثانوي، وعال – وكان له دوره البارز في الإشراف علي إنشاء القناطر الخيرية.

سعاد : إن شاء الله في الأجازة أرجو أن أوفق في قراءة أهم مؤلفاته وهي الخطط التوفيقية.

علي : يبقي شيء عظيم.. ثم أضاف وإنجازات الخديوي في مجالات البناء كبيرة جداً ففي عهده تم استصلاح مليون ونصف المليون فدان من الأراضي الزراعية البور، وكذلك إتمام بناء القناطر الخيرية، وكافة مشروعات الري الكبري والتي بدأت في عهد محمد علي وكان للرجل نظرة إستراتيجية بالنسبة لأمن مصر المائي.

سعاد : وبعدين بقي – كلمة إستراتيجية هذه تتردد هذه الأيام كثيراً مع الحرب فما دخل الخديوي إسماعيل بها ؟

علي : بلاش منها – ممكن نقول كان عنده بُعد نظر في تأمين حدودنا الجنوبية لتأمين هدف عظيم يعتبر مصدراً للحياة في مصر – وهو نهر النيل – فقد تمكن الرجل من مد حدودنا السياسية حتى قرب منابعه – ولعلك قد سمعت عن وجود ما يسمي بمديرية خط الإستواء – شأنها في ذلك شأن مديرية أسوان أو قنا أو سوهاج[1]. وعندما صار نزاع بين الدولتين الإستعماريتين فرنسا وإنجلترا حول منطقة فاشودة – وكاد النزاع يتحول لصدام مسلح بينهما – قال الحاكم البريطاني في السودان للفرنسيين "هذه أملاك مصرية " . معني ذلك أن الخديوي إسماعيل نجح في تأمين منابع النيل الإستوائية وفشل في تأمين المنابع الموسمية الهامة في الحبشة، واستطرد أو ختم حديثه علي قائلاً كل ما قلته ده جزء من أعمال الخديوي.

---

(١) تعنى الآن كلمة محافظة – حيث كانت مصر تنقسم إلى ١٤ مديرية فى الوجهين البحرى والقبلى.

سـعاد : كـل ما سمعته هذا جزء.. فكيف يكون الكل إذاً ؟؟ وضحكت ثم قالـت.. تصـور يا علي أنا لما باسمع أسمهان تغني أتصور أنها تغني لنا، وفي نفس الوقت أتخيل هذا المكان.

علـي : إحساس مرهف للغاية ثم تساءل أي أغنيات أسمهان تذكرك بهذا المكان.

سعاد : موش حقولك.

علي : علشان خاطري.

سعاد : حاضر ثم قالت..

دخـلت مـرة جنينـة	أشم ريحة الزهـور
وأمنـي نفسي الحـزينة	أسمع غريد الطيور
بصيت لقيت علي الغصون	بلبـل ووياه وليفته
فـارد عليـها جنـاحـه	وبيـراعيها بحنان

وهنا تدخل علي قائلاً سوف أكمل أنا ما تبقي

سعاد : أتفضل.

علي : وقال لها يا ملاكي إللي تعوزيه أطلبيه روحي وعقلي فداكي حبيبك أوعي تفوتيه

ثم قال ما أجمل الوقت، وما أسرعه بصحبتك يا سعاد.

سـعاد : الوقـت مضي مسرعاً – وكمان أنا شايفة في السماء سحب كثيرة مـتكاثفة.. ولـم تكد تنهي كلامها حتى بدأ المطر يهطل في شكل قطرات خفيفة مداعبة العشب الأخضر ومبللة أوراق الأشجار العالية، ومعها وجه وشعر سعاد الكستنائي الجميل، وانصرف الحبيبان واتخذ كلاً منهما طريق.

القاهرة خلال فترة الحرب

اصـطبغت المـدن المصرية كلها بلون الحرب – ولا سيما مدينتي القاهرة والإسـكندرية – وكذلـك مدن القناة الثلاث بسبب الغارات الجوية الألمانية شبه اليومية، وما ترتب علي ذلك من هجرة للريف، بالإضافة للتواجد المكثف لجنود الجـيش تقريـباً فـي كل الشوارع المنتمون لما كان يُسمي بالجيش المرابط[1] وبالتدريج بدأت الإذاعة في تغيير برامجها تأثراً بمناخ الحرب فكان التركيز علي الأحاديـث الوطنية، والتي كان يقدمها كلاً من الشيخ عبد العزيز البشري – د. طه حسين – العقاد – فكري أباظة وغيرهم من أصحاب الفكر، وفي نفس الوقت تـم التركيز أيضاً علي الأناشيد الحماسية ولم لا فالحرب أصبحت علي الأبواب ولذلك وبقدر الإمكان سوف أشير لما كان يقدم من تلك الأناشيد حتى يُلم القارئ بالمسـتوي الرفـيع لمـا كانت تقدمه الإذاعة[2] حتى في زمن الحرب – وكان لمطـرب القطرين محمد أفندي عبد الوهاب النصيب الأوفي في ذلك وأكرر ما قصدت من كتابتها سوي شيئ واحد ألا وهو تصوير المناخ السياسي لتلك الفترة – وليسي الغرض التسجيلي الفني التاريخي كما سبق الإشارة في المقدمة ومنها..

مصر نادتنا فلبينا نـداها | وتسابقنا صفوفاً في هواها
فإذا ما رمي بأرض رماها | تسقط الأرواح والدنيا فداها

وكذلك نشيد..

هتف الداع ونادي للجـهاد | أي بُشري يوم نادي في النفير
نحن شعب حكم الدنيا وساد | ونما والدهر في المهد صغير
ذي يـــدي يمني لساني | روحــي فـــدا أوطاني
كان الجهاد أماني | واليوم يوم الجهاد
كل مصري ينادي | أنا ملك لبـلادي
كان الجهاد أماني | واليوم يوم الجهاد

نشيد مين زيك عندي يا خضرة:

مين زيك عندي يا خضرة | في الرقة يا غصن البان
ما تجـبـودي عليّ بنظرة | وأنا رايـح للميـدان

---

(١) أي المتواجد بالمدينة تحسباً لأعمال قتالية في حالة دخول الألمان.

(٢) كان اسمها الإذاعة السلكية واللاسلكية للحكومة المصرية.

نشيد حب الوطن فرض عليّ

يا شباب النيل لأم كلثوم

ومع الإيقاع السريع للحرب في الصحراء الغربية، وتبادل للهجمات بين كلاً مـن قـوات المحـور، وقوات الحلفاء كانت الإشاعات ترجح مرة كافة الألمان وأخري كافة الحلفاء – وامتلأت شوارع القاهرة بجنود من قوات الحلفاء من كل الأجـناس من أوروبا – استراليا، والهند وكذلك من جنود المستعمرات الأفريقية الذيـن كـان يطلـق علـيهم " سوذ أفريقا " أما سبب هذا التواجد فكان لقضاء الأجازات بعيداً عن ميدان القتال، وكان أقربهم للمصريين الجنود الهنود، وحينما كـان يلتقي أي من الشباب المصري بأحد هؤلاء في الحدائق العامة أو الشوارع كان السؤال التلقائي من المصري للجندي الهندي هو " مسلمانتو " وتكون الإجابة فـي معظم الأحوال كلمة " الهمد لله " أي الحمد لله – فيعرف الشاب السائل بأن الجـندي مُسلم – فيتبادل معه التحية وينصرف كلاً منهما في طريقه، ولما كان الحنطور وسيلة مواصلات الجنود الأجانب أثناء ذهابهم وإيابهم من أماكن اللهو فـي أحياء روض الفرج وعماد الدين وشارع كلوت بك، وكان هؤلاء في معظم الأحـوال مخموريـن خصوصاً بعد خروجهم من هذه الأماكن لذلك كانوا صيداً سهلاً للشباب الوطني الرافض للوجود الأجنبي، وأيضاً للصوص والبلطجية الذين كـانوا ينقضـون علـيهم لخطف حوافظ نقودهم – أما سائقي هذه الحناطير فلم يكونـوا أقل سكراً من زبائنهم، وبالتالي لا يشعرون بما يجري لركابهم من سلب ونهب وفي بعض الأحيان كانوا يقومون هم بهذه المهمة

ولم يكن لكل ذلك أي تأثير علي لقاءات الحبيبين علي وسعاد علي الإطلاق – وفي إحدي هذه اللقاءات قال علي لسعاد..

علي : أنا عايز منك علاوة.

سعاد : ضاحكة وبصوت عال وهي تقول.. علاوة أيه ومن مين؟

علي : منك.

سعاد : مني أناء أعطي لك علاوة ده نكتة جديدة – وإلا إيه بالضبط.

ثـم قالت – ده أنا بأسمع الكلمة دي كثير من بابا – ومن كثرة كلامه عنها عرفـت إنها نوع من التقدير للموظف من رئاسته بسبب احترامه، واجتهاده في عملـه وحاجـات زي كـده، وأنا بقي يا سي علي دخلي إيه بالكلام ده كله، ثم أضافت وأنا بقي أطلع مين في البلد علشان يقرر لك علاوة أو خصم من راتبك؟

علي : بهدوء شديد، وبثقة لا – أنت ذهبت بعيد قوي أنا عايز علاوة من نوع ثاني خالص.

سعاد : زي إيه.

علي : نغير مكان لقاءنا.

سعاد : نترك هذا المكان الجميل – ونروح فين.

علـي : نخرج بره شوية، يعني نفسي أتفسح معاكي، وموش حكون طماع وأقول علي شط النيل – ولكن في حديقة الأزبكية.

سعاد : حديقة الأزبكية " بتعجب شديد " هذه الحديقة في العتبة الخضراء(١)

علي : بالضبط لكن هذه الحديقة حاجة تانية خالص.

سعاد : كيف وإزاي ما هي جنينة وجنينة.

علي : المقارنة ليست بهذه الشكل فمثلاً المساحات الخضراء هناك أضعاف هـنا – وبهـا أشجار كثيرة مجلوبة من الخارج ثم قال.. تصوري هناك أشجار للدوم.

سعاد : الدوم – في حدود معلوماتي إن أشجار الدوم هي من أشجار الصعيد في قنا وأسوان.

علي : هذا صحيح – لكنها موجودة هناك أيضاً.. وهناك أيضاً بيت " جحا " وهـو بـناء حلزوني جميل له أكثر من باب للدخول والخروج – وطـرق صـاعدة وأخـري هابطـة وكل ذلك بشكل فني جميل، بالإضافة لوجود كشك للموسيقي •

سعاد : كمان كُشك للموسيقي.

علي : تماماً، كالموجود بحديقة الحيوان وتقوم إحدي فرق موسيقات البوليس بالعزف بداخله أجمل الألحان.

ثـم أضاف والمدخل الشرقي للحديقة به باتيناج – صحيح إحنا لن نشارك هناك في اللعب، لكن سوف نستمتع بمشاهدة المتزحلقين.

سعاد : باتيناج يعني إيه.

على : عبارة عن صالة كبيرة مفتوحة ومخصصة للتزحلق علي أرضها بواسطة حذاء حديدي يشبه القبقاب الخشبي وبه عجل من الرومان

---

(١) ميدان العتبة الحالى.

بلي، ويثبت بالقدمين بواسطة أربطة جلدية مثل الموجود ببعض الأحذية الحريمي ويمكن بواسطته للاعب الجري، والتزحلق والتاسبق أيضاً.

سعاد : لم أشاهد الباتيناج من قبل.. ثم تساءلت هل ذلك هو الباتيناج الوحيد في القاهرة ؟

علي : لا فهو موجود تقريباً في جميع دور العرض السينمائي الصيفي مثل كلاً من سينما سان جيمس، ومتروبول، وريو، وكذلك سينما ستار بشارع خيرت.. أي علي بعد خطوات من مدرستك.

وفي محاولة لإغرائها قال – ومن الناحية الغربية المُطلة علي الحديقة من ناحية شارع إبراهيم باشا[1] توجد حلبة الرقص لأبناء أو جاليات جنوب البحر المتوسط من اليونانيين، القبارصة بالقاهرة – وهناك يؤدون رقصاتهم الشعبية رجالاً ونساءاً والأيادي متشابكة – وعلي أنغام موسيقاهم الوطنية.

سعاد : كده إنت بتعملّي إغراء كبير.

علي : لا إغراء ولا حاجة لكنك سوف تشاهدين بنفسك شيء جديد لم تتعرفي عليه من قبل.

سعاد : موافقة علي شرط عدم التأخير بالتحديد نصف ساعة بالمواصلات.

علي : جميل – وهو كذلك.

وفي الموعد المحدد للقاء تقابل الحبيبان وإذا كانت حديقة الأسماك قد شهدت مولد حبهما، فإن حديقة الأزبكية شهدت أيضاً تأججه، وإنتشاره في وجدانيهما وبعد فترة صمت قصيرة أستمتعا فيها بوجبة من السميط والبيض المسلوق والدُقة[2] قالت:

سعاد : إنت يا علي بالنسبة لهذه الحدائق أستاذ ومرشد وعلي الأقل بالنسبة لي فهل تصدق إنه علي الرغم من قرب هذه الحديقة من سكننا فهذه هي زيارتي الأولي لها، والشيء الملفت للنظر هو حجم معلوماتك عن هذه الأماكن ثم تساءلت " هل حديقة الأزبكية أيضاً من لمسات الخديوي إسماعيل الحضارية " ؟

---

(١) شارع الجمهورية الآن.

(٢) خلطة من الملح + الكمون + الكزبرة + النعناع + مسحوق نوي المشمش المحمص.

علي : بعد فترة قليلة من الصمت وهو ينظر إليها قال.. ما تخلنيش أخذ في نفســي قــوي كــده – فكل ما في الأمر إنني عرفت هذه الأماكن وتــرددت علــيها مــع أصدقاء لي أكثر من مرة – أما تاريخ هذه الحديقة فاعتقد إنها مملوكية وإن الألفي بك كان يقطن هذه المنطقة وربمــا كانــت الحديقــة جزء من منزله، إنما اللمسات الحضارية الموجــودة مثل ذلك البناء الحلزوني المسمي ببيت جحا، والأنواع الــنادرة مــن الأشــجار في هذا التنسيق البديع، وكشك الموسيقي ومــرقص الجالية اليونانية، أعتقد أنها من أعمال الخديوي فالرجل كــان يحلم بأن يجعل القاهرة قطعة من أوروبا، لذلك إستعان بأكبر المهندســين الفرنسيين لذلك الأمر وقد سمعت من أحد أساتذتي بأن ميدان العتبة يشبه ميدان بباريس، أما شارعي سليمان باشا وقصر النــيل فهمــا طبق. الأصل من لندن، وشارع محمد علي ببواكيه الحجرية من الجانبين فهو مزيج من روما + باريس.

شــردت ســعاد بذهنها للحظة ثم قالت بصوت به حدة نسبية غير معتادة، وبغريــزة أنثوية أكثر قائلة: " حيلك.. حيلك بتقول إنك ترددت علي هذه الجنينة من قبل ثم تساءلت مع مين ومن هم أصدقائك الذين كنت تأتي معهم ؟

علي : سعادتي بلا حدود لسؤالك هذا وكذلك بلهجته – لكن أطمئني فتلك الزيارة لم تكن مع إحداهن، فليس لي صديقات من قبل، ولن يكون لي حبيبات غيرك.

وظهر علي الوجه الجميل علامات الرضا علي الفور.

ثــم اســتطرد في كلامه وهو يقول حضوري لهذا المكان مع أصدقائي في معظمه للإستمتاع بجمال الحديقة وكذلك بالألحان الموسيقية التي تعزف في ذلك الكشــك، وأشار بيده ناحيته ثم أوضح فقال والذي يعزفون فيه فرقة موسيقية من موسيقات البوليس.

سعاد : فعلاً فعلاً ثم قالت سامع يا علي ما هذا اللحن الجميل الذي يعزفونه الآن.

علي : إنهم يعزفون الكرنك لمحمد عبد الوهاب.

سعاد : هيا ندخل، وبداخل الكشك جلسا مع الجالسين ثم انتقل العازفون للحن جميل آخر، وبالرغم من أن سعاد لم تعرف كلماته إلا أنها تأثرت به لحد بعيد ولما خرجا بعيداً سألت علي:

سعاد : اللحن الثاني كان يهز الوجدان فهل سمعته من قبل، أو هل تعرف ماذا تقول كلماته ؟

علي : بسبب ظروف الحرب فلا يعزف الآن سوي الألحان للأناشيد الحماسية، والأغاني الوطنية أما ما تسألين عنه فهذا اللحن لنشيد حماسي كلماته تمس شغاف القلوب وهي:

جنود البلاد إلي المجد هيا	فهبوا سراعاً لنحمي الديار
وإن مدفع الحرب دوا دوياً	فضموا الصفوف وخوضوا الغمار
جنود البلاد وأسد الجهاد	دعت مصر هيا فلبوا النداء

سعاد : الله.. ما أروع هذه الكلمات في حب الوطن والحض علي الجهاد

علي : فعلاً وكل طلاب المدارس الإبتدائية والأولية يرددونه هذه الأيام، ولا أعرف بالضبط من هو الشاعر الذي نظم كلماته، ثم أضاف أما الكرنك فهي للشاعر محمود حسن إسماعيل فهذا اللحن هو الآخر بكلماته الصادقة ينقل المستمع لمصر القديمة وعظمتها الخالدة.

سعاد : تماماً هذا هو شعوري عند سماعه.

وفي هذه اللحظات كان العاشقان وصلا لجانب الحديقة الغربي حيث تشاهد سعاد وللمرة الأولي الرقصات الشعبية لسكان جنوب البحر الأبيض المتوسط(١) وعلي ألحان موسيقاهم الفلكلورية وهي رقصات جميلة وبسيطة، وتؤدي بشكل جماعي من الرجال والنساء من جميع الأعمار، والجميع مندمجين في الرقص مع تشابك الأيادي أما الحركات فمحسوبة بدقة مع الألحان – فمرة يتم رفع الأذرع لأعلي وأخري يتم رفع القدم اليسري ثم خفضها، وأحياناً يتم الإنحناء للأمام فيما نسميه نحن " القرفصة " ثم يكون النهوض مرة أخري، والكل في نشوة كبيرة، وسعاده أيضاً..

سعاد قائلةً : الفرق كبير في العادات بيننا وبينهم.

علي : بدون شك فمساحة الحرية للمرأة عندهم كبيرة، وهؤلاء الناس يتعايشون معنا في مصر في وداعة تامة، وجاليتهم من أكبر الجاليات الأجنبية عندنا، وهم ينتشرون في أعمال كبيرة.

(١) اليونانيون ، القبارصة الذين كانوا يتواجدون بأعداد كبيرة في مصر.

سعاد : فعلاً، أنا دائماً أراهم في المخابز الأفرنجية، وكذلك هم عمال المقاهي الحديثة في القاهرة والإسكندرية.

علي : وأيضاً في كل المدن الكبري، والسبب في ذلك هو أن فرص العمل في مصر كبيرة ومتاحة لهؤلاء.. خصوصاً في هذه النوعية من الأعمال، ثم أضاف ومن الإنصاف أن نقول بأن هناك من هؤلاء الأجانب كثيرين لهم بصمات في عدد لا بأس به من الصناعات وعندهم يعمل عدد كبير جداً من الأيدي العاملة المصرية، والذين تدربوا علي كثير من الصناعات، الأمر الذي يبشر بنهضة صناعية كبيرة بفضل هذه العمالة والتي أصبحت بالفعل عمالة ماهرة ثم أضاف قائلاً ومن أشهر هؤلاء المسيو دليا.

سعاد : إيه ده حتى الخواجات كما عارف أسماؤهم.

علي : كل ما في الأمر إن مسيو دليا هذا مشهور جداً في صناعة البدل، والملابس الأفرنجية.. وتقريباً السوق المحلي بالكامل يتعامل معه عن طريق منافذ التسويق الكبيرة لمنتجاته، أما الذين لا يتعاملون معه- ويفضلون تفصيل احتياجاتهم من البدل بمحلات الخياطين الصغيرة فإن أصحاب تلك المحلات في الأغلب الأعم تتلمذوا علي هذه المهنة بمدرسة المسيو دليا أيضاً وهناك أغنية شهيرة جداً للدعاية لمنتجاته.

سعاد : أحياناً باسمع هذا الاسم من بابا لكن ما كنتش باهتم – وأنت يا علي عارف الغنوة ده – إذا كنت عارفها أحب أسمع كلماتها.

علي : قوي قوي تقول كلماتها...

مين زي في نباهتي وأبهتي وشياكتي
الله يخلي نينا وبابا خالتي
قلت لبابا يا بابا أنا بدي بدلة تكون شيك علي الموضة
وشالستون موش زي بتاعة جدي
أم جاب البدلة هدية من عند المسيو دليه
ودفعلي حقها وقالي خدها هدية

سعاد : جميل قوي.

علي : وهذا الخواجة يوجد غيره كثيرون مثل سمعان صيدناوي، شملا، داود عدس، روزدي باك، وإسكندر أفرينو.. وهؤلاء الناس يرجع إليهم الفضل في نقل الموضة والموديلات الحديثة من أوروبا والأهم من ذلك كما سبق هذا الجيش الكبير من العمالة الذين يتدربون في مصانعهم وورشهم علي كل فنون الإنتاج- والذي يعرف طريقه أيضاً للتصدير للأسواق الأوروبية ببساطة لأن هؤلاء الناس يعرفون جيداً كيف تتم دراسة الأسواق الخارجية وما هي احتياجاتها وكيف يكون التعامل معها.. وباختصار ممكن نقول إننا في مصر استفدنا كثيراً من هؤلاء المستثمرين في شكل عمالة مصرية بالإضافة إلي تدريب لهذه العمالة بالمجان ثم ضرائب تدفع للدولة المصرية علي أرباحهم وهناك شيء آخر مهم هو قيمة مضافة في هذا الإنتاج تدخل الناتج القومي المصري.

سعاد : يعني إيه ناتج قومي.

علي : بلاش ده بقي علشان هذا الموضوع اقتصادي ومحل دراسته لكلاً من طلاب كليات التجارة والهندسة.

سعاد : يا سلام ده أنت حكاية يا سي علي يعني المسألة موش هندسة وبس ده حضرتك كمان راجل اقتصاد ولا أحمد باشا عبود.

علي : وهذا الرجل من النماذج المصرية المُشرفة فهو رائد في صناعات النقل البحري والبتروكيماويات بالإضافة لصناعة استخراج وتكرير السكر من القصب وجميع العاملين في شركاته من المصريين.

وبمناسبة الكلام عن النماذج المصرية العظيمة في مجالات الاقتصاد.. فلابد من الحديث عن طلعت باشا حرب رئيس بنك مصر الذي أخذ علي عاتقه إقامة صناعة وطنية خالصة عن طريق تمويل البنك فكانت صناعات الغزل والنسيج بكل من المحلة الكبري، وكفر الدوار وطنطا والمنصورة وحذا حذوه الكثيرون في تلك الصناعة بالدلتا والصعيد.. وكذلك قامت صناعة الأسمنت وأول شركة مصرية للطيران، وأخري للتمثيل ةالسينما وكذلك صناعة الزجاج والآن البللور المصري ينافس المستورد من بلجيكا، وكذلك ينافس الحرير المصري المُصنع في دمياط بشمال شرق

الدلتا وأخميم بالصعيد المنتج الياباني، وكل هذه الطاقات الوطنية الشريفة بدون شك قد فجرتها ثورة الشعب المصري بقيادة سعد زغلول عام ١٩١٩ وكانت وراء ظهور من تحدثنا عنهم من هؤلاء العصاميون الذين هم بلا شك قادة هذه النهضة.

سعاد : إنت لو اندمجت في الحديث عن الوفد إن شاء الله سوف تنسي نفسك، وأروح أنا في داهية، كفاية كدة فهيا بنا لترام ١٣ أنزل أنا بمحطة قيسون(١) وأنت تنزل بمحطة الرفاعي أحسن أنا شايفة إنني أتأخرت قوي.

علي : وهو كذلك.

(١) نسبة إلي مسجد قيسون أشهر مساجد حي الحلمية وهو موجود بشارع محمد علي بالجزء المواجه لشارع المدارس بالحلمية.

إستدراك

تعرض القطاع الخاص متمثلاً في شكل شركات الأموال[١]، أو الأشخاص[٢] أو المنشـآت الفـردية[٣] لضـربتين تـم بهمـا لقضاء علي المبادرات الفردية الاقتصادية في مجالات الصناعة والزراعة والتجارة بعد الثورة بالشكل الآتي:

- الأولـي مـع بدايـات عام ١٩٥٧ في أعقاب العدوان الثلاثي حيث تم سـيطرة الدولة علي كافة أنواع النشاط الاقتصادي الذي يملكه الأجانب تحت شـعار كبـير وهـو التمصـير، فتم السيطرة علي شركات الكهرباء والمياه والأراضـي والمنشآت التسويقية الكبيرة أمثال بنزايون – داود عدس – إركو – شملا – شركة باتا – شركتي مصر الجديدة والمعادي وهما لضاحيتين من أجمـل ضـواحي القاهرة وعهد بإدارتهما إلي رجال من أهل الثقة من رجال النظام بعد أن تم انتزاعهما من أيدي أصحابها.

- إعتـبار من يوليو ١٩٦١ ومع بداية الهوجة الاشتراكية تم تأميم رأس المـال الوطني العامل في جميع المجالات ووصل الأمر لتأميم مخابز الخبز الـبلدي " أفران العيش " بوصفه رأس مال مُستغل – كما وصل الأمر لوضع الممـتلكات الشخصية كالعمارات السكنية تحت الحراسات، علي أن يصرف لأصـحاب تلـك المنشـآت معاشاً شهرياً ليعيشوا منه، وكان هؤلاء التعساء يتـندرون علـي ذلك المعاش بأن أطلقوا عليه كلمة " النفقة " من باب التهكم وهـو مـا تحصـل علـيه السيدة المطلقة من زوجها. وأطلق علي أصحاب المنشـآت التـي أُممـت أسماء غريبة منها "العاطلون بالوراثة" "الرأسمالية المستغلة" وكذلك "مجتمع النصف في المائة".

- وتسـابقت أجهزة الإعلام.. صحافة، وإذاعة وتليفزيون في مهاجمة ما أسـموه مجـتمع النصف في المائة، وفي نفس الوقت الإشادة بالتوجه الجديد الإشـتراكي – ومـن المضحكات المبكيات مازلت أذكر مشهد تمثيلي لإحدي أغنـيات الفـنانة شادية حيث كانت تقوم بدور مدرسة بمدرسة أطفال وتلقن

---

(١) الشركات المساهمة، وشركات التوصية بالأسهم.

(٢) هى شركات التضامن التى يملكها أكثر من شخص.

(٣) منشأة تجارية يملكها فرد واحد.

التلمـيذات المباديء الإشتراكية عن طريق أغنية حوارية مع الأطفال وتسأل الفـنانة شـادية الأطفال مين أعداؤنا؟. ويجيب عليها الأطفال " الأستعمار – والإقطاع – ورأس المال ".

أي تـم تصنيف رأس المال والذي بدونه تصبح التنمية مستحيلة من ضمن الأعداء – وهكذا تآكل رأس المال الوطني حتى إنسحب نهائياً من المشاركة في التنمـية، وهاجر رأس المال الأجنبي – ومن المعروف أن الدول النامية تتسابق بكافة وسائل الترغيب علي جذب رؤوس الأموال الأجنبية عندها، وهو ما فعلته مالـيزيا، وباقـي دول جنوب شرق آسيا والتي يطلق عليها اسم النمور وأيضاً السعودية ودول الخليج.

القلق فى لندن

أعلن تشرشل في مجلس العموم أن السرعة في زحف القائد الألماني روميل نحـــو العلميـــن أفسدت علي القيادة البريطانية خططها حيث أجبرت قواتهم علي الـــتراجع أمـــام الألمان مسافة ١٥٠ ميل بعد سقوط طبرق، والضبعة والسلوم، وأصـــبح الطـــريق مفـــتوحاً لمرسي مطروح والإسكندرية، لذلك فإن المحللين العســـكريين يعتـــبرون معركة جسر الفرسان والذي فقد الجيش البريطاني فيها معظـــم مدرعاتـــه نقطـــة تحول كبيرة في حرب الصحراء لصالح ثعلبها نابغة العســـكرية المارشـــال رُومـــيل، وبعد سقوط مرسي مطروح ملأت الشائعات الأجـــواء المصـــرية عن تخاذل الإنجليز في القتال وفرارهم أمام قوات روميل بشـــكل مهيـــن، حيث كانوا يتصورون أن أمامهم علي الأقل ثلاثة أسابيع لإعادة تنظـــيم القـــوات، ثم القيام بالهجمات المضادة ضد الألمان، لكن القائد المُحنك لم يســـمح للقيادة العسكرية البريطانية في مسرح العمليات بما يعرف بإعادة تنظيم القـــوات حيث فوجيء الإنجليز بوصول القوات الألمانية للعلمين وعلي مستوي الشـــعور العام في كلا من القاهرة والإسكندرية بدأت هجرة اليهود بعد أن باعوا منشـــآتهم التجارية بأقل الأثمان، كما كانت هجرتهم لفلسطين وجنوب أفريقيا – ولـــنفس الأســـباب هاجر للسودان الأديب والكاتب الصحفي عباس محمود العقاد بســـبب حملـــته الكبيرة علي النازي في الصحافة وأحاديثه الإذاعية. والويل كل الويـــل للشعوب المغلوبة علي أمرها، والتي تدور رحي المعارك العسكرية بين طرفيـــن قويـــان علي أرضها، فقد كان تفكير الإنجليز يدور في إتجاهين الأول عســـكري فـــي مســـرح العمليات، والثاني سياسي في القاهرة، أما علي الجانب العســـكري فقد كانت خطتهم والتي تم إعدادها بعناية ومُلخصها أن الدفاع عن قـــناة الســـويس يجـــب أن يـــبدأ في الدلتا والتي هى من وجهة النظر العسكرية البريطانية تعتبر مسرحاً مثالياً للدفاع ضد القوات الغازية لما يلي :

- الدلـــتا مليئة بالعشرات من الترع والرياحات والمصارف المائية والتي تقطعهـــا طـــولاً وعرضاً ولذلك فهي موانع طبيعية ضد المدرعات الألمانية وقواتهم الميكانيكية والتي سوف تغوص في الطين والأرض الرخوة ومن هنا تفقد القيادة الألمانية عنصر المفاجأة وكذلك السيطرة علي القوات

- تقـــوم القوات الجوية البريطانية ومعها المدفعيات بعيدة المدي بالتعامل مع القوات الغازية.. الأمر الذي يُسهل من تدميرها ولو حدث ذلك، فالله وحده

هو الذي يعلم حجم الخراب والدمار الذي كان سوف يحل بمصر، علاوة علي إزهاق أرواح مئات الآلاف من أبناءها بفعل نيران الطرفين، لذلك فإن رحمته بنا تمثلت في نجاح قوات الجيش الثامن البريطاني في الصمود فى العلمين ثم استئناف الهجوم واسع النطاق الذي شنه نفس الجيش بقيادة الجنرال مونتجمري (فيلد مارشال فيما بعد) في الخريف في نفس العام (أكتوبر نوفمبر ١٩٤٢) حيث نجح الحلفاء في تحقيق أول نصر عسكري كبير علي قوات المحور – الأمر الذي حدي بتشرشل أن يأمر الكنائس في كل أنحاء بريطانيا بأن تدق أجراسها ابتهاجاً بذلك النصر الكبير.

وعلي الجانب السياسي في القاهرة – كان الإنجليز يلحون علي الملك فاروق، ورئيس ديوانه أحمد باشا حسانين بضرورة عودة الوفد للحكم – وذلك ليس حباً في عيون زعامته المعروف عنها كراهيتها الشديدة لهم – ولكن لتأمين ظهورهم بالاستقرار الداخلي المصاحب دائماً للحكومة الوفدية – خاصة بعد قيام حكومة في العراق موالية للألمان بعد حركة رشيد عالي الكيلاني هناك واستيلاءه علي السلطة، لذا فقد كانوا الإنجليز في تخوف من تكرار ذلك الذي حدث بالعراق في مصر، ولعلمهم الأكيد بالرفض الشعبي لحكومات الأقلية منذ إقالة الوفد في ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ بمرسوم ملكي جاء به بكل كذب " إن الشعب لم يعد يؤيد الحكومة "، وكذلك لإيمانهم بأن الوفد هو حزب الأغلبية، لذلك قرر الإنجليز العمل ضد فاروق بتوجيه إنذار ٤ فبراير الشهير عن طريق سفيرهم في مصر السير " مايلز " وبصحبة الماريشال " ستون " القائد العام للقوات البريطانية في مصر ومضمونة (**إذا لم يُكلف النحاس باشا بتأليف الوزارة قبل السادسة فإن الملك يجب أن يتحمل النتائج، وطلب من فاروق التنازل عن العرش أو تكليف رفعة مصطفي باشا النحاس بتأليف الوزارة واستسلم الملك**).

وفي صبيحة اليوم التالي حرص الحاج عبد الله علي تناول إفطاره مع أولاده وبعد صمت لم يدم طويلاً، نظر ناحية ولده الأكبر ثم قال له:

الحاج عبد الله : طبعاً إنت عارف إن الوفد شكل الوزارة إمبارح.

علي : عارف.

الحاج عبد الله : ما أنا عارف إنك كنت في النادي السعدي – وجود الوفد في الحكم ده حاجة تبسطني وتفرح الناس كلها لكن عايز أعرف إيه دخل الإنجليز بالموضوع ده ؟ لأني موش

مرتاح للحكاية بالشكل ده وياريت أفهم منك الموضوع علي أصوله.

علـــــي : طبعاً، يا حاج أنت عارف إن موقف الإنجليز في الحرب مهـزوز وغـير مطمئن وأكثر من ذلك يستعدون للتراجع للسـودان وفـي نفس الوقت خايفين من تمرد الشعب علي حكومة الأقلية الموجودة ولو حصلت ثورة أو تمرد حيكون فيه قلق في البلد يعني عايزين حكومة يكون الشعب راضي عـنها – ثم أوضح وزي ما كل الناس عارفة أي انتخابات غـير مـزورة لابد أن يفوز بها الوفد والإنجليز عارفين الكـلام ده كويـس، وفاهميـن أيضـاً أن الوفد هو حزب الأغلبية وبالتالي لما يكون هناك حكومة وفدية تصبح البلد مستقرة وخصوصاً في حالة الحرب الموجودة، والموضوع زي ما شرح لنا في النادي السعدي كان في غاية الخطورة موش علي الملك لكن علي البلد كلها.

الحاج عبد الله : إزاي، عايز أفهم وبالتفصيل

علـــي : حاضر.. ثم بدأ يلخص الموقف بالشكل الآتي:

- يوم الاثنين الموافق ٢ فبراير ١٩٤٢ استقالت وزارة حسين سري باشا.

- طلـب الإنجليز من الملك عن طريق السفير البريطانـي للأسـباب التي ذكرتها تكليف الـنحاس باشـا بتألـيف الوزارة أو إسناد رياستها لمن يختاره هو.
- أرسل الملك فاروق، وتم استدعاء كلاً من :
  - ❖ رؤساء الوزارات السابقين.
  - ❖ رؤساء الأحزاب.
  - ❖ رئيس مجلس الشيوخ.
  - ❖ رئيس مجلس النواب.
- وطلـب مـنهم جميعاً تأليف وزارة قومية ووافق الجميع علي رئاسة مصطفي النحاس

لتلك الوزارة لكن النحاس أصر علي رفضه الإشتراك في تلك الوزارة.

- يوم الثلاثاء الموافق ٣ فبراير أخبر السفير البريطاني " مايلز لامبسون " من رئيس الديوان الملكي أحمد باشا حسانين إنه علم برفض النحاس للإشتراك أو رئاسة وزارة قومية وطلب منه أيضاً ضرورة تقديم النصح للملك بتكليف النحاس بتأليف الوزارة.
  - فهم السفير البريطاني من رئيس الديوان الملكي أن المشاورات بين الزعماء مازالت مستمرة ولم يتم حسم الأمر بعد. وانصرف السفير من عنده علي هذا الأساس.
- يوم الأربعاء الموافق ٤ فبراير في الليلة البارحة عاد السفير وسلم رئيس الديوان – وهنا تدخل الحاج مقاطعاً ولده قائلاً " إنذار ".

علي : بالضبط كده إنذار وها نصه " إذا لم أعلم قبل السادسة مساءاً إن النحاس باشا قد دُعي لتأليف الوزارة فإن الملك فاروق يجب أن يتحمل تبعات ما يحدث ".

- تم استدعاء الزعماء عن طريق رئيس الديوان للإجتماع بقصر عابدين – وطالت مناقشتهم دون الوصول لإتفاق ودخل عليهم أحمد باشا حسانين ليذكرهم بضرورة الرد علي الإنذار.
- الوحيد بين المجتمعين الذي أيد النحاس باشا في موقفه كان أحمد زيور باشا، وصاحب العبارة الشهير وهي " إنقاذ ما يمكن إنقاذه "
- في حوالي الساعة التاسعة مساءاً زحف علي ميدان عابدين عدة آلاف من القوات البريطانية بملابس الميدان، وتم تطويق القصر الملكي من جميع الجهات، كما تم

تحطـيم الـباب الرئيسي والذي كان يُسمي بالـباب الملكـي بواسـطة إحدي الدبابات ودخلت منه لحرم القصر، ودخلت من نفس الـباب سـيارة السـفير البريطاني، ومعه الجـنرال ستون قائد القوات البريطانية في مصـر – ثـم توقفت السيارة، ونزلا منها لداخـل القصـر يـتقدمهم ثمانـية ضباط بريطانيين وهم شاهرين مسدساتهم.

- كبـير الأمـناء بالنيابة وهو إسماعيل باشا تيمور سألهم قائلاً " " ماذا تريدون ؟".. لكن السفير البريطاني نحاه بيده قائلاً: "أنا أعرف مـا أريـد" وتمت محاصرة ثكنات القصر الخاصـة بالحرس الملكي الذي تم تجريدهم من السلاح – وحدث قتال لكنهم تغلبوا علي أفـراد الحرس الذي أصيب الكثيرين منهم بجـروح وصدرت لهم الأوامر بالكف عن القـتال كمـا صـدرت الأوامر للطائرات البريطانـية مـن قاذفات القنابل بالاستعداد للـتعامل مـع قـوات الجـيش المصري، والوحدات التي تم تحديدها بدقة علي خرائط العمليات في حالة تحركها، وفي نفس الوقت قطعـت جمـيع الاتصـالات التليفونية بين القصـر والخـارج، كما حوصرت محطة الإذاعة لمنع وصول الخبر للشعب.
- وأعلن فاروق قبوله للإنذار البريطاني، وأنه يُكلـف مصـطفي باشـا الـنحاس بتأليف الوزارة.
- وحدث إعتراض علي قبول الإنذار وتأليف النحاس للوزارة من كلا من الدكتور / أحمد ماهر، وإسماعيل باشا صدقي.

الحاج عبد الله : قائلاً ياه للدرجة دي.. ده شيء صعب قوي – الواحد مننا موش عارف يقول مين فيهم علي حق، ومين علي باطل وسبحان المنجي.

عـــلي : وعلي العموم إن الذي كلف النحاس بتشكيل الوزارة هو الملك – وليس الإنجليز، وإذا كان هناك من أرغم أو أهين فهو فاروق نفسه والذي بسبب إقالته للوفد فى ديسمبر ١٩٣٧م. وظل حزب الأغلبية خارج الحكم خمس سنوات والحكم في يد الأقلية المتمثلة في تحالف السعديين والأحرار الدستوريين ثم قال. وماذا كان يستطيعه النحاس باشا أو غيره أمام تلك القوة الغاشمة وهل كنا نحن نملك القوة العسكرية التي تستطيع التصدي للإنجليز ؟؟ وعلي فرض رفض الوفد تشكيل الحكومة وجاءت أخري من أحزاب الأقلية – كان لابد من موافقة الإنجليز الذين كان ظهرهم والحائط وهزائمهم في الصحراء هي التي فرضت عليهم كل ذلك.. مع العلم بأن النحاس رفض تشكيل الوزارة إلا بعد الرد علي الإنذار البريطاني، واعتباره تدخلاً في الشئون الداخلية المصرية – كما أصر رفعته علي توجيه خطاب للسفير البريطاني يحتج فيه علي التدخل في شئون الدولة المصرية وأن يُعتبر هذا الخطاب ضمن وثائق تشكيل الوزارة.

إستدراك

أثبتت الوثائق البريطانية بعد مرور ثلاثين عاماً علي حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ بأن النحاس باشا فوجيء مع غيره بهذا الموقف حيث كان مطلوب حكومة أغلبية قــادرة علي الإمساك بزمام الموقف الداخلي، ويرضي عنها الشعب، وفي نفس الوقت تلتزم بتنفيذ بنود معاهدة ١٩٣٦.. وأثبتت الأحداث بعد ذلك بأن كلا من النحاس، ومكرم عبيد كانا بريئين تماماً من تهمة التآمر مع الإنجليز، والمصري الوحــيد الــذي كان علي علم مسبقاً بهذا الموضوع هو المرحوم أمين عثمان. وربمــا كــان اغتياله فيما بعد بمعرفة الحرس الحديدي للملك تصفية حساب ٤ فبراير ١٩٤٢.

وقد يتساءل سائل عن أسباب إصرار النحاس علي الرفض في الإشتراك في الحكومــة الإئتلافية والتي تمثل فيها الأحزاب برئاسته، والرد علي ذلك بأنه في أواخر صيف عام ١٩٤١ اقتنع النحاس بالتعاون مع الأحزاب الأخرى فأعلن إنه يمد يده للجميع من أجل العمل في الظروف الخطيرة لمصلحة البلاد العليا – ولما لــم تــرد الأحزاب علي هذه الدعوة – عاد وأعلن أنه قبض يدَه الممدودة " وإن الحكــم للأمة والناخبين – أي أنه رفض الائتلاف وتوزيع الكراسي ورجع لطلبه القديم، وهو الاحتكام للشعب في انتخابات تجري.. والحُكم يكون لمن يفوز.

أما طلبه القديم فيمكن تلخيصه في الآتي :

- جرت مفاوضات في كفر عشما بين النحاس باشا، وعبد الوهاب طلعت وكيل الديوان الملكي – وفي هذا الاجتماع رفض النحاس فكرة تأليف وزارة إئتلافية – كما نصح بتشكيل وزارة محايدة كما رشح لها سيف الله يسري باشا – علــي أن تجــري بعــد ذلك في ظلها انتخابات – وبالطبع سيفوز حزب الأغلبية.

- رفــض الــنحاس للمــرة الثانية وهو ضيفاً علي آل مكرم عبيد السفر للقاهرة، ومقابلة الملك في قصر عابدين – وبرر الرفض بأن سبب الاستدعاء لــن يخــرج عن محاولة من الملك بإقناعه بفكرة الوزارة الائتلافية وأن هذا الطلب مرفوض في ضوء سابقة الفشل في التعاون مع أحزاب الأقلية.

- وفـــي اجـــتماع الـــزعماء كما سبق الإشارة بقصر عابدين للتباحث في موضـــوع الإنذار البريطاني كان النحاس باشا يرفض الإنذار لأنه كان يراه تدخلاً في الشئون الداخلية المصرية، وفي نفس الوقت كان يري أن الأمر جد وخطير، ويجب التعامل معه بمعيار الجد.

- وفي الاجتماع الثاني والذي عُقد في الساعة الثانية والنصف مساءاً لفت نظر الحاضرين بأن الإنذار ليس مظهر من المظاهر وأنه يُعرض البلاد بأن تصـــبح محمية[1] بريطانية ويُهدد العرش، ونظراً لخطورة الموقف فهو علي اســـتعداد لتشـــكيل حكومـــة وفدية.. إذا كلفه الملك بذلك وإنه لا يقبل تشكيل الوزارة بناء علي الإنذار البريطاني.

وأري أن كـــل من يحاول تقييم حادي ٤ فبراير ١٩٤٢ – أن يفعل ذلك من خلال الظروف السياسية التي حدث فيها وليس من خلال القراءة عنه فقط.

---

(١) المحمـــيات الســـبع – هـــذا الاسم كان يطلق علي كيانات عربية فقيرة – وتخضع للحكم العســـكري البريطانـــي لتأميـــن طرق مواصلات الإنجليز للهند، وحصلت علي إستقلالها في السبعينيات وتعرف الآن باسم دول التعاون الخليجي

وفاة المطربة أسمهان

١٤ يوليو ١٩٤٤

جلـــس الحاج عبد الله يحتسي شاي الصباح مع أولاده حيث ترامي لأسماع الجميع صوت عم جلال بائع الجرائد وهو ينادي بشكل غير عادي كلمتي " موت أســمهان – مــوت أســـمهان " وتساءل الحاج أسمهان مين " هل هي المطربة المعــروفة ؟ " وأجابـــه علي غالباً هي مافيش حد آخر بالاسم ده ثم وجه كلامه لشـــقيقه الأصـــغر موســـي قائلاً " " إنزل يا موسي مسرعاً وهات لنا المصري وشوف الحكاية إيه بالضبط.

وفي لحظات حضر الولد الصغير ومعه الجريدة والمانشيتات العريضة عن وفـــاة المطـــربة ذائعـــة الصيت غرقاً أثناء سفرها لمصيف رأس البر بسيارتها الخاصة.

الحاج : لا حول ولا قوة إلا بالله ثم أضاف " كل نفس ذائقة الموت " صدق الله العظيم.

علي : خسارة كبيرة صوتها فعلاً كان من أجمل الأصوات ويمكن لو امتد بها الأجل أكثر من هذا كانت أثرت الفن لكن لكل أجلٍ كتاب

الحاج : موش الغنوة اللي أنا دايماً أحب الاستماع إليها موش برضه بتاعتها.

علي : أي أغنية.

الحاج : غنوة " عليك صلاة الله وسلامه شفاعة يا جد الحسنين".

علي : فعلاً هي صاحبة تلك الأغنية.

الحاج : لكل أجل كتاب عن إذنكم، وترك أولاده يتجاذبون الحديث في موضوع أسمهان.

دخل علي حجرة شقيقه الأصغر موسي فشاهده منهمكاً في تلاوة القرآن من المصحف ولم يقطع علي أخيه التلاوة وبعد انتهائه منها بادره مستفسراً.. موسي أنا أول مرة أشاهدك تقرأ من المصحف الشريف، وليس من الكتاب المدرسي.

موسي : أنا الآن قرأت ثلاث أجزاء وهي قد سمع، تبارك وجزء عم علي روح أسمهان.

علي : للدرجة دي تحبها.

موسي : أصلي أنا باحب فيلم " إنتصار الشباب " وهي بتغني فيه غنوة إيدي في إيدك تسير والمولي راعينا، وباحب كمان غنوة جلا جلا هنا الدواء.

ودلـف علـي لحجرته بعد مداعبته لرأس أخيه الصغير حيث استلقي علي فراشه وهو ما زال يقرأ في جريدة المصري.

وقـرب الضـحي بمقهي عكاشة كان اللقاء بين الصديقين علي، وإسماعيل شريف، وبعد تبادل التحية سأل إسماعيل علي قائلا :

إسماعيل : سمعت آخر الأخبار.

عـلي : أخبار الحرب أم أسمهان.

إسماعيل : وفاة أسمهان ثم قال لو كانت المسكينة تعرف أن وفاتها ستضع كل ذلك الضجيج ما كانتش ماتت،

عـلي : يا سيدي الموت ده لا بإيدي ولا بإيدك.

إسماعيل : صحيح لكنها كانت شخصية غير عادية.

عـلي : إزاي.

إسماعيل : هناك كلام كثير عن وجود علاقة بينها وبين أحمد باشا حسانين

عـلي : متسائلاً رئيس الديوان ؟.

إسماعيل : أيوه وكان دائم التردد عليها بفندق مينا هاوس حيث كانت تقيم، ثم أضاف وفي موضوع ثاني عن هذه العلاقة والملك طرف فيها.

عـلي : الملك كمان – طيب أزاي ؟،

إسماعيل : سمعت من والدي نقلاً عن صديق للأستاذ محمد التابعي[١] – والذي سمع القصة من أحمد باشا حسانين بنفسه وهي كما يلي

– في أحد الأيام كان حسانين باشا يجلس بمكتبه بالسراي وفجأة سمع صوت أسمهان في إحدي أغنياتها المعروفة وأعتقد أن هذا الصوت ينبعث من إحدي أجهزة الراديو العديدة في السراي، وانتهت الأغنية، وأعقبتها أخري أيضاً لأسمهان ثم ثالثة، ورابعة،

(١) مصر ما قبل الثورة.. أ. محمد التابعى..

وخامسة وهنا شك أحمد باشا حسانين في الأمر وترك مكتبه ومشي للنافذة، ومنها رأي الملك فاروق واقفاً وأمامه علي المائدة جهاز فونوغراف وأحد الخدم يحمل بضع إسطوانات ورفع الملك رأسه ورأي أحمد باشا حسانين وقهقه ضاحكاً وصاح "ميسوط يا حسانين".

علـــي : يا سلام للدرجة دي الحكاية كانت معروفة ؟.

إسماعيل : هذا ما سمعته والإشاعات كثيرة عن تلك الوفاة – إحداها تقول إنهـا جنائية ومن تدبير مطربة منافسة– وأخري تقول إنها من تدبـير المخابرات البريطانية حيث إنها كما تقول الإشاعة كان لها نشاط تخابري لصالح المحور.

علـــي : الحقيقة يعلمها ربنا ومن المؤكد إن هذه الشائعات سوف تستمر لفترة طويلة.

إسماعيل : موافق تماماً علي كلامك لأن الفقيدة كانت شخصية فنية كبيرة، وأيضـاً لها علاقات متعددة وفي نفس الوقت كانت متمردة لا تثبت علي حال.

علـــي : إزاي وكيف ؟.

إسماعيل : كانت متزوجة من حسن الأطرش أمير جبل الدروز – ثم طلقت منه، وعادت إليه مرة أخري ثم جاءت إلي مصر ورفضت العودة لجبل الدروز، وطلقت للمرة الثانية ثم تزوجت من الفنان أحمد سالم بطريقة غريبة جداً – حيث تقابلا بالصدفة بفندق الملك داود بالقدس وكانت الفنانة تحية كاريوكا بصحبة أحمد سالم وكلاهما صديقاً لأسمهان، وغادرت تحية القدس للبنان لإحياء بعض حفلات رقص سبق التعاقد عليها، وعند عودتها فوجئت بزواج أحمد سالم من أسمهان ومع ذلك كانت حياتها الزوجية سلسلة من الأزمات فأحمد سالم رجل غيور – وزوجته عاشقة للحرية فهو يسأل ويدقق في كل صغيرة وكبيرة وهي العكس وفي إحدي المشاهد العاصفة بينهما أقدم هو علي الانتحار وأسعف في اللحظات الأخيرة ومرة أخري أطلق عليها الرصاص ولم تصب.

عـــلي : أنا سمعت الحكاية دي، ونشرتها الصحف وفي هذا اليوم أصيب الأمـــيرالاي أحمد إمام[1] بطلق ناري وهو يحاول تهدئة أحمد ســالم، ثــم أطلق الرصاص علي نفسه وسكنت الرصاصة في إحــدي رئتــيه، ثــم قال علي العموم أنا متهيألي يا إسماعيل ســعادتك كده بحجم ما عندك من معلومات عن أسمهان وأحمد سالم إنك إن شاء الله سوف تصبح صحفي متخصص في شئون أهل الفن.. يعني موش مهندس.

إسماعيل : من الجائز فالأستاذ علي أمين مهندس.

عـــلي : بالضبط كده – وعموماً أحنا خُضنا كتير قوي في سيرة أسمهان أقرأ معي الفاتحة علي روحها.

وأنصرف الصديقان علي وعد باللقاء.

---

(١) من أشهر ضباط الشرطة.

فـــي ليلة من ليالي شهر كيهك شديدة البرودة دق جرس الباب لمنزل الحاج عـــبد الله وكان القادم هو عبد السلام – خطيب نجية ونظراً لصلة القرابة بينهما كـــان يتعامل مع خطيبته وأخواتها باعتبارهم أولاد خالة وهم كذلك يعتبرونه أبن عمتهم، وفي كل زيارة يحضر بعض الهدايا والتي كانت تتمثل في علبة البسطا[1] أمـــا في هذه المرة فقد زاد عليها كميات كبيرة ملفتة للأنظار من فاكهة الموسم، ومثل هذه الهدايا المتواضعة كانت تستخدم لتقييم العريس تطبيقاً لمثل شعبي يقول " إن العريس يعرف من نفقته وتهلل للفور وجه الحاجة أم علي عند رؤية خطيب أبنتها، ومدت له يدها للسلام مرحبة وهي تقول :

" أهـــلاً وســـهلاً ياســـي عبد السلام ثم أضافت ليه التعب ده كله، ورد عبد السلام قائلاً : " إزيك يا مرات خالي أمال هو بيرجع أمتي "

الحاجـــــة : موش حيتأخر كتير، وإن كنت عايزه في حاجة نبعتله.

عبد السلام : لا ما فيش حاجة – براحته ييجي بالسلامة.

وتركـــته يجلـــس مع أولادها، وتحولت هي حيث ينتظرها واجب كبير في المطـبخ والذي أعلنت به حالة الطوارىء لتقييم مدي مناسبة الموجود من طعام العشاء، وعما إذا كان الأمر يتطلب إضافات عن طريق زيادة كمية اللحوم – أو ذبـــح بعض الطيور الموجودة بالعشش بسطح المنزل لنفس الغرض، وبعد أن تم إعـــداد كـــل شـــيء علي خير وجه، هيئت نجية نفسها للسلام علي عريسها بعد إرتدائها أحد فساتينها الجديدة وتزينت وأصبحت في أبهي صورة ثم دخلت لحيث يجلـــس فـــي استحياء للسلام، وجلست في صمت الذي قطعه شقيقها، وهو يوجه الكـــلام للعريس متسائلاً : إيه يا عُبد إحنا هانفضل قاعدين كده – ثم أضاف قوم بنا نلعب عشرتين كوتشينة حتى يصل الحاج والغالب مستمر.

عبد السلام : متسائلاً نلعب إيه.. الكومي ؟.

عـــــلي : أيوه.

وبدأ الصديقان في اللعب حتى سُمع رنين جرس الباب معلناً وصول الحاج الـــذي دخـــل وألقي التحية علي الجلوس ورأي بينهم عبد السلام الذي هب واقفاً للســـلام علـــي خاله قائلاً إزاي صحتك يا خالي ورد الأخير الحمد لله ثم أضاف أهلاً وسهلاً، وإنت يا عبده إزاي أحوالك، ورد عبد السلام بخير والحمد لله.

---

(١) الجاتوه.

وفي أقل من عشر دقائق كانت المائدة قد أُعدت للعشاء ونادي الحاج بصوته المحبب متساءلاً يا أولاد العشاء جاهز ؟

نجية : نعم يا بابا إتفضلوا.

الحاج : بنا يا أولاد، إتفضل يا عبده.

ومـال عبد السلام علي أُذن خاله هامساً، وقال عايزك في كلمتين يا خالي وعلـق الحـاج ضاحكاً الآن، أم بعد العشاء وضحك الحاضرون وأضاف الحاج عبد الله حاضر يا سي عبده، ثم قال يا حاجة الشاي في حجرتي.

وعلـي الكنبة الإسلامبولي جلس الرجل الودود وبجواره عبد السلام وعلي الكنـبة المقابلـة جَلس علي، وبينهما منضدة دائرية وضعت عليها صينية الشاي وقـال الحاج لولده.. مستني إيه يا علي ما تُصب الشاي ونظر ناحية عبد السلام وقال خير يا عبده ؟

عـبد السـلام : إن شـاء الله خـير ثم أضاف أنا ربنا وفقني والحمد لله، واستأجرت محل بإسمي في الحي التجاري بالخيامية قبل بوابة المتولي وأقوم الآن بتجهيزه- وبه صندلة علوية كبيرة وكمان ملائكته خفيفة وأنا حاسس كده إن رزقه حيكون واسع.

الحاج عبد الله : مبروك يعني خلاص سوف تترك عملك عند الحاج أحسن في السيدة ؟.

عبد السلام : بالضبط ثم قال موش معقول أستمر العُمر كله عامل بأجر عند الحاج أحسن، صحيح الراجل يعاملني كأبنه، وأنا أتعلمت التجارة عنده لكن لازم أكون صاحب محل.

الحاج عبد الله : بالتأكيد وعلي بركة الله ثم سأله متي يكون المحل جاهز.

عبد السلام : أسبوع بإذن الله.

عـلي : مبروك يا عبده.

ورد الأخير الله يبارك فيك وبالمناسبة دي نتيجتك إمتي ؟

عـلي : قول يا مُسهل وإن شاء الله تكون الفرحة فرحتين.

الحاضرون : إن شاء الله.

ثـم قال الحاج اعتمد علي الله يا عبد السلام فربك هو المعين ومن غير ما أتكلـم أنا كلام كتير أنت موش لازمك مصاريف.. ثم أضاف إذا احتجت أطلب علي طول.

عبد السلام : ربنا يخليك لينا أنا عامل حسابي والحمد لله.

الحـــاج : أنا عارف إنك عامل حسابك لكن النهاردة الظروف أتغيرت علشان المحل الجديد.

عـبد السلام : ما فيش مصاريف ولا حاجة المحل إيجاره مائة وعشرون قرشاً في الشهر – وشهر تأمين ودفعتهم، وكذلك مصاريف التوضـيب أنـا عامل حسابي عليها من قبل.. أما بالنسبة للبضـاعة أنت عارف أن المعاملة في السوق أساسها الثقة وأنـا والحمـد لله معروف في الحمزاوي[1] لأنني أنا الذي كنـت أتعـامل هناك مع التجار والحاج أحسن كان معتمد علي الله والعبد لله في هذا الموضوع، وهؤلاء أبدوا إستعداد طيـب لمساعدتي وقالولي " خلص المحل وإحنا حنزورك نـبارك وكل طلباتك حتوصل لغاية عندك إللي معاك إدفعه والباقي علي أقل من مهلك ".

الحـــاج : كده يبقي علي بركة الله.

عبد السلام : لسه فيه حاجة تانية.

الحـــاج : تانية إيه بقي ثم قال بلهجة أبوية أنا عارف إنك موش حتجيبها البر الليلة دي.

وابتسم الجميع ثم قال هات يا سيدي ما عندك.

عبد السلام : موش تخلص بقي من موضوعي أنا ونجية قبل شهر رمضان، ورمضان باقي عليه حوالي شهرين.

الحـــاج : إحنا في أواخر جمادي الثاني يعني باقي شهرين رجب، وشعبان.

عبد السلام : بعد إذنك خميس أول الشهر يكون مناسب قوي.

الحـــاج : علي بركة الله ثم نادي علي أم علي، يا حاجة.

أم عــلي : أيوه يا حج فيه حاجة.

الحـــاج : إحنا حددنا زفاف نجية، وعبده أول الشهر، يعني معاكي شهر تخلصي فيه كل اللوزام، تنجيد، شراء النحاس وأدوات المطبخ، وكل ما يلزم.

---

(١) شارع الأزهر مخصص لتجارة الجملة.

أم علي : إللي تشوفه ربنا يتمم لهم بخير.

الحاج : ناوي تسكن فين.

عبد السلام : في أي مكان تختاره نجية وعلي العموم أنا عندي شقتين الأولي بالحلمية القديمة، والثانية بشارع محمد علي بناحية الحبانية.

الحاج : الصبح إن شاء الله يا علي والست والدتك والست إعتدال جارتنا والعروسة تتفرجوا علي الشقتين.

وإنت يا عبده معاهم واللي تعجب أكتبوا عقدها وكده يبقي موضوع السكن خلص خالص.

علي : إن شاء الله.

عبد السلام : موجهاً حديثه للحاج – والحاجات الثانية.

الحاج : سيب الموضوع ده لي أنا أنت تجتهد في موضوع الدكان الجديد وبس.

عبد السلام : ربنا يخليك لينا لما تجوزهم وتفرح إن شاء الله بعيالهم.

" أستأذن الحاج من الجميع معلناً بأن موعد نومه قد حان، وأنصرف علي الفور الموجودون لحجرة المسافرين[1] وهناك داعب علي شقيقته قائلاً : "خلاص كلها شهر وتروقيلنا البيت، ثم قال أنا موش عارف عبده إيه اللي عاجبه فيكي ؟

عبد السلام : كلها يا خويا عجباني – ولما نشوفك إنت بقي حاتتجوز مين.. وقالت نجية : " علي العموم مش حارد عليك "

علي : ضاحكاً هو لسه فيه حاجة ثانية تقوليها ما أنت عندك محامي، وهو بسلامته رد بما فيه الكفاية وضحك الجميع

وهمس عبد السلام في أذنه قائلاً : " قوم بنا نكمل السهرة في الخارج.

علي : متسائلاً فين يعني ؟

عبد السلام : في مقهي المسلكاتي.

علي : فين دي ؟

عبد السلام : إنت مالك قوم بس غير هدومك

علي : وإشمعني القهوة دي بالذات ؟

---

(١) حجرة الصالون.

عبد السلام : مقهي ظريف وهناك ألتقي بأصدقائي من تجار الحمزاوي
وكمان فيها إسطوانات عبد الوهاب.. في الليل لما خلي،
وبلبل حيران، وكذلك إسطوانات لفريد الأطرش وطبعاً
كوتشينة وشيش.

عـــــلي : ما إنت عارف أنا موش بتاع شيشة.

عبد السلام : يا سيدي إتعلم، أو أشرب ينسون بس قوم.

ودخل علي لتغيير ملابسه بحجرته، وشقيقته تتحدث مع خطيبها مختلسة نظرات خاصة وخاطفة لوجهه الأبيض المشبع بالحمرة وشعر رأسه الممشط علي طريقة الفنان محسن سرحان[1] حتى جاء صوت شقيقها قائلاً : " قوم يا سيدي لما أشوف حاتسهرنا فين " واستأذن عبد السلام من الحضور وخرج وهو يتأبط ذراع صهره لمقهي المسلكاتي.

(١) ممثل معروف كان الشباب يقلدونه فى ملابسه وتسريحه شعر رأسه.

الزفـــاف

ومضـت الأيام سريعة حيث لم يتبق علي الزفاف سوي عشرة أيام، ومنزل الحـاج عـبد الله كـل مـن فيه يعمل كخلية نحل، وقد جافي عيونهم النوم، فأم العـروس ومعهـا جاراتها منهمكات في إعداد ثياب العروسة، الزغاريد تجلجل بالبل والنهار بعد أن قام عم حسين أبو شنب صاحب محل الفراشة بالحي بواجيه في وضع البيارق الخضراء بهلالها الأبيض ونجومها الثلاث في مجموعات علي واجهة المنزل وفي عصر كل يوم تجتمع الشابات من صديقات العروس بمنزلها للغـناء بالمناسبة السعيدة ومعهن أم العروس وجارتها وكان للحاجة أغنية وحيده تغنيها بكل الحب والوقار وعلامات البشر بادية علي وجهها الوقور تقول كلماتها:

مناديلك الجُـــداد   علق يا فراش

من أرض الحجاز   علق يا فراش

كانت تُغني ودموع الفرح تبلل وجهها كما كانت تخنق صوتها العبرات أما الشـابات فكن يرددن أغاني العصر أهمها " إمتي هاتعرف إمتي إني بحبك إنت، ثـم يتوقفن عن الغناء مطالبات السيدة فردوس صديقة الأسرة وصاحبة الصوت الجميل أن تغني ومع إصرارهن قالت :

ياما أرق النسيـم   لما يـداعب خيـالي

خلاني وحدي أهيم   واسبح في وادي الأماني

ثم أتبعت الغنوة بأخري قالت فيها :

يا قلبي مالك كده   حيران

حيـرت أفكاري   ويـاك

وبيـن الحيـن والحين يُقدم الشربات والمرطبات للحاضرين ويستمر الغناء لـنهاية السهرة، والتي ينصرفن بعدها مع الإتفاق بالتبكير في الحضور في اليوم التالي لإستئناف الاحتفال بالزفاف.

وقبل الموعد بيومين وصل لمنزل الحاج عبد الله المعلم عزوز ومعه عمالة وهـو أشـهر طهاة الأفراح وورائهم عربة كارو محملة بأواني نحاسية من كل الأحجـام والأشكال لزوم إعداد الوليمة وتجاوبت مع حركة عمال المعلم عزوز زغـاريد أصحاب المنزل والجيران إذاً فهو العد التنازلي لليلة الكبيرة، وكان كل

ذلك يتم تحت الإشراف المباشر للحاج عبد الله – فقد خُصصت شقة بالدور الأول لتواجد الرجال من المدعويين، وأخري في الدور الثاني للسيدات.

أمـــا الطعـــام فكـــان يتكون من صنفين من الخضار + المكرونة + الأرز بالشعرية، وسرفيس كبير من اللحم يسمي الضلع ومُعد بشكل يسمح بقطعة كبيرة لكل مدعو من المدعوين والمدعوات الذين يدخلون لمكان الطعام في مجموعات تتكون المجموعة من عشرة أشخاص أما الحلويات فهي تتكون من عيش السرايا، والبقلاوة والمهلبية.

وظهـــرت العـــروس في أبهي صورة لها فهي جميلة خمرية اللون ورشيقة ذات عيون سوداء واسعة بشعرها الأسود الناعم وتتدلي منه خصلة أسفل طرحة الزفاف معلنة عن جماله، وتتحرك بخفة لتغيير فساتينها كما جرت العادة بذلك – حيث كانت العروس ترتدي في تلك المناسبة ثلاثة أطقم من الفساتين بثلاثة ألوان هـــي اللـــون البمبـــي والسماوي وآخر الليل اللون الأبيض، وكانت في حركتها وأبتســـامتها الحالمة كأنها إحدي أميرات البيت المالك بمصر القديمة، أما كوشة العـــروس فكانت بسطح المنزل حيث تم إحاطة أسواره بالخيام المنقوشة باللون الأحمـــر وفرشت أرضه بالأبسطة والسجاجيد ويحيط بالعروس أترابها وهن في أجمـــل زينتهـــن، ومن قبل سبق الإتفاق مع الست زوبة الكلوباتية أشهر عوالم شارع محمد علي وفرقتها لإحياء الحفل بالنسبة للسيدات، وبالنسبة للرجال فتولي ذلـــك الشـــيخ عـــبد العزيـــز صابر وبطانته من المنشدين الدينيين ويقال عنهم الصـــييتة[1] وكان الحاج عبد الله واقفاً بجلبابه البلدي الأنيق والذي يُظهر أجزاء من قفطانه الحريري من عند الأكمام وطربوشه النظيف علي رأسه وابتسامته لا تغيـــب أبـــداً عـــن شفتيه ماداً يده للضيوف وهو يُردد " أهلاً وسهلاً.. وحصلت البركة "، أما ولده الأكبر فكان تارة يقف بجوار والده للترحيب بالمدعوين وأحياناً دائـــم التنقل بين الدورين في معظم الأوقات وكثير النظر لساعة يده كأنه يتعجل أمراً معيناً ألا وهو حضور عبد السلام.

وفي حوالي التاسعة وصل العريس مع أترابه في عربتي حنطور وكان هو أول المترجليـــن ثـــم تبعه أصدقاءه متحلقين به وهم يحملون باقات الورود وعدد إثنيـــن كلوب مضائين ويتقدم الجميع أحد المطربين الشعبيين وعلي أبواب منزل العروس دوي صوته بموال أُعد من قبل لمثل تلك المناسبات قال فيه :

---

(١) المشاهير أصحاب الأصوات الحلوة فى الإنشاد الدينى والتواشيح.

سلالم القصر رنت	أنا قُلت العريـــس طالع
له جوز عيون سود	وبخــدود حُمــر بمطالع
أنــا قلــت يا رب	أحرس عريسنا وعروستنا
من العيــن في ليلة	يكــون فيها القمر طالع

وما أن انتهي المطرب من الموال حتى صاحت الصُحبة مرددة كلمة " الله.. الله إيــه الجمال ده يا حمادة[١] " – وأعاد المطرب الموال مرة أخري، وتجاوبت معه الزغاريد من الدور العلوي وعرف الجميع بوصول العريس، والذي بدأ في الصــعود للســطح حيث توجد عروسه والأحتفال الكبير وصعد معه أيضاً جميع المتواجدين من الشباب، ولم يبقي بالدور الأول مع الحاج سوي المنشدين وكبار السن إذاً فقد خرج الأمر من بين يديه واختل أو انتهي ذلك الفصل بين الجنسين، ونظــر علــي لوالده وعرف ما يفكر فيه واقترب منه وقال له : خلاص يا حاج كلهــا ســاعة زمن وكل واحد يروح لحاله، وعقبال إخواتها إن شاء الله، ونظر الرجل لولده بحنان ثم قال : ربنا يعيدها علي خير، وجلس مع مدعويه من كبار الســن وفي الدور العلوي انضم المطرب ومن معه لفرقة الست زوبة وأخذ فى التليل ومنها الأغنية " بتسأليني بحبك ليه.. سؤال غريب ما جاوبش عليه " وهنا نظــر عبد السلام للعروس والتي أطرقت بنظرها للأرض حياءاً وخجلاً وتكلفت الــزغاريد بالتعامل مع تلك النظرات – ومع أقتراب الساعات الأولي من الفجر غنت المطربة وعزفت الفرقة لحن الزفة الشهير والتي تقول كلماته :

يا محلا جمالك يا عروسة   يا حلوة من العين محروسة

وتم زفاف العروسين حتى العربة الحنطور التي كانت في الإنتظار أمام باب المنزل والتي أوصلتهم للعش الجديد في حراسة أشقاء العروس وأصدقاء زوجها الذين تبعوهم في عربة حنطور أخري.

---

(١) اسم المطرب محمد الأبيض، ويكني بحمادة كنوع من التعبير عن الإعجاب

نجح الحبيبان علي وسعاد في اللقاء رغم الحصار المضروب علي سعاد في الخروج والدخول بسبب الأجازة الصيفية وكانت حديقة الأندلس هذه المرة مسرحا لهذا اللقاء والذي جاء بعد حرمان طويل – فقد أصبح علي باشمهندس وسعاد نقلت للسنة الثانية بكلية الآداب وبدأت ملامح الخطوات الأولي للعش السعيد تترائي من بعيد، وبعد لحظات من الصمت في تأمل مياه النيل والتي كانت في لون ثمرة الرومان الناضجة مع أمواجه الصاخبة والملامسة لسقف كوبري قصر النيل أو جسر إسماعيل – نظر علي لسعاد ثم قال :

منذ فترة طويلة لم نلتق.. شيء صعب جداً علي نفسي أن لا أراكي كل يوم

سعاد : أشكرك.

علي : هي دي الحقيقة، وربنا يقرب البعيد، وعرفت سعاد معني العبارة الأخيرة والمقصود منها لذلك أطرقت برأسها للأرض حياءاً.

وقطع صمتها هذه المرة صوت بائع الكازوزة وهو ينادي " ساقعة قوي.. ساقعة قوي يا كازوزة ".

علي منادياً علي البائع : من فضلك أفتح أثنين ثم سأل سعاد ماذا تفضلين ليمون بسكال[1] أو فراولة – وهزت رأسها موافقة ونفذ البائع علي الفور، وتركهما وأنصرف مجاهراً بندائه وسعيه علي رزقه الحلال.

وسألت سعاد علي قائلة : ما هي مشاريعك الآن يا باشمهندس.

علي : للآن لم أستقر بعد علي شيء معين، وإن كان إسماعيل زميلي زارني اليوم بالمنزل وعرفت منه عن حاجة وزارة الأشغال لعدد من المهندسين للعمل في السودان.

سعاد : السودان حتة واحدة.

علي : نعم لأن الإشراف علي أعمال النيل هنا وهناك يتولاه المهندسون المصريون بنسبة كبيرة إلي جانب الإنجليز وفي القريب سيكون للمصريين الإشراف الكامل في كل مناطق النيل العليا، وكذلك منطقتي خزان الروصيرص، وجبل الأولياء.

سعاد : السودان لا يا عم بالسلامة أنت وضحكا من أعماقهما.

ثم قال علي : أنا أداعبك فقط هو يعني لا يوجد غير خزاني الروصيرص، وجبل الأولياء هنا في مصر يوجد خزان أسوان وكلاً من

---

(١) أشهر أنواع المياة الغازية.

القناطر الخيرية وخزان أسيوط وغيرهما كثير – أطمأني سوف يكون هناك عمل في القاهرة أو قريب منها، ثم أضاف اليوم في جريدة المصري منشور إعلان عن حاجة الكلية الحربية لمهندسين لتعزيز سلاح المهندسين بالجيش المصري، وما يدريكي فربما كان النصيب هناك.

سعاد : فيه موضوع حُسم تماماً، وأصبح نسياً منسياً علشان كده سوف أحدثك عنه من باب الدعابة فقط – وأكرر من باب الدعابة فقط علشان ماتفهمنيش غلط.

علي : يا ساتر يارب – الموضوع ممكن يكون فيه فهم غلط ؟

سعاد : من الممكن وللمرة الثانية أكرر الموضوع حسم حتى لا تسيء بي الظن.

علي : إيه الحكاية بالضبط ثم تساءل قائلاً فهم غلط، إساءة ظن.. أرجوكي تكلمي علي طول.

سعاد : مدرس رياضة قريب ماما والدته زارتنا من يومين وبتلمح.

علي : خير وبتلمح علي إيه.. ثم قال آه فهمت وبدي عليه مظهر الجدية، والحدة في صوته.

سعاد : عريس يا سيدي عايزين يخطبوني، وضحكت وزادت وجنتها إحمراراً.

علي : بتتكلمي جد.

سعاد : للغاية – لكن أرجوك ما تفهمش كلامي هذا علي إنه مناورة أو شيء من هذا القبيل أو غيره من التصرفات البلدي، وأنا ما كنتش عايزة أخبرك بهذا الموضوع إلا بعد الإعتذار عنه وحسمه تماماً.

علي : الحمد لله – الحمد لله وعلي العموم نحن الآن في بر الأمان، ففيما يخصني الأمور أصبحت واضحة، وبالنسبة لك سنتين إن شاء الله ويمكن إختصارهم.

سعاد : كيف ؟

علي : خلال أيام.. فإما وظيفة مهندس بمصلحة الري أو الطرق والكباري – أو الكلية الحربية فلو كانت الأخيرة فأقصاها ستة أشهر وأتخرج فيها والباقي بعدين....

سعاد : بعدين. إزاي ؟

علي : الحاج عبد الله يزوركم في المنزل، ويجلس مع الوالد طالباً منه يد كريمته صاحبة الصون والعفاف لنجله حضرة الملازم أول مهندس علي عبد الله.

وهنا ازداد وجهها حُمرة، وأطرقته للأرض للمرة الثانية، وصمتت فترة طويلة حتى قال علي :

إيه يا سعاد إنتي رحت فين.

سعاد : ما فيش حاجة حاروح فين ؟

علي : ده إنت موش هنا خالص.

سعاد : موش للدرجة دي، ياريت نمشي من هنا.

علي : علي فين ؟

سعاد : شاعرة إنني مُتعبة – وعايزة أروح.

علي : من إيه بس كلامي فيه حاجة ضايقتك ؟

سعاد : علي الإطلاق – لكنني الآن أشعر بأن رأسي يدور بي – أرجوك نروح أحسن.

علـــي : زي ما تريدي – وخارج الحديقة نادي علي إحدي عربات الحنطور وأستقلاه.

الحوزي : مستفسراً.. علي فين يا بيه ؟

علي : الحلمية الجديدة يا أسطي.

لأنه كان من الصعب أو المستحيل أن يظهرا معاً بعربة حنطور باليكنية – فعند تلاقي شارع محمد علي بشارع علي باشا إبراهيم هبطا من الحنطور هي للمنزل وهو لمقهي عكاشة.

سـرحت سـعاد بخـيالها بعيداً بعيداً عن اليكنية حيث تجلس وحيدة بشرفة المنزل في تلك اللحظات والدقائق والتي تميل الشمس فيها للمغيب وطال الصمت والشـرود، فـلا يوجد جديد يلفت إنتباها فعربة الرش هي هي تمر من أمامها، ويتـبعها بعض الصبية في لهوهم البريء – أبو عبده بائع العرقسوس يصلصل بصـاجاته النحاسية معلناً عن وصوله، ومنادياً بندائه الذي يعرفه الجميع " هاتوا الـدوارق، والشفاشـق، وحصـلوا أبو عبده شوفوا المثلج " وبعد قليل جاء بائع العرقسوس الثاني، وهي تنظر بعينيها فقط، أما العقل فغائب بعيداً جداً وتنتبه علي صـوت والدتهـا وهـي تقف بجوارها وبيدها صينية وعليها كوب الشاي وهي تخاطبها قائلة :

مالك يا سعاد إنت سرحانة ولا إيه ؟ أنا بنادي عليكي للشاي وإنت موش هنا خالص.

سعاد : ما أنا أهو يا ماما أمامك، حروح فين ثم مدت يدها وتناولت كوب الشاي.

لقد كانت بالفعل غائبة عن المنزل، والحي والمجتمع المحيط إنها مع الحبيب الذي غيبته أسوار الكلية الحربية ويا لها من غيبة ولسوف تمتد لتصل إلي خمسة وأربعيـن يومـاً بالتمام والكمال، صحيح هناك زيارة أسبوعية لعائلات الطلاب المسـتجدين، أمـا هـي فلا تستطيع ولذلك أقنعت نفسها بالتحدث معه بإستعادة ذكـرياتها معه في تلك الخلوة في عصر كل يوم تناجيه ويحادثها وتسمع صوته وتضـحك لتعليقاته وفي تلك الفترة كتبت له مرتين وتلقت منه الرد علي عنوان مكتـب بريد الحي، أما هو فكان الموقف لا يسمح بالتفكير إلا في الحياة الجديدة في معظم الأوقات وفي الحبيبة لحظات قليلة قبل النوم.

أقـبل علـي علي استيعاب العلوم العسكرية بشغف كما تأقلم سريعاً مع هذا المناخ الجديد والذي جوهره الانضباط العسكري وإطاعة الأوامر للقادة والضباط وجاويش السرية، والذي يقودها في دروس التعليم الأولي، وبالطبع اعتادت أذنيه علـي صوت البروجي معلناً بدء وأنتهاء الطوابير، والمحاضرات وأكثر ما لفت نظـره فـي هـذه الحياة الجديدة السرعة الشديدة في تسلسل الأوامر من الرتب الأعلـي للأقـل ومرت فترة المستجدين وخرج علي مع زملاءه في أول فسحة خميس وجمعة بالبدلة العسكرية بلونها الكحلي والشريط الأحمر والطربوش علي الـرأس الحليق، أما الوجه فقد أزداد سمرة علي سمرته وكانت سعادة الحاج عبد

الله وفخــره عند رؤيته لولده للمرة الأولي بالزي العسكري بلا حدود وفي سهرة يــوم الخمــيس يــتحلق أشــقاؤه حوله للاستماع لنوادر زملائه من المشاكسين، والمحروميــن من فسحة الخميس والجمعة بسبب الجزاءات لعدم إطاعة الأوامر، أمــا والدته فهي مشغولة عن كل ذلك بإعداد أشهي الأطعمة لفلذة الكبد العائد بعد غــياب أســبوع كاملاً عن داره، ولذلك فقد كان يومي الخميس والجمعة من كل أسبوع بمثابة يومي عيد لتلك الأسرة السعيدة والصغيرة.

ومرت فترة الكلية سريعة وتخرج علي وأصبح الملازم أول مهندس وأُلحق بفرقة دراسية مدتها ثلاثة أشهر بمدرسة المهندسين بحلمية الزيتون للتخصص في الهندسة العسكرية بفرعيها حيث اختلفت المعاملة هناك تماماً عن ما كانت بالكلية الحربية فهو الآن ضابط، ويخاطب بحضرة الملازم أول علي عبد الله، وتؤدي له التحية العسكرية من الرتب الأقل – وليس بنداء الطالب علي عبد الله وبعد مرور فــترة الدراسة – كان ترتيبه الأول لذلك عين ضابطاً مُعلماً بنفس المدرسة – أما باقي زملاء الدفعة فقد تم توزيعهم علي وحدات السلاح[1]، وكان من مزايا تعينه بالمدرسة هو المبيت اليومي بالمنزل عدا أيام الخدمات حيث يكون ضابط نوبتجي الوحدة.

---

(١) المهندسين.

٨ أكتوبر ١٩٤٤

رجع الحاج عبد الله لمنزله يوم الأحد الموافق ٨ أكتوبر ١٩٤٤ مبكراً عن موعده المعتاد في كل مساء، وبعد خلعه الملابس وارتداء جلباب المنزل نادي علي زوجته :

يا حاجة – يا أم علي

الحاجة : حاضر يا حاج العشاء جاهز.

إنها عشرة السنين الطويلة، أو ما شئت فعشرة العمر كله، وكان من عادة الرجل الاستماع للقرآن الكريم مع تناول العشاء وبعدها نشرة الأخبار وأذاع الراديو ما نصه :

" أصدر الملك فاروق الأول ملك مصر والسودان مرسوماً ملكياً بإقالة الوزارة – وكلف أحمد ماهر باشا برئاسة الوزارة الجديدة "

أسقط في يد الرجل وفدي العقيدة من قمة الرأس لأخمص القدم، وأخذ يضرب كفاً بكف مردداً كلمة موش معقول ده يحصل – ثم يقول لا حول ولا قوة إلا بالله – لا حول ولا قوة إلا بالله ثم يقول :

مسكين مصطفي النحاس باشا في كل مرة يكون نصيبه الإقالة. وهنا دخلت عليه زوجته تحمل صينية الشاي فرأته مذهول، ويردد دون توقف كلماته لا حول ولا وقة إلا بالله.. وقالت الزوجة مستفهمة فيه إيه يا حاج – أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تساءلت مرة أخري إيه اللي حصل ؟

الحاج : النحاس ترك الوزارة.

الحاجة : يعني راح فين.

الحاج : حيروح فين، روّح علي بيته ويا هل تري حيحصل إيه ثاني.

وكان واضحاً للحاج أن الحوار مع زوجته كبيرة السن وربة المنزل فوق مستواها لذلك سألها ما تعرفيش علي راح فين أو موجود فين الآن.

الحاجة : خرج من العصر مع إسماعيل أبعث أخوه يناديه

الحاج : يجي براحته، ومد يده ليشرب الشاي، ودلف لحجرته في محاولة للإسترخاء.

وفي حوالي العاشرة رجع علي للمنزل ليجد والده في انتظاره منادياً عليه " يا علي يا علي ".

علي : نعم يا حاج.

الحاج : عرفت بإقالة الوفد.

علي : للأسف ثم أضاف في المرات الأولي بدون شك كان وراها علي ماهر – إنما هذه المرة أحمد حسانين.

الحاج : وأحمد حسانين مصلحته في كده إيه.

علي : للأسف صراع في غير مصلحة البلد بين أحمد حسانين رجل القصر، وأمين عثمان[1] رجل الإنجليز ودفع الوفد ثمنه.

الحاج : الكلام ده أنا ما أعرفوش – لكن ما أعرفه أن الملك ماشي في نفس سياسة أبوه.

ويظهر إنه موش ناسي موضوع الحفلة والسيف.

وفي هذه الحظة دخل الأبن الثاني محمد وبعد أن حيا والده وشقيقه تساءل، أنا سمعت كلمة حفلة وسيف إيه الحكاية بالضبط ؟

الحاج : ده موضوع من حوالي خمس ست سنين أيام تولية الملك العرش، ثم قال لولده الأكبر ما تتكلم يا علي وتفهم أخوك.

علي : كان الملك فاروق يرغب في تولي سلطاته الدستورية بعد تمام تتويجه في حفلة تقام في القلعة وشيخ الأزهر يقلده فيه سيف جده محمد علي، والأمراء يكونون حاضرين بنفس الملابس التي كان يرتديها أجدادهم أيام محمد علي، ثم يُقسم الأمراء للملك يمين الإخلاص والوفاء.. أما النحاس باشا فكان يرى ضرورة التمسك بنصوص الدستور فقط – بمعني عدم وجود حفلة في القلعة، ولا شيخ الأزهر ولا سيف.. فقط يتولي الملك سلطاته ويباشرها بقسم اليمين الدستورية أمام الهيئة المشتركة من أعضاء مجلسي الشيوخ والنواب كما كان من رأيه أيضاً عدم الزج بفضيلة الشيخ المراغي – شيخ الأزهر في الأمور السياسية – والفكرة من أساسها كانت من بنات أفكار الأمير محمد علي رئيس مجلس الوصاية – وكبرت الفكرة في رأس الأمير وبقية الأمراء ونجح الوفد في إرغام الملك والأمراء علي الإلتزام بنصوص الدستور فقط في تولية الملك الشاب لسلطاته الدستورية.

---

(١) وزير المالية وله صداقة كبيرة بالإنجليز.

الحاج : أنا فاكر الموضوع ده كويس – وعفارم[1] علي النحاس باشا.

علي : ياريت الموضوع انتهي عند هذا الحد.

محمد : كان فيه حاجة ثانية.

علي : طلب الأمراء جميعاً وكان يتزعمهم أيضاً الأمير محمد علي بإقناع الملك بضرورة عمل حفلة تتويج كبري، ويدعي لحضورها ملوك ورؤساء الدول ويقوم رئيس مجلس الشيوخ بتتويج الملك[2] – أي يضع التاج الذي يجب أن تكتتب الأمة كلها في ثمنه علي رأس الملك، وبهذا الشكل تكون مصر استردت تاجها الفرعوني القديم، والذي فقدته عشرات القرون، وقد رفض النحاس باشا وكذلك الهيئة الوفدية بالكامل الفكرة من أساسها، وأكثر من ذلك أن " هاج وماج[3] وقال بالحرف الواحد " ده كلام فارغ " كما شنت الصحافة الوفدية حملات علي موضوع الحفلة والتاج.

محمد : وبالطبع أولاد الحلال استغلوا كل هذه الأمور وأوغلوا صدر الملك ضد الوفد وأعتقد أن هذا الموضوع ربما كان سبباً في إقالة الوفد عام ١٩٣٧ أما الكلام عن أن أعمال الوزارة تجافي روح الدستور كما جاء في مرسوم الإقالة ففيه تجني.

علي : حكاية روح الدستور دي كان وراءها علي باشا ماهر والذي كان من رأيه أن الملك يملك ويحكم ورأي الوفد أن الملك يملك ولا يحكم وأن علي ماهر عُين رئيساً للديوان في أكتوبر ١٩٣٧ علي غير إرداة الوفد – والإقالة كانت في ٣١ ديسمبر ١٩٣٧. وحلت محل الوفد وزارة محمد محمود باشا.

الحاج : الحكاية واضحة زي الشمس وهي أن فاروق عمل زي فؤاد مع النحاس.

علي : للأسف الملك بيلعب بالدستور أما رؤساء أحزاب الأقلية المتفرجون بشماته علي ما حدث للوفد فغداً سيدفعون الثمن غالياً

---

(١) كلمة تركية الأصل – وكانت شائعة تعبيراً عن الإستحسان.

(٢) تولــى الملك فاروق سلطته الدستورية يوم الخميس ٣٠ جمادى الأولى ١٣٥٦ هــ، (٢٩ يوليو ١٩٣٧)

(٣) تعبير عن شدة الغضب.

جداً، لأنه إذا كان حزب الأغلبية نصيبه الإقالة.. فماذا سيكون نصيبهم عندما يتولون الحكم. ثم استمر علي في كلامه قائلاً ده موش تجني علي علي باشا ماهر فمن غير شك هو المسئول عن إقالة الوفد الأولي في يونيه من عام ١٩٢٨ حيث كان مستشار الملك أحمد فؤاد ورجله في حزب السراي أو حزب القش، كما وصفه الزعيم سعد زغلول، وهو كذلك صاحب الفتوي لتلك الإقالة وهو الذي فتح الباب أيضاً لفاروق في الإقالة الثانية وهكذا عرفت للأسف الحياة النيابية في مصر الإقالات، أما هذه الإقالة الأخيرة فبدون شك ورائها أحمد باشا حسانين.

الحاج : الآن مافيش فايدة اللي حصل حصل – إحنا نقول ربنا يولي من يُصلح ثم قال لأولاده تصبحوا علي خير.

علي : شوف يا محمد الفترة اللي قضاها الوفد في الحكم سنتين ونصف، ومع ذلك فإنجازاته لا يُنكرها غير جاحد.

محمد : ياريت تلخصها لي.

علي : مجانية التعليم الإبتدائي، وقبلها جعل التعليم الأولي إلزامي – إصدار قانون يسمح للعمال بالحق في النقابات لحماية مصالحهم في مواجهة أصحاب الأعمال، وتحديد ساعات العمل بثماني ساعات فقط، وكذلك قانون عقد العمل الفردي وقانون إصابة العمل، وحق العامل في التعويض وقبل كل ذلك قانون الإنصاف الوظيفي لجميع العاملين بالجهاز الإداري للدولة والذي بمقتضاه تم رفع بدايات التعيين لكل أصحاب المؤهلات العالية والمتوسطة وما دونها وكذلك نفس الشيء للعمالة الفنية بالحكومة وأيضاً عمال الخدمات السارية[١].

محمد : فعلاً إنجاز وأملنا كبير في حكومة الدكتور أحمد ماهر أن تسير علي نفس النهج.

علي : ربنا يوفق.

---

(١) السعاه والفراشين.

فــي حفــل عائلي بهيج تم زفاف ربة الصون والعفاف كريمة عطية أفندي سـلمان للمــلازم أول علــي عــبد الله، وكان الحفل نموذج ثاني لأفراح الطبقة المتوسطة حيث لم يختلف عما سبقه إلا في حضور فرقة موسيقات البوليس أمام مـنزل والـد العــروس وفي المسرح المتواضع الذي تم إعداده لجلوس أعضاء الفرقة التي استمر عزفها من بعد العصر إلي ما بعد صلاة المغرب وإلي جانب فــرش الأرض كلهــا أمام المنزل بالرمال الصفراء. أما في المنزل فكان هناك فرقتان لإحياء الحفل، الأولي للسيدات والأخري للرجال وذلك تطبيقاً لمبدأ الفصل بيــن الجنسين، ومنع الاختلاط ووقف كلاً من والد العريس ووالد العروسة جنباً لجنــب للترحيب بالضيوف والذي كان من السهل للغاية التمييز بين ضيوف كلاً منهما – فأقارب العروس بالكامل يرتدون الملابس الأفرنكية، ووجوهم الحمراء تعلن عن أصولهم الشركسية، أما معازيم أهل العريس فيغلب علي وجههم سمرة أبــناء الصعيد بالإضافة لملابسهم البلدية ونفس الشيء بالنسبة لسيدات الأسرتين لذلك فقد كانت قريبات العروس أكثر تحرراً من أهل العريس في إظهار مشاعر الفــرح والتعبــير عــن ذلك بالتصفيق والغناء أو الرقص علي أنغام الموسيقي وبإنــتهاء الحفــل تم زفاف العروسين لمنزلهما الجديد بشارع أحمد باشا تيمور بالحلمــية الجديدة غرب سراي العيسوي باشا، والذي لا تحجب أسواره أشجاره العالــية عن الجيران وأعين المارة وقد أختير العش السعيد في ذلك الشارع الذى شــهد مولــد الحب الكبير بين العروسين في رحلتيهما الصباحية والمسائية من اليكنية للسيدة زينب والعكس. أما حجم سعادة العروسين وهيام كلاً منهما بالآخر فقــد فاقــت الوصف ومع إنتهاء ما يسمي بشهر العسل إعتاد علي وحرمه علي تمضية يوم الجمعة بالمنزل الكبير عند والده ومع إخوته من الفترة الصباحية إلي مــا بعد العصر، ثم بمنزل والد سعاد إلي ما بعد العشاء والعودة لعشهما الصغير بعد ذلك. وبمرور الوقت أصبح لهما مجتمع جديد خاصاً بهما، فالضباط زملاءه فــي الوحــدة هــم أصدقاءه وزوجاتهم أصدقاء زوجته، ومن هنا فكان الزوجين العاشقين لا يفترقان أبداً إلا في أيام الخدمة[١] حيث تحضر لسعاد شقيقتها للمبيت معها – وهكذا صارت الأيام هنية بتلك الأسرة لا يعكر صفوها شيء.

---

(١) معناها الضابط المنوب أو النوبتجى للوحدة.

٢٤ فبراير ١٩٤٥

بانـــتهاء معركة العلمين – بدأ الألمان في التراجع عن الأراضي المصرية تحـــت ضـــغط قـــوات الحلفـــاء في ظل تفوق جوي بريطاني ساحق في مسرح العمليات، وتزامن ذلك مع قطع خطوط إمدادات روميل في البحر المتوسط مما جعل قواته معزولة عن قواعدها في أوروبا ومع ذلك كان القائد المحنك ينازعهم الأرض شـــبراً بشبراً وكان يُخرج الطيران الإنجليزي المتفوق من المعركة عن طريق الاشتباك بالنهار في معارك بالمدرعات ويُكمل الانسحاب بالليل في طريق عودته للأراضي الليبية. لذا فقد خفت كثافة الغارات الجوية الألمانية علي القاهرة والإســكندرية ثـــم توقفت تماماً، ولم يكن النجاح الذي صادف قوات الحلفاء في أوروبـــا بأقل من نجاحهم في الصحراء حيث بدأت هزائم المحور تتوالي فقد تم تحريـــر فرنسا، كما حققت القوات الأمريكية نجاحات مماثلة بجنوب شرق آسيا، وأصـــبح واضـــحاً للعيان أن نصر الحلفاء أصبح مؤكداً، وهنا قررت الحكومة المصـــرية إعـــلان الحـــرب رسمياً علي دول المحور في ٢٤ فبراير ١٩٤٥. وتصـــادف أن هذا اليوم كان موافقاً لاحتفال المسلمين في جميع أنحاء المعمورة بإحـــياء ذكري المولد النبوي الشريف صلاة الله وسلامه عليه.. وكان الحاج عبد الله يحـــرص دائمـــاً علـــي إحـــياء هذه المناسبة بمنزله عن طريق دعوة الأهل والأقـــارب والأصـــدقاء للاستماع للقرآن الكريم والتواشيح الدينية من المنشدين الذيـــن اعتادوا علي إحياء هذه المناسبة بمنزل الرجل الكريم، وكان يقدم العشاء المُعد بواسطة أحد الطهاة المحترفين للضيوف إلي جانب الشاي والقرفة وغيرها وباختصار كان ذلك الاحتفال السنوي من تقاليد منزل الحاج عبد الله وفي حوالي الســـاعة العاشرة مساءاً وصل أحد الضيوف من الأصدقاء، وبعد التحية والسلام قال: معرفتوش إيه اللي حصل ورد الحاضرون في نفس واحد خير اللهم اجعله خير.

وقال الرجل لا موش باين إنه خير أبداً، ثم أضاف قائلاً الدكتور أحمد ماهر رئيس الوزارة انضرب بالرصاص.

أحـــد الجالسين في دهشة متسائلاً: بتقول أحمد ماهر رئيس الوزارة وأجاب الرجل نعم.

الجميع : أمتي الكلام ده حصل.

الرجل : يقولون قبل المغرب، وقتله شاب يُدعي محمود العيسوي

أحد الحاضرين : منين ده أقصد من أي حزب أو جماعة.

الرجل : الراديو أذاع أن القاتل عضو بالحزب الوطني.

أحد الحاضرين: الحزب الوطني – حزب مصطفي كامل.. فعلاً حاجة غريبة.

الرجل : هذا بالضبط ما أذيع في الراديو.

الحاضرون : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الحاج عبد الله : في ليلة مفترجة زي دي.

وأضاف وإيه السبب لكل ده ؟

الرجل : علشان وقع علي دخول مصر الحرب.. يعني مصر دخلت الحرب رسمياً ضد المحور، ويظهر أن ذلك الشاب غير موافق علي ذلك فقام ضربه بالرصاص علي باب مجلس النواب.

الحاج عبد الله : متعجباً.. سبحان الله هو أي واحد موش عاجبه تصرف من رئيس الوزارة يضربه بالرصاص ثم قال دي مصيبة وفوضي.. وأضاف أيضاً بالنسبة لموضوع الحرب إيه الجديد فيه، ماهي مصر دخلت الحرب من أول يوم طبقاً لمعاهدة ١٩٣٦ – وكلنا شايفين المساعدات للإنجليز والغارات يومياً علي مصر وإسكندرية يعني ما فيش جديد في الموضوع – لكن حنقول إيه اللي حصل حصل وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وساد الاحتفال الوجوم، وتوقف المنشدون عن الإنشاد إكتفاءاً بتلاوة آيات الذكر الحكيم حتى انصرف الحاضرون مستأذنين من صاحب المنزل. وصعد الحاج مع أولاده للدور العلوي حيث سكن الأسرة، وعلي مائدة العشاء طلب الحاج من ولده موسي أن يفتح الراديو قائلاً: الساعة الحادية عشر أفتح الراديو علشان نعرف الحكاية بالضبط – وتأكد الخبر وأن الجاني طالب بكلية الحقوق، وعضو بالحزب الوطني، وأن الوزارة تولاها محمود فهمي النقراشي باشا خلفاً للدكتور أحمد ماهر.

الحاج : شاب متهور قتل نفس حرم الله قتلها إلا بالحق.

علي : فعلاً، ومسألة دخول الحرب دي تحصيل حاصل.

الحاج : ما هو ده اللي أنا قُلته وإحنا تحت.

علـــي : نحن نقاسي ويلات هذه الحرب من اللحظة الأولي لأن معاهدة ١٩٣٦ بتلزم مصر بتقديم كل التسهيلات للإنجليز في الحرب

محمد : فيه حاجة موش مفهومة وهي إذا كانت مصر دخلت الحرب من أيامهـا الأولــي ضــد المحور تنفيذاً للمعاهدة، فما الداعي لهذا الإعــلان الرســمي، والذي تسبب فيما حدث، ويمكن يتسبب في مشاكل أخري والبلد موش ناقصة.

علـــي : أعتقد أن وجهة نظر المرحوم أحمد ماهر هي أن الحرب الآن تلفظ أنفاسها الأخيرة، والحلفاء حيكسبوا حيكسبوا ده شيء مؤكد ودخــول الحــرب ضد المحور يجعل لمصر نصيب في الغنيمة والحضــور فــي أي مؤتمــرات للتسوية بعدها، وقد يُعجل ذلك بالجلاء النهائي عن الأراضي المصرية – وليس عن المدن فقط كما تقضي بذلك نصوص المعاهدة وفيه حاجة ثانية وهذه وجهة نظـر شخصــية بحتة يمكن أحمد ماهر باشا رأي أن الاشتراك الفعلــي للجــيش المصــري فــي الحرب وبشكل مباشر فرصة للتدريــب العملي علي القتال لأن هذا الجيش قد يضطر مستقبلاً لاستخدامه في قتال الإنجليز في حالة المماطلة في الجلاء.

الحاج : معقول برضه ثم قال يدوب نرتاح شوية علشان صلاة الفجر وقال يا علي إنت حتنام هنا ولا في الحلمية.

علي : في الحلمية علشان العربية الميري ما تعرفش هنا.

الحاج : مع السلامة علشان يدوب كده.

إستدراك

▪ عـندما ذهـب مندوبو المجلس الحسبي لدار الفقـيد لحصر التركة كانت دهشتهم بلا حدود حين عرفوا أنه لم يترك شيئاً يورث – فلا مال ولا عقار ولا أي منقولات ذات قيمة اللهم معاشه الحكومي.

▪ وتولـي محمـود فهمـي النقراشـي رئاسة الحكومـة لأول مرة واستمر فى هذه الوزارة حتى فـبراير ١٩٤٦ – أي مكـث فـي الحكم عام واحد وخـلال ذلـك العام تم إلغاء الأحكام العرفية ووقع ميـثاق جامعـة الـدول العربـية كما طالبت مصر بريطانيا بإعادة النظر في معاهدة ١٩٣٦م.

تولــي النقراشي الحكم في ٢٤ فبراير ١٩٤٥، وكانت حكومته ائتلافية من كــلاً مــن الهيــئة الســعدية، والكتلة الوفدية، والأحرار الدستوريين. وأسرعت الحكومة بتأليف الهيئة السياسية في ٢٣ سبتمبر ١٩٤٥ من كل زعماء الأحزاب عدا الوفد – وطالبت الهيئة الحكومة في الدخول في مفاوضات مع الإنجليز تحت ضــغط رأي عــام قــوي مــتطلع للاستقلال التام خصوصاً بعد استقلال الهند وأندونيسيا في جنوب شرق آسيا وسوريا ولبنان في غربها، وذلك أبسط أنواع رد الجمــيل للشعب المصري الذي إكتوي بنار الحرب دون أن يكون له فيها ناقة أو جمــل، وإنمــا تنفيذاً للمعاهدة مع الحليف البريطاني، وكان الطلبة والعمال الذين شــكلت مــنهما اللجــنة الوطنية للطلبة والعمال طليعة التحرك في الضغط علي الحكومــة وعلــي مــا سُــمي بالهيئة السياسية، واجتاحت المظاهرات القاهرة والإســكندرية وجمــيع عواصم المحافظات مطالبة الحكومة بزيادة الضغط علي الإنجليز لتنفيذ تعهداتهم بالجلاء عن المدن بعد أن وضعت الحرب أوزارها، ومع مــرور الأيام إزداد هدير المظاهرات وشملت طلاب المدارس الإبتدائية وأطفال المدارس الأولية الإلزامية وكان شعار الثورة (**الجــلاء بالدماء**)..

وســارعت محــلات السباكة بصك شعار الثورة علي قطعة من النحاس لا يزيد حجمها عن أربعة سنتيمترات ومنقوش عليها باللون الأحمر البارز الشعار، وهــنا طورت المظاهرات من هدفها ولم يعد مبني مجلس الوزراء، وإنما أصبح ثكــنات الجيش البريطاني بقصر النيل(١)، وأحاط الثائرون بها من ناحية الشمال والجنوب والغرب وأرشقوها بالحجارة وزجاجات المياه الغازية وازداد التحرش اليومي بجنود قوات الاحتلال وكذلك البوليس المصري الذي فشل تماماً في منع الــثوار مــن الدخول لمنطقة الثكنات، وسقط عدد كبير من القتلي والجرحي من الطرفيــن وبمــرور الأيام انضمت أعداداً كبيرة من العمال للطلاب ورفع شعار جديــد هو " يحيا الطلبة مع العمال " وفكرت الداخلية في تشتيت المظاهرات من منبعها – لكن اللجنة الوطنية للطلبة والعمال نجحتا تماماً في السيطرة علي طلاب الجامعــات والمدارس الثانوية والعمال وتحريكهم نحو ثكنات قصر النيل ولمبني مجلــس الوزارء – انتهت وزارة النقراشي في ١٥ فبراير ١٩٤٦، وحلت محلها

---

١) كانــت تكــنات الجيش البريطانى تشغل المكان الذى موجود فيه الآن مبانى كل من جامعة الــدول العربــية – مبنى الهلتون – الحزب الوطنى – وبنك فيصل الإسلامى وكانت المبانى مميزة باللون الحمر.

وزارة صـــدقي باشـــا، وكـــان نصيبها من الرفض الشعبي عظيماً جداً، وتعاظم الرفض أكثر وأكثر بعد الإعلان عن مشروع معاهدة " صدقي - بيفين " وقامت اللجـنة الوطنـية للطلـبة والعمال بتحدي حكومة إسماعيل صدقي بعد تشكيلها بخمسة أيام في مظاهرة شعبية كبيرة في ٢١ فبراير مطالبين الحكومة والإنجليز بالجلاء - وفي هذا اليوم اقتحمت السيارات المصفحة صفوف المتظاهرين، كما انهـال الرصـاص علـيهم من ثكنات قصر النيل ووصل عدد الشهداء لـ ٢٣ شهيداً، ١٢١ جريحاً ونجحت اللجنة في إشعار نار الثورة في الإسكندرية وسقط من الثوار ٢٨ شهيداً، ٣٤٢ جريحاً.

وفي تحدي آخر للحكومة في يوليو ١٩٤٦ خططت اللجنة لعمل ثوري كبير فـي ذكـري ١١ يولـيو ١٨٨٢ يوم ذكري حريق أو مذبحة الإسكندرية[١] لكن الحكومة تحركت مبكراً، وتم إعتقال قيادات اللجنة وعلي رأسها مصطفي موسي - الطالب بهندسة فؤاد الأول، كما تم إعتقال عدد من الصحفيين، وإغلاق صحف الوفد.

وقـد عـبر الشاعر بيرم التونسي عن الرفض الشعبي لمعاهدة أو مشروع معـاهدة " صـدقي - بيفين[٢] " بقوله " معاهدة غير ذات موضوع- تمص عود القصب وترمي لك الزعزوع ".

ومـن أطـرف هتافات الثائرين كان " يا صدقي يا وش النملة مين قال لك تعمـل دي العملـة".. وهكـذا نجحت اللجنة الوطنية للطلبة والعمال في إفشال مشروع المعاهدة - وإسقاط حكومة إسماعيل صدقي في ٩ ديسمبر ١٩٤٦.

---

(١) مذبحة الإسكندرية بسبب مشاجرة مع حمّار مصري، ورجل مالطي، ثم تطورت لثورة ضد التواجد الأجنبي، وكانت من إحدي ذرائع الإحتلال البريطاني لمصر بعد ذلك في ١٤ سبتمبر من نفس العام.

(٢) وزير خارجية بريطانيا.

إستدراك

▪ أجبرت الثورة رئيس الوزارء البريطاني " سير كلمنـــت إتلي " أن يعلن عن عزم القوات البريطانية الإنســحاب مــن القاهــرة وتمركــزها بمنطقة قناة السويس، وكان هذا الإعلان في مارس ١٩٤٦.

▪ واحتفلــت مصر كلها بتلك المناسبة وتم إنزال العلم البريطاني من فوق ثكنات قصر النيل، والقلعة ورفــرف مكانـــه العلــم المصري خفاقاً عالياً بلونه الأخضر الزاهي وهلاله ونجومه الثلاث.

▪ وفـــي حفل مهيب بنادي الضباط حضره الملك فاروق شدت أم كلثوم كما لم تشدو من قبل بقصيدة " سلوا قلبي " وعندما وصلت إلي (وما نيل المطالب بالتمنـــي).. ولكــن تؤخــذ الدنـــيا غلابـــا " فاضت المشـــاعر، وهـــب الجميع وقوفاً وهم يهتفون تحيا مصر.. يحيا الوطن.. كلنا فداء مصر.

▪ وكانـــت الأنوار الكاشفة تجوب سماء القاهرة إحـــتفالاً بالمناسبة الكبيرة وتحول ليلها لنهار جميل وأطــرف ما قبل في نفس المناسبة أنشودة المطرب محمود شكوكو حيث قال:

" عشنا وشوفنا يوم الجلاء.. إحنا الأمة العربية ثمانين مليون وشوية.. ولسة تونس الخضراء جاية مع الجزائر المغربية ".

٤ فبراير ١٩٤٦

تــم اغتــيال أميــن باشا عثمان علي باب منزله بشارع عبد الخالق ثروت بالقاهرة بمعرفة بعض الشباب المعروف عنهم ممارسة أعمال الاغتيالات، وفي مقدمــتهم الطالب حسين توفيق والذي فشلت الداخلية في إيجاد دليل واحد ضده.. لكــنه فشــل في تحديد مكان تواجده ساعة وقوع الحادث – فما كان من النيابة العامــة أن صــرحت للصــحف بأن أسباب الحادث نسائية، وليس لذلك علاقة بالسياســة، وهنا خرج الطالب حسين توفيق عن صمته، وإنكاره وأعترف بقيامه بإرتكــاب جريمته بسبب تصريح للمجني عليه جاء به بأن العلاقة بين بريطانيا ومصــر مــثل الزواج الكاثوليكي. وأعترف أيضاً علي شركاؤه ومنهم الرئيس الــراحل محمــد أنور السادات الذي كان ترتيبه في قائمة الإتهام السابع، وكذلك السيد محمد إبراهيم كامل وزير الخارجية الأسبق، وفي أثناء تشييع الجنازة كانت هــناك مؤامرة أخري لاغتيال الزعيم مصطفي النحاس، والذي تخلف عن تشييع الجنازة بسبب إصابته بنزلة برد شديدة ألزمته الفراش وللآن يوجد سؤال ليس له إجابــة قاطعة وهو هل كان إغتيال المرحوم أمين عثمان بوازع شخصي للجناة احــتجاجاً علي تصريحه السابق، وميوله للإنجليز أم أن ذلك تم لحساب الحرس الحديــدي الملكي في محاولة لتصفية الحساب معه بسبب تآمره ضد العرش في حادث ٤ فبراير ١٩٤٢. ؟؟؟

تــنفس العالم الصعداء بإنتهاء الحرب وهزيمة المحور وإعلان ميثاق الأمم المــتحدة، وهبــت ريــاح الســلام علــي العالم وشيئاً فشيئاً اختفت من القاهرة والإســكندرية كل مظاهر الحرب وهُجرت الخنادق والتي كانت مخصصة لوقاية الــناس من الغارات الجوية وتحولت لخرائب ولم يعد للجيش المرابط وجود في الشــوارع، كما اختفي نهائياً أي وجود لجنود الحلفاء من المدن الرئيسية،وبالتالي مــن أماكــن اللهــو بعماد الدين، وروض الفرج، كما تم الاستغناء عن العمالة المصرية بالجيش البريطاني فيما كان يُعرف باسم الأورنص وتفشت البطالة في هــذه الفــئات بعد حالة التوقف الكامل التي أوجدتها الحرب، مما أضطر بعض منهم لإحتراف مهن شديدة التواضع مثل بيع " حب العزيز أو الجرانيتة"[1]، وكان

---

(١) نوع متواضع من الأيس كريم.

هــؤلاء الــباعة يعبرون عن واقعهم المر بمنولوج خفيف علي الطبلة مع النداء التقليدي وهو " حب العزيز الربعة بقرش " وأضافوا إليه " أورنص خلاص فنش يا ناس.. أتخن ما فينا بقي مفلس " وأصبح للبطالة تأثيرات رهيبة علي المجتمع حيــث كانت قاعات المحاكم الشرعية تعج بالمتقاضين بعد تفشي حالات الطلاق فــي معظــم زيجــات فترة الأورنص، وأصبح التطلع لوظيفة في الميري أمل الكثيريــن، وأثــر الكساد علي كافة المهن وعلي حد تعبير البسطاء "انتشر وقف الحال " – حتى بائعات الهوي في كلوت بك ووش البركة تأثرن وبدأن في البحث عن عملاء لهن بين الشباب المصري بعد إختفاء أصحاب الوجوه الحمراء، ومن المــناظر الفاجرة في ذلك الحي وجود إعلان ساقط بالبنط العريض مكتوب فيه "سميرة صديقة الطلبة".

وبالتالــي أصــبح لدي الكثيرين أن من مقاييس ومعايير الوصول لمرحلة الشــباب ارتــياد تلــك المنطقة، ولم يكن شباب اليكنية أقل من غيرهم في هذا السلوك، وكان رائدهم في ذلك الشاب خميس الدوكش– وهو دون العشرين قوي البــناء أبيض البشرة، تعلو وجهه حُمرة خفيفة أكرت الشعر قسمات الوجه تنبيء عــن التخلف الذهني، أصدقاءه كلهم أصغر عمراً منه علي الأقل بخمس سنوات ويــتفوقون عليه في الذكاء فسلوكه الاجتماعي أقل من عمره والغريزي متكافيء ورث ضــخامة الجســد مــن والده عم محمود الدوكش، والذي كان يتفوق عليه بالكــرش مستدير الوجه، وبه حُمرة لا تخطئها العين، ويضع علي الرأس طاقية صــوفية بيضــاء وصاحب صوت مرتفع دائماً ويعول أسرة كبيرة وله زوجتين وبالــرغم مــن إمتلاكهما سكناً خاصاً في أحد منازل الحي المتواضع إلا أن هذا الجــيش كــان شبه مقيم بشكل دائم بمحل تجارة الخضراوات الكبير الذي يملكه حيث كانت هذه الأسرة تمضي النهار كله به، وأحياناً أجزاء من الليل أو معظمه. كــان خميس علي خلاف مع والده بسبب اتهامه بالإهمال، وبما كان يختلسه منه مــن قــروش زهيدة تمكنه من الذهاب مرة في الأسبوع لشارع كلوت بك حيث يُطفــيء لهيــب غريزته ويعود بعدها هاديء الطباع سعيد بما حقق من إنجاز، ويحكي في سعادة تفاصيل مغامرته لإصدقاءه المجتمعين حوله في إنصات كبير، ونهم شديد وفي إحدي هذه المرات وصل صوته لإسماع عم سعيد مكوجي الحي الوقــور دائمــاً والذي خرج من دكانه كمن لدغه عقرب صارخاً، موجهاً سبابه وشــتائمه لخميس وهو يقول " إيه اللي بتحكيه ده يابن الكلب يامجرم ثم أضاف أنت مين رياك ".

وأنفجر جميع المستمعين بالضحك، وانتقلوا علي الفور للرصيف المقابل وخميس مستمر في سرد تجربته دون التفات لشتائم عم سعيد والتي تسببت في زيادة المتحلقين حوله وكلما زاد الضحك والتهريج تزداد شتائم عم سعيد واستخفاف خميس به ولم يمر هذا الموقف مرور الكرام فبسببه كان يتردد في أذهان كثيرين من شباب الحي سؤال وهو إذ كان ذلك المتخلف أستطاع الذهاب للحي الشهير أكثر من مرة وأصبح ذوة تجربة في هذا المضمار بقروش زهيدة لا تتجاوز العشرة قروش فلماذا لا نخوض التجربة بأنفسنا ؟..

ومن هنا بدأت المنطقة المشبوهة تستقبل وجوهاً جديدة من شباب الحي وفي إحـــدي هـــذه الزيارات لكلاً من الأصدقاء محمد إبراهيم – مصطفي المحروقي، حســـن محمد وبعد إتمام اللازم تخلف رفيقهم الثالث محمد إبراهيم عن الخروج وتوقفـــا فـــي إنتظاره أكثر من ربع ساعة لكنه لم يخرج إليهم، وهنا سأل حسن زمـــيله المحروقي قائلاً محمد إبراهيم ما خرجش ليه – نمشي ونسيبه ؟.. ورد عليه زميله قائلاً: " نمشي ونسيبه إزاي في المكان ده ؟.

ثم أضاف أنا موش مطمئن.. قوم بنا نرجع نشوف في إيه بالضبط ؟ ورجع الصـــديقان للمكـــان الذي خرجا منه منذ قليل وهو مكان فسيح به مجموعة من الحجرات لا يفصلها عن بعضها سوي فواصل خشبية رقيقة من الخشب الأبلكاش وصـــاح المحروقي يا محمد يا إبراهيم نمشي ونسيبك هنا سمعا صوت زميلهما يصـــرخ قـــائلاً إلحقوني إلحقونـــي إلحقوني حاموت، واندفع الصديقان فوراً نحو مصدر الصـــوت لـــيجدا زميلهما مُلقي علي الأرض وإحدي الساقطات تمسكه بيدها من مكـــان حســـاس فـــي جســـده، وتوسعه ضرباً بقبقاب خشبي بوردة حمراء باليد الأخـــري، وفـــي الحـــال ركلها المحروقي بقدمه ركلة قوية سقطت علي أثرها لـــلأرض رافعـــة صوتها بالصراخ وطلب النجدة وفي ثواني اندفعت أربعة من النســـوة من الحجرات المجاورة، واشتبكن مع الشبان في معركة استخدمت فيها المخـــدات والتـــي كـــن يضربن بها وهن واقفات علي الأسرة وأيضاً بالشباشب وســـرعان مـــا تهـــاون الحواجز الخشبية الفاصلة للحجرات والساقطات يرفعن أصواتهم بالصراخ ونجح الأصدقاء في فض الاشتباك من جانب واحد والخروج للشارع الرئيسي حيث كان يطاردهم صوت نسائي خشن هو صوت المعلمة وهي تـــنادي مســـتغيثة قائلـــة " حلّـــق يكســـبك إمسك يجبر بخاطرك الصياع أولاد الكلـــب(١)... ولا دفعـــوش وخـــربوا البيت.. ويتجاوب علي الفور مع الاستغاثة

---

(١) كلمة نابية.

الساقطة إثنان من البلطجية والمحترفين لمهنة الدفاع عن النساء بائعات الهوي لكن الشبان الثلاثة كانوا يعدون بسرعة كبيرة وصولاً للشارع الرئيسي، واستمروا في الجري حتي أوقفهم أحد الجنود وأقتادهم لنقطة الشرطة القريبة من المكان والتي كانت ملاذاً آمناً لهم من أيدي البلطجية حُراس بائعات الهوي الذين كانوا يتبعونهم في عدوهم لباب النقطة وبالداخل سأل الجاويش المناوب العسكري قائلا: إيه حكاية العيال دول ؟

العسكري : وجدتهم يجرون بسرعة من وش البركة ويتبعهم إثنان من البلطجية إياهم.

وهنا تدخلت المعلمة " عزيزة " والتي كانت قد وصلت إلي هناك مقاطعة وهي تقول " لا يا حضرة الصول العيال دول حرامية وكسروا المحل بتاعي وبهدلوه وسرقوا السلسلة الذهبية من علي صدري ".

الجاويش : بلهجة آمرة لأحد الجنود.. خد العيال دول وضعهم في الحجز لغاية ما أفضي أشوف حكايتهم.

وسيق الشبان الثلاثة لمكان الحجز.

وفي نفس الوقت وصل بلطجي ثالث لنقطة الشرطة يحمل صينية كبيرة وعليها أكثر من عشرين كوباً من الشاي، وبدأ في توزيعها علي كل قوه النقطة من العساكر والصف وذلك بداية من جنود الحراسة علي البوابة الرئيسية وبعدها تم فتح باب الحجز ونادي العسكري المكلف بحراسته علي الشبان قائلاً: " أخرج يا واد أنت وهو، وتفاهموا مع المعلمة والتي أمطرتهم بسيل جارف من قاموس البذاءة وهي تقول إنتم صفاتكم كذا وكذا.. مما حدي بأحدهم أن يسألها قائلاً: الكلام ده فينا إحنا ؟ وضحك كل من في الحجز، وهنا توقفت المرأة عن الردح وقالت شوف يا صايع أنت وهو أنتوا طبعاً عايوين تخرجوا من هنا.. ورد الشبان في صوت واحد طبعاً.

المعلمة : تدفعوا عشرين جنيهاً ثمناً للتكسير اللي عملتوه يا أولاد الكلب ده يتصلح بكام.. ثم قالت خربتم بيتي الله يخرب بيوت أهاليكم.

هنا تهامس الأصدقاء مع بعضهم ثم قالوا: نحن لا نملك سوي جنيهان فقط

المعلمة : كده.. خليكو محبوسين.

وأنصرفت وأغلق العسكري المكلف بالحراسة باب الحجز الذي مكث الأصدقاء به أكثر من ساعتين. وشاءت ظروفهم الحسنة أن يتم تغيير الوردية

وجـــاء جـــاويش نوبتجـــي جديد في وردية جديدة وانصرف الجاويش المناوب السابق، وكان مسئول الوردية الجديدة يبدوا علي سماته أنه من أبناء النوبة، وتم عرض الشبان عليه لتحرير محضراً بالواقعة وسألهم الرجل.

الجاويش : إنتو منين يا واد أنت وهو.

الشبان : من الدرب الأحمر.

الجاويش : من أي حتة في الدرب الأحمر.

الشبان : من اليكنية.

وأسقط في يد الرجل فهو من سكانها غير المعروفين.

وقال الرجل: اليكنية فيها من أشكالكوا دي.. غريبة.

وهـــنا أيقـــن الشبان بأن الفرج قريب - ثم قال بلهجة أبوية آمرة – شوف يـــاواد أنت وهو النوبة دي سماح لكن لو شفت هنا أو لمحت حد فيكم مرة ثانية ذنـــبه علـــي جنـــبه حايروح في ستين داهية، ثم قال أتفضلوا غوروا من وشي. وخرج الأصدقاء وهم لا يصدقون بالنجاة من الفضيحة.

إلغاء البغاء بشكله العلنى

تقـــابل كلاً من الصديقين علي عبد الله، وإسماعيل شريف كعادتهما بمقهي عكاشة وقال إسماعيل لصديقه عندى أخبار طازة.

علي : أخبار عن إيه.

إسماعيل : عن كلوت بك.

علي : أعوذ بالله وهي دي أخبار.. يفتح الله ياسيدي موش عايز أعرف.

إسماعيل : يا سيدي حاسب شوية وما تبقاش حمقي كده علي طول ثم قال دي أخبار تعجبك.

علي : متعجباً.. تعجبني إيه يا بني آدم ما تتكلم علي طول يا بلاش.

إسماعيل : تم إلغاء البغاء العلنى منذ ساعتين فقط، وبقرار من مجلس الوزراء، وتقوم الداخلية الآن بواجبها في وضع القرار موضع التنفيذ.

علي : برافو.. ثم قال شيء عظيم والكلام ده حصل إزاي، أنت عرفت بالسرعة الكبيرة دي إزاي ؟

إسماعيل : من صديق لي ضابط آداب أخبرني تليفونياً والموضوع أو القرار ده وراه قصة ظريفة.

علي : ظريفة كمان.

إسماعيل : نعم.. ثم قال.. كلنا عرافين أن سلوكيات أصحاب تلك المهنة وصلت لقمة الفجر والتجرد من الحياء مما دفع بنائب الدائرة[1]، وهو رجل مشهور بالاستقـــــامة والتدين بالإضافة إلي أن تلك المنطقة هي جزء من دائرته الانتخابية لمقابلة وزير الشئون الاجتماعية وطلب منه بشكل حاسم ضرورة وضع حد لممارسة الرذيلة بهذا الشكل العلني والرسمي المقنن من الدولة، ولكي تكون حجته قوية طلب من الوزير أن يصاحبه في جولة ميدانية في المنطقة، وبشكل سري ليري بعينيه وعلي الطبيعة سلوكيات هؤلاء الناس وبعدها هو حر في إتخاذ القرار الذي يمليه عليه

---

(١) المرحوم سيد جلال – نائب باب الشعرية,وهو مؤسس مستشفي سيد جلال التعليمي

ضميره. ووافق الوزير علي الفور وتوجها للمنطقة المقصودة دون حراسات أو صخب إعلامي وإمعاناً في التخفي تركا السيارة عند ناصية شارع نجيب الريحاني بجوار سينما ستوديو مصر وأمام سينما كوزمو، ثم عبرا شارع إبراهيم باشا[1] ومنه لمنطقة وش البركة حيث أهم أوكار الرذيلة وفي لمح البصر خطف طربوش الوزير بواسطة إحدي الساقطات وتركت المائدة التي كانت تجلس عليها بإحدي المقاهي ـ أطلقت ساقيها للريح ضاحكة بخلاعة وشاركها في الكركعة والإسفاف باقي زميلاتها والتي تصادف وجودهن معها، وقد فعلت ذلك ظناً منها أن صاحب الطربوش زبون – وخطف الطربوش هو من باب المداعبة، وبعدها يبأ الهزار، والضحك ثم اقتياد صاحبة لإحدي المنازل.

ألجمت المفاجأة معالي الوزير، وقال لمرافقه كفاية كده ورجعا لمكان تواجد سيارتهما وذهب معالي الوزير لمجلس الوزراء مباشرة والذي تصادف اجتماعه في جلسة مسائية وعرض الموضوع، ولم يسمح سيادته بأن تطول المناقشة باعتبار أن الموضوع غير وارد بجدول الأعمال، وحسم الموقف في كلمتين إما الإلغاء الرسمي للبغاء أو الاستقالة من الوزارة، وصدر قرار المجلس بالإجماع بالإلغاء وانتهت تلك الوصمة من ذلك اليوم في شكلها العلني المقنن.. ليس ذلك في القاهرة وحدها ولكن في جميع أنحاء المملكة.

ويستمر إسماعيل في السرد قائلاً وتقوم الداخلية الآن بحملات مكثفة في إغلاق هذه المواخير وإلقاء القبض علي من بداخلها.

---

(١) شارع الجمهورية الآن.

إستدارك

كـــان للأماكن التي تمارس فيها الرذيلة أسماء غريبة ففي القاهرة كان أسمها " الوسعة " وفي إحدي محافظات الدلتا كان اسمها "منطقة الخبـــيزة" وفي إحدي محافظات جنوب الصعيد كام اسمها "القطانية".

الكوليـــرا

فـــي صـــيف عـــام ١٩٤٧ قام نفر من اللصوص من إحدي قري مديرية الشـــرقية، ومـــن أصـــحاب الشهرة الواسعة في السطو علي معسكرات الجيش البريطانـــي القريـــبة من قريتهم بإحدي هجماتهم الليلية بغرض السرقة والسطو وحققت الهجمة غرضها بسرقة كمية لا بأس بها من البطاطين، وصناديق الشاي والـــذي كـــان يُعاني السوق المحلي من ندرته، وكميات من البنادق والمسدسات وكذلك صندوق صغير الحجم مُغلق بإحكام بشكل لافت للأنظار، وذهبت الظنون باللصـــوص في أمر هذا الصندوق بعيداً وهم يتوقعون أن يحتوي بداخله علي ما خـــف وزنه وغلا ثمنه، وكانت دهشتهم وخيبة أملهم لا حد لها عندما فتح وجدوا به كمية من ريش بعض الطيور الداجنة، وبعد فاصل كبير من السُخرية والتهكم وتوزيـــع الغنيمة بينهم قاموا بإلقاء الصندوق بمحتوياته بالرياح الإسماعيلي ولم تكن محتويات الصندوق في حقيقتها سوي عينات مصابة بالكوليرا قادمة من الهند فـــي طريقها لمعامل التحليل بلندن.. ويا ألطاف الله من حجم الكارثة التي حلت بمصر من سوء تصرف هؤلاء الأوغاد فقد انتشر الوباء مع تدفق المياه بالرياح ومـــا يـــتفرع عنه من مجاري مائية أخري لكي يحصد المرض اللعين الأرواح بـــالآلاف بمديـــريات الشرقية والدقهلية والقليوبية وباقي مديريات الوجه البحري والقاهـــرة. وللـــتاريخ فقـــد واجهت الحكومة تلك المصيبة بإيجابية – تمثلت في حمـــلات التطعيم والتي انتشرت في كل الأماكن الموبوءة ومع كل صباح كانت الطائرات تقوم برش المادة المسماة " دي٠دي٠تي" للتطهير لوقف انتشار الوباء، ومـــن الغريب أن الكثيرين كانوا يستخفون بالتعليمات الوقائية لدرجة التهرب من قوافـــل التطعـــيم حينما تطرق أبواب منازلهم، وإمعاناً في السُخرية كان هؤلاء البســـطاء يتعمدون تناول الخضروات والفاكهة.. خصوصاً البلح الأمّهات، والتي كانت التعليمات الوقائية تركز عليه ومن ضرورة غسله جيداً قبل الأكل.. وبدون غســـيل وفـــي تحـــدي غريب لتلك الإرشادات كان من هؤلاء المعاندين الشاب "خمـــيس الدوكش " والذي كان في سلوكه المتخلف نموذج للتمرد علي التعليمات والإرشـــادات الصحية – وفي صباح إحدي أيام شهر أغسطس كان هذا الحوار بين خميس ونفر من أصدقاءه من أبناء الحي:

خميس : متسائلاً.. رايحين علي فين ؟

الشباب : علي مكتب الصحة للتطعيم ضد الكوليرا.

خميس : كوليرا – ها هأ ها هأ

أخذ في الضحك بصوت مرتفع ثم أضاف إنتوا بتصدقوا الكلام ده٠٠ أنا ما بكلش البلح الأمّهات إلا من غير غسيل علشان الغسيل بيضيع حلاوته لأن البلح بيبقـــي نـــايح فـــي العسل، وبالطبع لم يلتفت أي من الشباب لكلامه ومضوا في طـــريقهم، ولم يمض أسبوع علي هذا الحوار إلا وقد انضم خميس لقافلة ضحايا الوبـــاء اللعيـــن وخـــرج شـــباب الحي جميعهم في وداعه والألم يعتصرهم مع صـــرخات الأب الملكـــوم وهو يولول بصوته المميز صارخاً " إبني وأخويا يا خميس ".

جاء فصل الخريف، وبدأت حدة الوباء تخف حتى انتهت تماماً بحلول الشتاء ومضـي الشـتاء بلياليـه البـاردة الطويلة وجاء فصل الأمل فالأشجار أورقت والأزهـار أينعنـت، والطـيور باضت وأفرخت واكتست الحدائق بذلك البساط السُندسـي الأخضـر الـذي حاكته يد القدرة التي لا تحاكيها قدرة، وأبدعته يد الصنعة التي لاتدانيها صنعة إنه فصل الربيع فصل الزهر والنماء وعادت الأمور لطبيعـتها فالحياة لا تتوقف أبداً، وإن كان غاب عنها فلان من الناس أو غيره، وعـادت لليكنية صورتها الأولي فعربات الرش تجوب شوارعها صباحاً ومساءاً وصـوت أبو عبده بائع العرقسوس الشهير، والذي اختفي وتواري في أيام الوباء عـاد ليجلجل من جديد بندائه المحفوظ " هاتوا الدوارق والشفاشق وحصلوا أبو عبده شوفوا المثلج، أبو عبده عنده خروب مُدهش ". وجاء بعده الشيخ عبد السلام بقامته القصيرة ووجه الأبيض المُلتحي وبقربته الجلد التي يحمل بها العرقسوس معلناً عن وجوده بالصلصة بصاجاته النحاسية فقط دون ما صخب أو نداء وعاد للظهـور كذلـك بائع الترمس والفول أبو شطة يدفع أمامه عربته المحملة بالقلل القـناوي بأغطيتها النحاسية النظيفة وبهاء الماء العذب الفرات، أما المعلم محمد عيسـي صـاحب أشهر محل شربتلي بشارع محمد علي والذي تنفس الصعداء بـزوال وقـف الحـال، والذي أثر بدون شك علي مبيعاته من عصير القصب والمـثلجات الأخـري، فقد افتتح محله بعد أن استغل فترة وقف الحال في إعادة تجديده لطلاء الواجهة بلون سماوي جميل وكذلك الحوائط المجاورة بشكل جعل مـن الممكـن وضـع عدد من الكراسي علي الرصيف لجلوس العملاء من كل الطبقات في فترة العصاري.

والمعلـم محمـد عيسي أسمر البشرة بسبب جذوره الأفريقية، متين البنيان ويـرتدي الملابـس الأفرنجية بنظارة سميكة علي عينيه وطربوش علي رأسه، وكـان الرجل مزواجاً فقد تزوج أربعة مرات وطلق واحدة من أزواجه وتوفيت أخري، ومع ذلك فعلاقاته النسائية متعددة وله من الأولاد عشر.. ستة من الذكور وأربعة من الإناث وكلهم في التعليم بمراحله المختلفة وكان الرجل مجموعة من المتناقضات.. فبالإضافة لما سبق فهو قاريء مواظب للأهرام مما كان له تأثير كبـير فـي أسلوبه في الحديث وفي مدي إلمامه بالأمور السياسية ولذلك فرض احـترامه علـي الجمـيع الذين كانوا لا ينادونه إلا بكلمة " سي محمد " ويسكن بمنزلـه الـذي يمـتلكه باليكنية وبه دكان أو محل وحيد يستخدمه جراج لوسيلة مواصلاته والتي كانت موتوسيكل بسيكار، كما يستخدم أيضاً في جلساته الخاصة

غـــرزة فـــي تدخين الحشيش مع أخلص الأصدقاء، وكان لهم أثناء ذلك حوارات سياســية علـــي مســتوي دون تشنج أو صراخ وقد يكون ذلك راجعاً لمستواهم الفكري بسبب المداومة علي قراءة الأهرام وأيضاً بتأثير تعاطي الحشيش، وأشهر هـــؤلاء الـــندماء الحـــاج علـــي المذهباتي صاحب ورشة خارج المنطقة لطلاء الصالونات بالذهب ويعيش في مستوي كريم من دخله من عمله، أما النديم الثالث فهـــو الشيخ حسانين الساداتي والذي تجاوز الستين من العمر أبيض البشرة وله لحية شديدة البياض وغير كثة - له دراسة أزهرية متوسطة أو أقل من المتوسطة أهلـــته للعمـــل بالتدريس بالمدارس الإلزامية قبل الإحالة للمعاش، وكان ضعيف البنية فالعصا لا تفارقه أبداً، ومن أشد الناس ولعاً بفن أم كلثوم وإذا بلغت النشوي منـــتهاها بســـبب الغـــناء والتدخين هب واقفاً رافعاً عصاه لأعلي خصوصاً في الحفلات الشهرية التي كان الأصدقاء يحتفلون بها بسطح منزل المعلم الفسيح بعد إعـــداده للمناســـبة مـــن حيـــث النظافة والإضاءة ومن أسباب توثيق الصلة بين الأصـــدقاء الثلاثة هو التزاور العائلي بينهم، فالزوجات يعرفن بعضهن البعض، وكذلك الأولاد وفي إحدي الجلسات للأصدقاء الثلاثة سرح الشيخ حسانين طويلاً مما دفع المعلم محمد ليسأله هكذا:

المعلم محمد : إيه يا شيخ حسانين تركتنا ورحت علي فين.

الشيخ حسانين : أنا في سنة ١٩٤٩.

المعلم محمد : ضاحكاً.. ياه ده إحنا في سنة ١٩٤٧ وكده يبقي إنت خلاص وصلت.. إيه الحكاية يا شيخنا إحنا لسه في أول السهرة.

الشيخ حسانين : أنا في انتظار عام ١٩٤٩ علي أحر من الجمر حيث ينتهي القضاء المختلط طبقاً لاتفاق مونترو[1] وعندها نكون قد تخلصنا تماماً من الامتيازات الأجنبية، والتي آخرها القضاء المختلط.

الحاج علي المذهباتي: معاك حق يا شيخ حسانين فالامتيازات الأجنبية دي كانت كارثة، ومصيبة وكان أي من رعايا الدول الأجنبية أو حتى مستعمراتها يعمل أي مصيبة لا يستطيع البوليس المصري القبض عليه أو استجوابه إلا

---

(١) بتوقـــيع إتفـــاق مونـــترو عام ١٩٣٧ تم التخلص من المحاكم القنصلية والتي حل ملحلها القضاء المختلط لفترة إنتقالية مدتها إثني عشر عام تنتهي في ١٩٤٩.

بعد استئذان القنصل الأجنبي، وكذلك لا يحاكم إلا أمام المحكمة القنصلية لبلده، والتي لا تستأنف أحكامها إلا في الخارج.

المعلـــم محمـــد : فعـــلاً، ثم أضاف ومين كان حيسافر بلجيكا أو باريس علشان يستأنف حكم ضد واحد مغربي مثلاً.

الشيخ حسانين : إشمعني مغربي بالذات ؟

المعلم محمد : لسبب بسيط لأن جميع المغاربة في مصر يتمتعون بالحماية الفرنساوي، وكذلك السنغاليون المجاورون للأزهر.

ثـــم أضـــاف وإحنا عمرنا ما حننسي حكاية بياع الكسكسي الجزائري اللي ضرب راجل مصري بسكين في شارع الأزهر، والبوليس ما قبضش عليه بسبب الحماية الفرنساوي التي كانت معه، وغيره وغيره ومين كان حايتحمل الأوضاع دي لغاية دلوقتي.

الشيخ حسانين : ربنا يحمي مصطفي النحاس، وحمدي باشا سيف النصر وباقي أعضاء الوفد المصري اللي خلصونا من القرف ده، ثم قال كلها سنتين إثنين فقط وتصبح السيادة كاملة للقضاء المصري.

الجميع في نفس واحد: الحمد لله..

الشيخ حسانين : وقد أخرج من جيب قفطانه ساعته التي نظر فيها ثم قال الساعة الثانية صباحاً – كفاية كده تصبحوا علي خير.

المعلـــم محمـــد والحـــاج محمـــد في نفس واحد وإنت من أهله وأنصرف الصديقان، أما المعلم محمد عيسي فصعد للدور العلوي من المنزل حيث إقامته.

الثانية والثالثة صباحاً هو موعد عودة المعلم محمد لمنزله، وأعتاد أهله علي ذلك، وكان علي الفور يستبدل ملابسه ببجامة نوم، ويضع علي رأسه طاقية من نفـــس قماش البيجامة، وكان لسمار بشرته وجسده الممتليء نسبياً مع قصر قامته شديد الشبه بالفنان علي الكسار – وكان يعيش معه في نفس السكن كلاً من شقيقه الأصغر عبد العظيم صاحب ورشة صغيرة للميكانيكا بالمنيل، والذي يختلف عن شـــقيقه في الشكل والسلوك.. فهو أطول قامة سويّ السلوك رغم عزوفه النسبي عـــن الـــزواج كما يعيش معه أيضاً شقيقته رئيفة المطلقة بعد زواج فاشل لم يدم

أكثر من ستة أشهر، وكان ثمرته طفل صغير يربي في كنف أخواله وكان اتساع السكن يسمح بحجرة مستقلة لكلاً من شقيقه وشقيقته ونفس الشيء بالنسبة لكلاً من أولاده الإناث والذكور كلاهما علي حدة. وكان الرجل يستمتع بتناول عشاءه مع أحـب أزواجه إليه السيدة / مأمونة والتي هي أم أطفاله الصغار فقط، وكان ذلك العشـق بلا حدود، فهو لا يطيق البعد عنها مهما كانت الأسباب، وبما أنها كانت تعلـم عـنه ذلك فقد كانت خبيرة في التعامل معه من خلال سيطرتها علي نقاط الضـعف فـيه فهي تدرك بغريزتها متي تطلب ومتي تنتظر مستخدمة في ذلك أسـلحتها الأنثوية، حيث كانت جميلة بمقياس العصر .. فهي بدينة القوام بشكل لافـت للـنظر خمـرية اللـون وأجمل ما فيها عيونها العسلية وفمها الصغير، وضحكاتها الخليعة – جميع ملابسها تكشف عن صدرها الممتليء وفتنة ذراعيها وهـي الوحـيدة بين سكان الحي التي تذهب للكوافير مرة في الأسبوع مما جعل جـيرانها يتندرون عليها بقولهم إنها تذهب للمزّين زيِ الرجالة. وفي هذا المساء وقد تناول المعلم عشاءه محمد عيسي نادي عليها قائلاً: مأمونة.

الزوجة: نعم يا سي محمد.

هو : هاتي وابور السبرتو عندي هنا.

هي : حتعمل الشاي عندك ؟

هو : لا إعملي الشاي عندك أنا عايز الوابور علشان حاجة تانية.

وأحضـرت مأمونـة وابور السبِرتو ووضعته علي المائدة أمامه، وأشعلته بعـود ثقـاب وأمسـك الـرجل سكيناً ووضعها علي لهب السبرتو حتى اشتدت حـراراتها ثم أخذ يقطع بها تربة من الحشيش بيضاوية الشكل، مما أحدث معه دخاناً أزرق وله رائحة مميزة، ثم توجه لزوجته وسألها وأجاب بنفسه عن سؤاله في نفس اللحظة وهو يقول:

تعرفي يا مأمونة الصنف ده إسمه إيه.. أسمه غُبارة.

مأمونة بدلع.. وأنا مالي يا خويا بالحاجات دي، وأنت موش ناوي تبطلها

هو : أبطل إيه يا عبيطة ده هو ده المزاج.

هي : محتجة مزاج إيه بس.

هو : نعم هو ده المزاج، والأُنس والفرفشة والناس اللي بتشتمه جُهال.

هي : جُهال إيه دي ناس ربنا راضي عنها.

هو : موضحاً .. دي ناس لا شربته ولا تعرف حاجة عنه بس غلبة وكُتر كلام علي الفاضي.

ثم أضاف شوقي بيعمل إيه في الشيخ حسانين لما يشرب كُرسيين ثلاثة من الصنف ده.

هي : بيعمل إيه ؟

هو : بيعمل إيه إزاي.. ده بيقوم وهات يا رقص بالعصايا خصوصاً إذا كانت ثومة بتغني " رق الحبيب " أو " سهران لوحدي ".

هي : يا هل تري مراته وبناته عارفين إنه مسخرة كده ؟

هو : مدافعاً عن صديقه.. مسخرة إيه يا شيخة كل ما في الحكاية إن الراجل لما تكون التعميرة حلوة زي دي يقوم يرقص شوية، وإحنا ما فيش غريب معانا، وبالمناسبة سيدة بنته طلعت الأولي في الإبتدائية، وسلمت علي الملك فاروق وأخذت منه جائزة.

هي : قابلت الملك ؟

هو : أيوه ما هي وزارة المعارف عاملة نظام وتقليد وهو استقبال الملك للأوائل في الشهادات العليا، ويتغذي معاهم في السرايا ويوزع عليهم الشهادات، إنما أوائل التوجيهية والثقافة والإبتدائية يستقبلهم فقط ويسلمهم الجوائز.

هي : تنظر لزوجها بعينين ناعستين وهي تقول موش ننام بقي ده الفجر طلع.

هو : يا شيخة الليل حلو في حد يسيب الليل الجميل ده ويقوم ينام، وبعد قليل انسحبت هي لحجرة نومها ثم تبعها هو الآخر.

وفي عصر اليوم التالي بسطح المنزل الفسيح والذي تشرف عليه شقة " سي محمد " والذي يستخدم في نفس الوقت منشر للغسيل لسكان المنزل كان الحوار التالي بين مأمونة الزوجة الأثيرة لصاحب البيت وشقيقته رئيفة في وجود أم حمادة الجارة بالدور الأول وموضع احترام الجميع، والتي تصادف تواجدها لجمع غسيلها بعد أن جففته شمس شهر بؤونة الحارقة:

رئيفة : إيه يا مأمونة الحكاية معاكي أنت و " سي محمد " أخويا.

مأمونة : وهي متسائلة حكاية إيه يا رئيفة ؟

رئيفة : يا مأمونة موش توطي حسك شوية أولاد جوزك صلاة النبي أحسن سمير وعبد العزيز أصبحوا شباب وكمان عبد العظيم أخويا، وكلهم بيسمعوا صوتك وما يصحش كده.

مأمونة : بعد أن تطلق العنان لإحدي ضحكاتها الماجنة وهي تنظر نحو رئيفة وترفع إحدي حاجبيها وتخفض الآخر وهي تقول: " دي بينها حكايتك أنتي يا أختي.. بينك بتغيري، ثم أضافت ما تقولي يا أختي الكلام ده للنبي حارسه وصاينه أخوكي علشان يهدي اللعب شويه وساعتها بس أوطي صوتي، ثم أعقبت كلامها بضحكة أكثر خلاعة من الأولي ثم وجهت كلامها لأم حمادة، ولا أنت شايفة إي يا أم حمادة.. والتي أطرقت بوجهها خجلاً وحياءاً.

أم حمادة: أم حمادة يا ختي ما لهاش دعوة إنتوا واخدين علي كده.

وتدخلت علي الفور في الحديث عطيات خادمة مأمونة، والتي تجاوزت الأربعين من العمر قائلة: ده سي محمد اللهم صلي علي النبي راجل ولا الملك فاروق – ده بسلامته لما بياكل بيمسح الترابيزة مسح علشان كده بالليل لازم يكون جدع.

واشـــترك ثلاثتهم في الضحك بصوت مسموع أما السيدة الوقور فقد اكتفت بالإبتســـام، وأســـرعت بجمـــع ما تبقي من الغسيل علي الأحبال واستأذنت في النزول لشقتها.

أما مأمونة فوجهت كلامها لعطيات قائلة:

" جري إيه يا ولية إنت عينك من الراجل ولا إيه ".. وصرخت فيها أمشي أنجـــري خلصي شغلك أحسن ده قرب يقوم من النوم ويسود عيشتنا، وأسرعت المرأة في عملها وهي لا تكف عن الضحك والتدخل في الحوار المتبادل بين كلاً من مأمونة ورئيفة بين الحين والحين.

إستدراك

قبل الإنتقال لفترة زمنية جديدة رأيت أن أسجل عمليات الإغتيالات السياسية لبعض الزعماء أو محاولات الإغتيال وقد وقعت بهذا الترتيب:

- ٨ يوليو ١٩٣٠ محاولة إغتيال مصطفي النحاس في المنصورة بطعنة سونكي وتلقاها عنه الشهيد " سينوت حنا " مفتدياً زعيمه، ولقي ربه متأثراً بها وكان ذلك في عهد إسماعيل صدقي.
- ٢٨ ديسمبر ١٩٣٧ إطلاق أربعة رصاصات علي سيارة الزعيم من جانب أحد أعضاء حزب مصر الفتاة، وهو الطالب عز الدين عبد القادر.
- ٤ فبراير ١٩٤٥ تم إغتيال الدكتور حمد ماهر رئيس مجلس الوزراء.
- ١٦ ديسمبر ١٩٤٥ تم إلقاء قنبلة يدوية علي سيارة الزعيم وأصيب رفعته بجروح بسيطة.
- ٥ فبراير ١٩٤٦ كانت هناك محاول لإغتيال الزعيم أثناء تشييع جنازة أمين عثمان، والتي تخلف عنها بالصدفة بسبب إصابته بنزلة برد شديدة منعته من المشاركة.
- ١٦ إبريل ١٩٤٨ انفجرت قنبلتان في حديقة منزله بجاردن سيتي.
- ٩ نوفمبر ١٩٤٨ أطلق ٢٠ رصاصة علي سيارة فؤاد باشا سراج الدين – سكرتير عام الوفد، وبصحبته الزعيم مصطفي النحاس أمام منزله بجاردن سيتي واستشهد إثنان من الخفراء وجُرح آخرين.

- ٢٨ ديســمبر ١٩٤٨ أغتــيل محمــود فهمي النقراشـــي علي يد طالب الطب البيطري عبد المجيد أحمد حسن،
- ١٢ فــبراير ١٩٤٩ تــم إعتيال فضيلة الشيخ حسن البنا – المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين أما مبني جمعية الشبان المسلمين.
- إغتيال اللواء سليم زكي – حكمدار الأمن العام أمام مبني أو علي باب كلية طب القصر العيني.

كـان المخـزن الملحق بمحل الحاج عبد الله ملتقي ندماء الرجل وأصدقاءه الذيـن هـم تقريباً من نفس مستواه العمري اليومي بعد صلاة العشاء للإستماع لآيـات الذكر الحكيم من الراديو من مشاهير القراء وهم بالترتيب كلاً من الشيخ محمد رفعت، طه الفشني، الشعشاعي، وأبو العينين شعيشع، والشيخ المنصوري الشامي الدمنهوري، وكانت حواراتهم حول الأحاديث النبوية الشريفة والتفكر في كـرامات أولـياء الله الصـالحين من أهل البيت والسيد البدوي وسيدي إبراهيم الدسـوقي رضـي الله عـنهم وأرضاهم أجمعين، وأحياناً تكون حواراتهم حول التنـبؤات للفكلي الأسيوطي بمفكرته والتي كانت ذائعة الصيت في ذلك الزمان، وكـان هـذا الملتقـي يتكون بالإضافة للحاج عبد الله من كلاً من الحاج حسن إبراهـيم– تاجـر الغلال، وقريب الحاج، ومحمد أفندي – باشكاتب القسم سابقاً، وكذلك الشيخ عبد العاطي ناصف – من ذوي الأملاك والتي هي عبارة عن ثلاثة منازل وربع كبير بالجمالية به عدد كبير من المحلات التجارية والحجرات بالفناء المؤجـرة مخـازن للـتجار وكلها آلت إليه بالوراثة وجميعهم من عشاق شرب المعسل علي الشيشة مع شرب الشاي – وفي إحدي تلك اللقاءات في أوائل شهر مـايو ١٩٤٨ جاء الحاج حسن إبراهيم متجهماً وحيا الحاضرين، وجلس شارداً مما جعل الحاج عبد الله يسأله:

الحاج عبد الله : مالك يا حسن فيه إيه.. وأضاف خير إن شاء الله.

الحاج حسن : موش باين لها خير أبداً ثم أردف قائلاً أولاد الكلب الكفرة دول خلوها خل في فلسطين، ووصل الكفر لدرجة إنهم يتراهنون علي السيدات الحوامل بشأن ما في بطونهن ذكوراً أم إناث وبعدين يضربوهن بسونكي البندقية.

الحاج عبد الله : أعوذ بالله.. ربنا يخسف بيهم الأرض الكفرة دول، ثم قال الحكاية دي زادت عن حدها وإحنا النهاردة يبقي بالضبط كده أربعة أسابيع بنكبر عليهم يوم الجمعة، ونأمّن وراء الخطيـب في دعاءه عليهم – وإحنا حنقول إيه بس ربنا سبحانه وتعالي ينتقم منهم وينصر الإسلام.

الحاج حسن : أنا عايز أعرف الحكومة منتظرة إيه ؟ هي بس تنادي يـــا توفاكشـــية[1]، والتوفاكشية عندنا في سوق السلاح يعملوا كل حاجة، ونطلع عليهم نوبة واحدة، يعني إحنا مـــوش حانغلـــب فيهم، ثم قال، وأنا عن نفسي عارف السكة كويس من أيام ما كنا في السُلطة مع الإنجليز.

الحـــاج عـــبد الله : تمـــام، مـــا أنا كنت معاك في السلطة يعني نطلع علي العـــريش، وبعدين رفح ومنها علي غزة، ويافا، وخان يونس، واللد، والرملة، ثم أضاف بلغة الواثق كل البلاد دي إحـــنا دوسناها بالشبر والقدم وكلها إسمها بر الشام ثم أضاف:

الحمـــد لله الإســـلام بخـــير، النهاردة موسي أبني أخبرني بأن فيه فوج كبير قوي من الإخوان المسلمين سافروا فلسطين ومعاهم الشيخ فرغلي بتاع السويس.

الحاج حسن : موسي عرف منين.

الحاج عبد الله : ما هو موسي وصاحبه محمد عفيفي وعبد العزيز وعبد الحمـــيد الســـوداني كلهم من أولاد الحتة، وزمايل في المدرسة وأعضاء في جماعة الإخوان المسلمين، وعلي صلة طيبة بفضيلة الشيخ حسن البنا – المرشد العام – وزي مـــا أحـــنا كلنا عارفين إن المركز العام موجود بمـــيدان الحلمـــية وهـــناك يـــتقابلون معه بعد حديثه الإسبوعي كل يوم ثلاثاء.

محمد أفندي : أنا أعرفه كويس لأنه ساكن بشارع سنجر الخازن خلف قســـم الدرب الأحمر مقر عملي قبل المعاش – ثم وجه كلامـــه للشـــيخ عبد العاطي قائلاً: " ساكت ليه يا شيخ عبد العاطي.. موش تسمعنا رأيك.

الشيخ عبد العاطي : إنتو عايزين الحقيقة.

الجميع : طبعاً.

---

(١) مفـــردها توفاكشي – ومعناها من يقوم بصناعة وإصلاح السلاح مثل البنادق والمسدسات واللفظ تركي.

الشيخ عبد العاطي : إللي بيحصل في فلسطين ما يطمنش يا أخوانا مصيبتنا في الفرقة ربنا سبحانه وتعالي قال " واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا " صدق الله العظيم، ثم استطرد قائلاً كما لو كانت هذه الآية الكريمة لا تخصنا.

الحاج عبد الله : وضح كلامك علشان نفهم معاك.

قال : إحنا للأسف بدأنا بالانقسام والفُرقة.

الجميع : فى نفس واحد.. إزاى.. ياريت تُخش فى الموضوع على طول.

الشيخ عبد العاطى : حاضر ثم قال هناك فى فلسطين فيه جيشان- كل منهما له قيادة ويعمل دون تخطيط أو تعاون مع الآخر.. وأشرح أكثر يعني فيه جيش التحرير العربي بقيادة الضابط السوري فوزي القاووجي، وهناك جيش الخلاص العربي بقيادة عبد القادر الحسيني وأنا باقول يعني لو كانوا الجيشين مع بعض بقيادة واحدة موش كان يبقى أفضل.

الجميع : بدون شك.

الشيخ عبد العاطى: ما هو ده اللي مزعلني قوي والنهادره فيه ضابط كبير علي المعاش كاتب فى الأهرام أن العمليات شبه العسكرية للمتطوعين العرب فشلت للأسف بسبب عدم توحيد قواتهم في مواجهة العصابات الصهيونية فجيش التحرير العربى بقيادة فوزى القاووجى بدأ عملياتة فى ١٠ يناير ١٩٤٨ ولم تخرج عن كونها عمليات إزعاج وتعرض للقوافل المتجة للمستوطنات البعيدة مما جعل خسائر اليهود كبيرة فى الأرواح - وبالطبع رد اليهود على ذلك فى ٥ يناير ١٩٤٨ بنسف مقر قيادة للمناضلين العرب فى يافا وأدى ذلك لاستشهاد حوالى مائة مسلم، كما تم فى اليوم التالى مباشرة فى حى كتامون بالقدس نسف فندس سميراميس الذى يملكه عرب وقتل عشرين عربيا أخر.

الحــاج عبد الله : عايزين نعرف الجيــش الثانى ثم قال أنــا قصــدى جيــش الخلاص بتاع عبد القادر الحسينى.

الشيخ عبد العاطى : ما أنت لو كنت صبرت كنت حقول لأن مقال الأهرام كاتــب عن الإثنين معاً ثم استطرد فى الشرح.. فجيش الخلاص قام بعمليات كثيره ضد المستوطنات اليهودية كتــب لبعضها النجاح ولأغلبها الفشل ، وبحلول شهر مــارس ١٩٤٨ أصــبحت فلســطين مسرحاً للعمليات الإرهابــية من الطرفين وكانت خسائر اليهود من أول نوفمــبر حــتى آخــر مــارس حوالى ١٢٠٠ قتيل ، والخســائر العربية من نفس المستوى أو تزيد قليلاً.. ومــا أن انتهى الشيخ عبد العاطى من كلامه حتى ساد الصــمت والوجوم وبعدها تسائل الرجل.. مالكم سكتم كده؟

الجميع : حنقول إيه.. ربنا يحلها من عنده.

الشيخ عبد العاطى : الكلام ما خلصش انا عندى أخبار كويسة إنما أروح أتعشى، وأرجع أفرحكم بها.

الحــاج عبدالله : بالذمة ده كلام، العشاء حيكون هنا وصاح منادياً " يا علام " هات عشاء لنا هنا، ثم وجه كلامه للشيخ عبد العــاطى قائلاً: "موضوع العشاء خلصنا منه عايزين نسمع الأخبار الكويسة ".

الشيخ عبد العاطى : كده بقى نفرحكم ثم أمسك بجريدة المصرى – والتى كــان يحتفظ بها فى جيبه ويبدأ فى القراءة وهو يقول: " منذ أن تولى القائمقام أحمد عبد العزيز قيادة قوات المتطوعين بدأت العمليات الفدائية العربية تأخذ شكلاً جديدا غير الإغارة على المستوطنات، ففى إحدى عمليات عبد العزيز المخططة تمكن من احتلال منطقة عراق سويدان بعد جلاء البريطانيون عنها والتى سبق لهم احتلالها لتأمين إنسحابهم من وسط فلسطين نحو رفح ومنها لمنطقة قناة السويس – وتستمر الجريدة فى الشرح ويرتفع صوت الشيخ عبد

العاطى بنبرة حماسية وهو يقرأ وبهذه العملية الخاطفة تمكن القائمقام أحمد عبد العزيز من السيطرة على طريق الشرق والغرب والمجدل، وقطع طريق الامداد للنقب عبر منطقة برير، والحليقات، ومع وصول المزيد من القوات سيتمكن أحمد عبد العزيز من عزل النقب ".

وهنا صاح جميع الحاضرون الله أكبر الله أكبر ربنا ينصر الاسلام.. منصورين إن شاء الله.

ودخل علام يحمل صينية كبيرة بالعشاء المكون من الجبن الأبيض والرومى والزيتون والحلاوة الطحينية قام بوضعها على المنضدة ثم أحضر قلة للمياه.

أصبحت سماء مصر كلها ملبدة بغيوم الحرب، وشعر كل من كان قريباً من الجيش بصورة أو بأخرى برفع درجة الاستعداد القصوى وبأن الأوامر العسكرية صدرت بوقف الدراسة بكافة المدارس العسكرية للفرق التأهيلية للضباط، وبعودة هؤلاء للالتحاق بوحداتهم الأصلية، كما تم إلحاق الضباط المعلمين بهذه المدارس على التشكيلات الميدانية- ومن هؤلاء كان اليوزباش على عبد الله والذى لم يصبح يعود لمنزله كل يوم إنما مرة أو مرتين فى الأسبوع، ولفترات قصيرة حيث الاستعدادات تجرى على قدم وساق وفى سباق مع الزمن لحين صدور الأوامر بالتحرك لميدان القتال بفلسطين.

وفى أحد هذه الأيام رجع الضابط على عبد الله للمنزل قبل الظهر، وبمجرد أن رأته الزوجة الحبيبة عرفت أنها زيارة الوداع. حيث كان يرتدى زى الميدان، وبمعصمه الأيمن سوار معدنى مدون عليه الرقم العسكرى ورقم الوحدة – نظرت سعاد لزوجها مرة أخرى، وتأكدت أن ساعة الفراق حانت، فأجهشت بالبكاء بصوت مرتفع، ثم غابت بين ذراعيه، واستمرا على ذلك فترة لا يعلم مداها أحد، وهو يحتضنها ويغمرها بقبلاته فى محاولة أن يهدىء من روعها – لكن هيهات إنه الفراق المصحوب بالهواجس أما هو فكان رابط الجأش، يرفع رأسها بكلتا يديه، ويقبل الوجنتين ويعاتبها بحنان قائلاً:

وبعدين يا سعاد الوقت ضيق جداً والأوامر التواجد فى الوحدة قبل سعت ١٤٠٠- ونسى أنه يخاطب زوجته والتى لا تعلم معنى كلمات سعت أو ١٤٠٠ ولكنه دائما شأن الرجل العسكرى المنضبط والذى تتسم سلوكياته داخل وخارج القشلاق بالانضباط وهنا

قالـــت سعاد: خلاص يا على لكن غصب عنى موش متصورة غيابك عننا وعــن البيت.

علــــــــى : إنشـــاء الله ما فيش غياب، فالمسألة كلها كام يوم، ونرجع بعـــــد تأديب الصهاينة المجرمين دول.

سعـــــــاد : ومازال أثر الدموع لم يجف بعد على الوجه الجميل تقول مشـــجعـــة زوجها وبصوت ضعيف إن شاء الله إن شاء الله ثم تضيف وأنت موش عايز حاجة.

علــــــى : على الإطلاق وإن شاء الله خطاباتى حتوصلك على طول أول مــــا نستقر – أنا موش عايز بكاء على الإطلاق، ورجائي أن تتماسكى ومع تماسكك سيتماسك الآخرون.

ســعـــــاد : ربنـــا معـــاك. ربنـــا معاك – وفى تلك اللحظات وصل الحاج عبد الله، والحاجة أم على، وأشقاء على وشقيقاته، وكذلـــك عطـــية أفندى سلمان وأسرته، وتلاقت العيون وفاضت المشاعر.

حتى تدخل الحاج عبد الله قائلاً:

وبعديـــن يـــا أولاد إن شاء الله يسافر مع إخوانه لتأديب الكفار دول، ويرجع لنا بالسلامة.

عطية أفندى : إن شاء الله.

والآن قـــد حانـــت اللحظة العصيبة، حيث يخاطب كل الحاضرين نفسه ويســـألها مـــتى يكون اللقاء – لكن على قطع على الجميع تفكيرهم حينما رفع طفلـــته لـــيلى بنت الستة أشهر، واحتضنها وقبلها ثم وضعها بحنان فى مهدها، وبعدهـــا عانق والده، ثم عطية أفندى،، وأخواته، ثم مد يده لتوديع شقيقة زوجته وكانـــت سعاد آخر من ودع – وخرج من الشقة دون التفات للخلف وتبعه جندى المراسلة حاملاً حقيبة ضابطه، وفى دقائق نهبت سيارته الجيب الصغيرة شارع أحمـــد باشـــا تيمور، وشارع محمد على حتى ميدان باب الخلق ومنه للعتبة فى طـــريقها لقشلاقات الجيش بالعباسية مع دعوات الجميع بالنصر والسلام، وغلب الصـــمت على كل الحاضرين – وواجه الحاج عبدالله الموقف بالصلاة والدعاء متمثلا قوله تعالى:

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾.   صدق الله العظيم

أما عطية أفندى فا انتحى جانباً على إحدى الأرائك وجلس شارد الذهن، أما باقى الحضور كان لكل منهم شأن فى صمت وهدوء شديد وانتهى الحاج عبدالله من صلاته، ودلف لحجرة حفيدته والتى آبت إلا أن تشارك باقى أفراد العائلة البكاء، ورفعها الرجل من فراشها وغمر الوجه البرىء بالقبلات، ولم ينتبه إلا على صوت سعاد تقول:

عنك يا عمى البنت عايزة تغير، وتناولتها من بين يديه وخرجت يتبعها الرجل المؤمن والمتجلد، والذى قال موجها كلامه لصهره عن أذنك يا عطية أفندى – أنا نازل المحل، وياريت متسيبوش سعاد بمفردها.

عطية أفندى : ربنا يعمل ما فيه الخير.

ولم يشعر الحاج بالمسافة من منزل ولده حتى محله بسوق السلاح حيث دلف مباشرة للمخزن وهناك جلس على كرسيه المفضل بعد خلع البالطو، ووضع طربوشه من على رأسه الذى أمسكه بكفية وفاضت عبراته بصوت ضعيف فمثله لايسمح لأى إنسان كائناً ما كان أن يراه فى لحظات ضعفه.

وهناك فى المنزل الذى خيم عليه السكون قام عطية أفندى ناحية الراديو مردداً كلمات خير إن شاء الله – خير إن شاء الله وفتحه وهو يقول نشوف الأخبار فيها إيه. وفى حياة كل منا أمور ليس لها تفسير فقد تكون وليدة الصدفة، وربما كانت رسائل طمأنينة فسبحان عالم الأسرار، وفى ثوانى جاء صوت المذياع ليبعث تلك الطمأنينة ويحيي الأمل فى نفوس الجميع ومؤكداً على نبل المهمة التى سافر من أجلها العزيز – كان ذلك فى صوت المطربة سعاد محمد وهى تقول:

يا مجاهد فى سبيل الله	**دا اليوم اللى بنتمناه**
طول يا بطل ما معانا سيوف	**الدنيا ياما بكرة تشوف**
إحنا عرب أصلنا معروف	**فن الحرب إحنا بدعناه**

يا مجاهد فى سبيل الله

ومن تلك اللحظة أصبح ذلك النشيد فى أى وقت بالليل أو بالنهار هى الرسائل من سعاد الزوجة الملهوفة للحبيب الغائب بميدان القتال بفلسطين.

استدراك

انتهى الانتداب البريطانى على فلسطين فى يوم الجمعة ١٤ مايو ١٩٤٨ وأعلن المجلس القومى اليهودى فى تل أبيب استقلال دولة إسرائيل أعتباراً من منتصف الليل – وعُين بن جوريون رئيسا لوزراء الحكومة الموقتة.

وفشلت اللجنة العسكرية للجامعة العربية فى تسوية خلافتها من أجل إنشاء قيادة عسكرية واحدة – ومع ذلك تولى الملك عبد الله ملك شرق الأردن منصب القائد العام للجيوش العربية – وفى واقع الأمر كان المنصب شرفيا حيث أن العمليات العسكرية للبلاد العربية كانت تعبيراً عن السياسات العربية المتعارضة فى غياب تنسيق عسكرى واحد، والخطة التى دخلت بها الجيوش العربية الحرب كانت تعتبر اتفاق لتوزيع المهام لكل منهم ويمكن تلخيصها فى الآتى:

- القوات اللبنانية تتقدم على طول الساحل من الناقورة إلى نهاريا.
- القوات السورية تقوم بعبور نهر الأردن مروراً ببحر الجليل تمهيداً للاستيلاء على منطقة زيماخ.
- القوات العراقية المتجمعة فى منطقة أربد بشرق الأردن يكون هدفها احتلال ناتانيا على الساحل.
- القوات الأردنية تقوم بالاستيلاء على نابلس والرملة فى السهل الساحلى الأوسط.
- القوات المصرية كان لها هدفان:

أ- التقدم على الطريق الساحلي بدعم بحرى إذا لزم الأمر للاستيلاء على غزة – ثم التقدم شمالاً صوب تل أبيب.

ب- تقوم قوات القائمقام عبد العزيز (متطوعون) بالهجوم فى الشمال الشرقى عبر سيناء وهدفها مناطق العوجة – بئر سبع ثم الاستيلاء على الجليل.

وبهـــذا الشـــكل دخلت الجيوش العربية فلسطين وافتتحت القوات الجوية[1] المصرية مسرح عملياتها بالإغارة على المطارات والأهداف العسكرية داخل تل أبيب.

كـــان فـــى فلسطين وجوداً مصرياً من أوائل عام ١٩٤٨ متمثلاً فى قوات متطوعى الإخوان المسلمين الذين أرسل بهم الشيخ حسن البنا[2].

وقـــبل وصول أحمد عبد العزيز كانت عملياتهم محصورة فى الإغارة على المســـتوطنات – أما بعد وصول العقيد عبد العزيز ركزت هذه القوات هدفها فى تأمين حرية الحركة للقوات المصرية النظامية وفى نفس الوقت قطع الاتصالات بين تل أبيب والنقب.

---

(١) فـــى ١٥ مايو سعت ٩٠٠ قامت المقاتلات وقاذفات القنابل بضرب مطار تل أبيب ومحطة تولـــيد الكهـــرباء وأعـــادة الكره سعت ٥,٣٠، ٨,٣٠ – وفى يوم ١٦ مايو تمت الإغارة على القوافل المتجهة من تل أبيب لحيفا، وفى ١٧ مايو تمت الإغارة على ميناء تل أبيب وتدميره – ١٨ مـــايو إعادة الإغارة على ميناء تل أبيب وتدمير ممراته وحظائره – ٢٠ مايو ألقيت قنابل حارقـــة وشديدة الانفجار فوق مستودعات البترول جنوب شرق تل أبيب – تم قصف الدفاعات الســـاحلية فـــى الفـــترة مـــن ٢٢ مايو حتى ٤ يونيه – وبعد ما تباعدت فترات القصف حتى منتصف أكتوبر وطويت صفحة الكبرياء العربى ووقعت الهدنة فى رودوس فى يناير ١٩٤٩.

المصـــدر: ســـجل شـــرف سلاح الطيران الملكى المصرى من كتاب تاريخ أقل قبحا – المؤلف أ. محمد شريف عفت.

(٢) المرشد العام ومؤسس جامعة الإخوان المسلمين.

العمليات العسكرية داخل فلسطين [1]

بدأت عمليات الحشد العسكري المصري عند منطقتي أبو عجيلة، والعريش وتولـــى القـيادة اللواء أحمد المواوى، والأميرالاى محمد نجيب- وتمكنت تلك القوات من الدخول للعوجة بفلسطين - وكانت القوات اليهودية المواجهة هي لواء النقب، والمستوطنين المسلحين بقيادة كولونيل ناحوم ساريج كما تم التعزيز بلواء آخـــر لواء حيفات بقيادة الكولونيل شيمون أفيدان لكن حركة القائمقام أحمد عبد العزيــز السريعة باحتلال منطقة عراق سيودان حالت دون إتمام أى تعاون بين اللواءين، وكان التنسيق بينهما قليل جداً.

استأنفت القوات المصرية عملياتها داخل فلسطين بهجومين متزامنين الأول عبر الطريق الساحلى صوب تل أبيب، وهدفه الانضمام لقوات صغيرة تم إنزالها بحرياً عند المجدل فى ١٤ مايو.

الهجوم الثانى كان هدفه شق طريق عبر بئر سبع والجليل للوصول للقدس، والالــتقاء بالفليق العربىّ الأردنى - وهكذا واصلت القوات المصرية زحفها من خـــان يونس فى اتجاه غزة مروراً بمستوطنات إسرائيلية تُرك أمر التعامل معها لـــبعض الفصـــائل من الجيش عدا مستوطنة كفارصاروم حيث تم اجتياحها فى معـــركة استمرت من يوم ١٩ حتى ٢٤ مايو وانسحاب حاميتها واستمر الزحف حـــتى المجـــدل وتم التقاء الجيش الزاحف براً مع القوة التى تم إنزالها بحرياً - واســتمر الزحف حتى اشدود والتى تبعد عن تل أبيب ٣٢ كيلو متراً فقط حيث كانـــت هـــذه المنطقة تحت القصف الجوى العنيف للقوات الجوية المصرية وفى اشدود وعلى وجه التحديد فى ليلة ٢-٣ يونيه بدأت الهجمات المضادة الإسرائيلية بتمهـــيدات نيرانـــية مركـــزة على القوات المصرية بطائرات سير شميت والتى وصلت من أوروبا حديثاً، وتم إسقاط أحداهما بواسطة النيران الأرضية المصرية - وفوجئـــت تلك القوات بأن اليهود يستخدمون مدافع الهاونزر ٦٥ مم - وهى أسلحة لا تملكها إسرائيل لكنها وصلت من أوروبا - وكان الضرب بتركيز شديد بقصـــد تدمـــير القوة المصرية فى اشدود تحت قيادة الأميرالاى محمد نجيب - وكانت المفاجأة هو الصمود البطولى للقوة المصرية - والتى ردت على الهجوم

---

(١) النصر المحير (الكولونيل تريفور. ن. دوبوري)..

الـــيهودى بنـــيران كثيفة لم يتوقعها اليهود إطلاقا – مما انعدم معه التنسيق بين القـــوات المهاجمـــة كما فشلت أيضاً قوات الدعم فى تقديم دعمها الكاف للقوات المهاجمة – وتراجع الهجوم الصهيونى مخلفاً وراءه أكثر من ٤٠٠ قتيل وجريح. وتابعت القوات المصرية هجومها على مستوطنة " تنساناه " القوية التحصين هذا الهجـــوم بـــدأ فى منتصف ليلة ٦-٧- يونيه وقد أبلت السرية الهندسية فى هذا الهجـــوم بـــلاء حسناً بشكل لفت نظر نجيب لقائدها اليوزباش على عبدالله حيث قامت بواجبها باقتدار فى إزالة الألغام ورفع الأسلاك الشائكة، وتحديد المسارات الآمنة للقوات المهاجمة وفى نفس الوقت التعامل مع قناصة المستوطنة وإسكات نـــيرانها – وبـــدأ الهجـــوم بالقصف الجوى – ثم اختراق الدفاعات بالمدرعات والمشـــاة – ومع الكفاءة العالية الذى نفذ بها الهجوم حاول المدافعون الانسحاب لكـــنهم وجـــدوا أنفسهم مطوقين من جانب القوات المصرية فلم يكن أمامهم من سبيل سوى الاستسلام بعد أن فقدت الحامية ٣٣ قتيلاً.

بدأت العمليات العسكرية بفلسطين تُلقى بظلالها خلف جبهات القتال فى شكل غارات جوية على القاهرة، ومستهدفة فى المقام الأول الأهداف العسكرية وهكذا قُدر لسكان القاهرة ألا ينعموا بسلام أكثر من ثلاث سنوات، وبدأت المعاناة مرة أخـــرى مـــن الغارات الجوية، والتى كثيراً ما أخطأت أهدافها لتصيب المدنيين، وفـــى حقيقة الأمر هذه الغارات لم تكن فى كثافة مثيلاتها الألمانية. وكان الحاج عبدالله فى أعقاب كل غارة يذهب بنفسه لمنزل ولده الغائب ليطمأن على زوجته وطفلـــته الرضيعة ليلى – وفى إحدى تلك الزيارات كان ذلك الحوار بين الرجل المسن الملهوف وزوجة ولده.

الحـــــــاج : موش كان أحسن يا سعاد يا بنتى كنتى تجيبى البنت وتقيموا معانا اليومين دول فى البيت علشان أكون مطمئن عليكم أكثر – وشهر رمضان زى ما أنتى عارفة علي الأبواب.

سعـــــــاد : يا عمى هنا زى هناك ما فيش فرق ثم أضافت وهى تحاول طمأنـــته بمداعـــبة خفيفة فقالت البيت هنا زى ما حضرتك عارف بالمسلح.

الحـــــاج : مسلح مش مسلح – الحافظ هو الله وبعدين أختى معاى هنا – وحضـــرتك كل يوم تأتى إلينا – وعلام يُحضر لنا كل ما تبعث به وبابا تقريباً يزورنا كل يوم بعد صلاة العشاء.

يعنى الحمد لله ما فيش حاجة ناقصة – والأهم من كل ذلك فـيه خطابـات مـن على بتصل لنا باليد مع بعض جنود الجـيش – اطمأن الرجل وودعها وإنصرف وجلست سعاد تبحـث وحدهـا عن طيف الحبيب الغائب فى كل حجرات المنزل.

وبعـد أيـام معـدودة هـل الشهر الكريم متوافقاً مع شهر أغسطس شديد الحـرارة، وفـى أحد أيامه الأوائل، وبعد آذان المغرب مباشرة خرجت السيدة مأمونـة حرم المعلم محمد عيسى لسطح المنزل حيث توجد صينية القُلل – كما جـرت العـادة بوضعها فى الاماكن المفتوحة لتبريد مياها – ومدت المرأة يدها لإحداهـا ورفعتها لتروى بماءها ظمأ صيام يوم شديد القيظ، وفى نفس اللحظة شاهدت كتلة نارية فى السماء وهى تسير بسرعة فى اتجاه الشمال – فأنزلت قُلة المـياه من فمها ورددت العبارة الشهيرة " نزلت على القوم الكافرين نزلت على القـوم الكافريـن " حيث صور لها إيمانها إنها النجمة أم ذيل كما يقول البسطاء راجمة الشياطين – ولكنها كانت إحدى قنابل الطائرات اليهودية المغيرة – ومن الجائـز إنها اخطأت هدفها لحى الماردينى الشعبى الفقير[١].– وما هى لحظة أو تكـاد حـتى دوى انفجار كبير انهارت معه معظم منازل الحى على سكانه وهم يتـناولون إفطـارهم، ودفـنوا تحت الأنقاض – وغطى الغبار سماء المنطقة – وتعـالى الصـراخ من كل مكان – وتعاملت على الفور المدفعيات المضادة مع الطائـرات المغـيرة – وكان ذلك اليوم من أصعب أيام القاهرة وعلى الأخص شارع الماردينى الفقير – وأحياء التبانه، وسوق السلاح القريب.

وأُلقيـت فـى نفـس اللحظة قنبلة أخرى على حى عابدين مستهدفة القصر الملكـى – وأصـابت بعـض المـنازل بشارع البرامونى المجاور[٢].– ولكن الإصـابات كانت مجرد تصدع بالمنازل وانهيار إحدى الشرفات بعكس ما حدث بمـنازل الحى الفقير – وهذا التزامن فى القصف يؤكد أن الهدف كان المدنيون وليس هدفاً عسكرياً. وفى الشارع المنكوب تسابق الرجال، والشباب من الأحياء المجـاورة للمسـاعدة فـى إنقـاذ الأحياء من تحت الأنقاض – وحُمل القتلى،

---

(١) اكتسـب شارع الماردينى اسمه من أحد المساجد المملوكة الشهيرة والتى تحمل هذا الاسم ومازال آثار تلك الغارة باقية على الواجهة الجنوبية للمسجد.

(٢) الشارع الذى توجد به الآن مستشفى الجمهورية.

والجــرحى علــى ألواح العجين، قبل وصول سيارات الإسعاف، ورجال الإنقاذ لخارج المنطقة المنكوبة للشوراع المجاورة، والتى فرشت أرضها بقطع صغيرة مــن الزجاج المتطاير هنا وهناك، وألقيت قنبلة ثالثة سقطت على حى الجنابكية لكــنها غاصــت فــى أرض طينية رخوة بفناء أحد المنازل وقيل أن المقصود بالقصــف مــنزل قــائد السرب الشهيد طيار عبد الحميد أبو زيد بسبب أعماله البطولــية بفلسطين والقريب من مكان سقوط القنبلة. وهكذا بدأ الشعب المصرى يسدد بواكير فاتورة القضية الفلسطينية.

وفــرض مجلس الأمن، والدول الكبرى الهدنة فى فلسطين اعتباراً من ١١ يونــيو حــتى ٩ يولــيو ١٩٤٨ – ومع الهدنة كان حذر تصدير السلاح للدول المــتحاربة – لكــن هــذا الحذر نفذ بكل قسوه على العرب وحدهم – وفى نفس الوقت تدفق المهاجرون، والسلاح والعتاد على إسرائيل من شرق وغرب أوروبا – ومن الولايات المتحدة – والاتحاد السوفيتي – مما شجع الصهاينة على خرق الهدنــة واستئناف القتال لكل هذه العوامل بدأ سير العمليات العسكرية يميل ميلاً شــديداً لصــالح إسرائيل، فى الوقت الذى كانت الجيوش العربية كلها تعانى من نــدرة فى الأسلحة المتطورة بسبب ذلك الحذر الظالم والذى فرض على الجانب العربى فقط – هذا إلى جانب خطأ استراتيجى وقعت فيه الجامعة العربية ألا وهو رفض مشروع تقسيم فلسطين لدولتين (عربية ويهودية) طبقا للقرار الصادر من الأمــم المــتحدة فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧[١]. وأخرى تكتيكية فى مــيدان الــقتال تــرتب عــليها إعفاء اللواء المواوى من قيادة الحملة، وإسناد قيادتها للواء فؤاد صادق والذى بادر على الفور بتعيين الأميرالاي محمد نجيب قائداً للواء العاشر المشاة. لكن المهمة التى كانت تنتظرهما لم تكن بالمهمة السهلة، ومع ذلك، وفى تلــك الظــروف الصعبة، كانت هناك مواقف قتالية تكتب بأحرف من النور فى الــتاريخ العسكرى المصرى منها معركة لواء الفالوجا – عراق المنشية – هذا اللــواء كان يتولى قيادتة القائمقام سيد طه والذى لقب بالضبع الأسود والذى تم حصــاره بعــد سقوط بئر سبع، وتعرض لغارات جوية يومية شديدة من جانب الطــيران الإسرائيلى – ومع ذلك فقد كانت الغارات تزيد من استبساله وإصراره علــى القــتال – ورتبت الأمم المتحدة اجتماعاً تحت علمها بين كلاً من الجنرال

---

(١) سنشــير لهــذا القرار بالتفصيل – مع مشروع الكونت برنادوت والذى اغتالته العصابات اليهودية بسببه فيما بعد.

الإسرائيلى الون – والقائد المصرى سيد طه – ووجه الضابط الإسرائيلى كلامه لنظيره القائد المصرى قائلاً:

سيدى براجادير طه:

" لقد فقدت قواتك كل شىء إلا الشرف – وأن التسليم بعد دفاع باسل شهدنا لكم به هو تسليم مشرف وموقفكم صعب فماذا تنتظر ".

وتكلــم الضابط المصرى[1] فقال " موقفا فنحن نعرفه جيداً أما التسليم فذلك هو المستحيل لأننا ندافع عن شرف الجيش المصرى "

وانفــض الأجــتماع، وكلــف الجنرال ألون لواء الكســندرون بمهــاجمة المصريين فى جيب الفالوجا، وبالفعل بدأ الهجوم ضد الجزء الشرقى من عراق المنشــية[2] لكــن قوات عراق المنشية قاتلت بعناد، وإصرار– ومع أول ضوء وصــلت تعزيــزات بعــث بهــا القائد سيد طه لعراق المنشية– وعندما اكتشف الطيارون اليهود تلك التعزيزات توقف الهجوم.

---

(١) بعــد الإعــلان عــن عودة الفالوجا – خرج الشعب المصرى كله عن بكرة أبيه لاستقبال الأبطــال عند محطة مصر – وحمل الضابط الممتاز سيد طه على الأعناق حتى منزله بحى السـيدة عائشــة – حيث كان يوجد احتفال كبير للمناسبة بسرادق قريب من منزله – وقريب أيضاً من ميدان القلعة.

ومن الغريب أن صفحة البطل سيد طه طويت تماماً مع قيام الثورة حتى وفاته وبالصدفة شاهدت لافتة على شارع صغير متفرع من شارع شامبليون قرب ميدان التحرير مكتوب عليه شــارع ســيد طــه، ولا أدرى أهــو مجرد تشابه فى الأسماء أم المقصود إطلاق اسم البطل المرحوم القائمقام سيد طه على ذلك الشارع الصغير.

(٢) كان يتولى القيادة فى عراق المشية الصاغ جمال عبد الناصر.

مقتل برنادوت [1]

تقدم الوسيط الدولى الكونت برنادوت السويدى الأصل بمشروع تقسيم جديد لفلسطين مماثلاً لمشروع التقسيم الأول " ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ " مع تعديلات طفيفة وفى اليوم التالى لتقديمة المشروع لقى مصرعه على يد ثلاثة من القتلةمن أعضاء "اليهى" وهى جماعة إرهابية جزء من مجموعة عصابة " شترين" الإرهابية المعروفة- وقبلت إسرائيل نتيجة تحقيق الأمم المتحدة الذى أدانها - ودفعت تعويضاً على أساس هذه النتيجة التى أثبتت مسئوليتها الجنائية عن الحادث وخلف الكونت برنادوت د. رالف بانش الأمريكى الجنسية - وحتى يمكن المقارنة بين مشروع التقسيم الأول، ومشروع الكونت برنادوت سوف أعرض لكل منهم فيما يلى بإيجاز:

أ- مشروع تقسيم الأمم المتحدة الصادر فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧.

- تقسيم فلسطين لدولتين مستقلتين الأولى عربية - والثانية يهودية، وقد ارتكزت حدود كل منهما على الاعتبارات السلالية.
- بموجب هذا المشروع يحصل اليهود على معظم المناطق الساحلية الغربية من حيفا حتى عسقلان جنوباً - ويترك جيب ساحلى صغير لمدينة يافا العربية مجاوراً لمدينة تل أبيب، والتى كان عدد سكانها آنذاك ١٥٠٠٠٠ نسمة.
- لليهود المنطقة الزراعية الغنية فى الجليل الشرقى، وشمال السامرة[2] بالقرب من بحيرة طبرية.
- صحراء النقب لليهود " بسبب قدرتها على استيعاب مئات الآلاف من المهاجرين اليهود بعد تطويرها.
- معظم أجزاء السامرة، ويهودا[3] والجليل الغربى، والمنطقة الساحلية الجنوبية الممتدة من عسقلان حتى رفح والجزء الشمالى الغربى من صحراء النقب من نصيب العرب.

---

(١) الوسيط الدولى لهيئة الأمم المتحدة بفلسطين أثناء الحرب.

(٢) الضفة الغربية لنهر الأردن.

(٣) قطاع غزة.

- القدس مدينة دولية – وكذلك مدينة بيت لحم حتى تكون الأماكن المقدسة للأديـــان الثلاثة. لا تخضع لسيطرة أى من طرفى النزاع ورفض العرب هذا المشروع.

أسباب الرفض العربى

المشروع يعطى اليهود الذين يمثلون ٣٠% من سكان فلسطين، ولا يملكون أكثر من ١٠% من الأرض ٥٥% من مساحة أراضى فلسطين.

- المشروع أعطى اليهود الأراضى التى لم تكن يهودية خلال فترة الشتات مـــن حوالـــى ١٨٠٠ عـــام، وأعطى العرب معظم الأراضى التى كانت يهودية فى العصور القديمة – وهنا أكثر من علامة استفهام[١].
- والسبب الرئيسى للرفض العربى وجهة النظر بأن فلسطين بلد صغير لا يمكـــن تقسيمه – ويجب أن يظل كياناً سياسياً واحداً وديمقراطياً، وحقوق الأقلية اليهودية تكون لها ضمانات دستورية.
- قبلـــت إســـرائيل المشروع – وهى متأكدة تماما من الرفض العربى لأن المشروع أبعد السيطرة العربية عن القدس، وفى نفس الوقت كانت النظرة الـــيهودية فـــى القبول لها آمال بعيدة المدى فى توسيع مساحة الأراضى الخاضعة لليهود فى المستقبل بقوة السلاح اعتماداً على الحركات السرية العسكرية اليهودية أو بالاعتماد على القوات النظامية.

ب – مشروع الكونت برنادوت

- يسمح للاجئين بالعودة أو التعويض.
- أن يكون النقب الجنوبى من المجدل حتى الفالوجا من نصيب العرب.
- يـــتم إعـــادة بلدتى اللد، والرملة للعرب بما يسمح بالوصول لمطار اللد، وعلى أن يكون المطار تحت إشراف الأمم المتحدة.
- يكون الجليل بالكامل من نصيب الإسرائيليين.
- القدس تحت إشراف الأمم المتحدة.
- حيفا ميناء حر تحت إشراف الأمم المتحدة.

---

(١) حتى يمكن المطالبة بها فى المستقبل تحت دعاوى ما يسمى بالحقوق التاريخية

وفـــى أواخـــر ديسمبر ١٩٤٨ نجحت القوات المصرية فى طرد اليهود من سلســلة تلال على مسافة أميال جنوبى غزة بهجوم مضاد ناجح قادة الأميرالاى نجيب – وكان القتال يدور بشراسة، وتلاحم بالسلاح الأبيض، ومن موقع لآخر – وعــند الفجــر وفـــى حقل للتين الشوكى أصيب نجيب إصابات خطيرة، كما أصيب فى الصدر، والكتف اليوزباشى على عبد الله وتم على الفور إخلاءهما من أرض المعركة – واستمر القتال لمنتصف النهار حتى تم تطهير المنطقة بالكامل من اليهود.

إنهاء حرب فلسطين

بــدأت مفاوضــات الهدنــة فى ١٣ يناير ١٩٤٩ فى جزيرة رودس تحت إشراف الأمم المتحدة وممثلها د. رالف بانش.

- خـــط وقفــت القتال هى حدود مصر ما قبل الحرب بين مصر وفلسطين تحت الانتداب.
- يظــل قطاع صغير جنوب غرب فلسطين – وهو ما يعرف بقطاع غزة تحت الإدارة المصرية.
- بتوقــيع الاتفــاق تم فك الحصار عن قوات الفالوجا وعادت تلك القوات لسيناء – وهكذا انتهت الجولة المصرية الإسرائيلية الأولى.

استدراك

أرجـو المعـذرة إذا رأى البعض أننى أسرفت فى وصف بعض العمليات العسكرية فى فلسطين – وكانت وجهـة نظـرى فى ذلك أن الحرب العربية الإسرائيلية الأولـى وما تلاهـا من حروب للأسف الشديد غيرت الخريطة السياسية لدول المواجهة العربية – وأصبحت إسـرائيل اليوم تحتل كل مساحة فلسطين التاريخية أو فلسـطين تحـت الانـتداب البريطانى كما كانت هزيمة الجيوش العربية قميص عثمان لكل الانقلابات العسكرية والـتى اجتاحت المنطقة بعد ذلك حيث كان البيان الأول لكـل مـنها يحمـل الأنظمة التى كانت موجودة آنذاك مسـئولية الهزيمة ويبشر بحرب ثأرية لغسل العار مع إعادة حقوق شعب فلسطين.

والمعـارك التى أشرت إليها بالاسم أردت من ذلك لقـارىء هـذه الخواطـر أن يتيقن من بسالة الجندى المصـرى إذا مـا أعطـى الفرصة للقتال مع الإيمان بالهدف – ولا غرور فى ذلك فجند مصر هم خير أجناد الارض وهـم فى رباط ليوم الدين – وصدق رسول الله صـلى الله علـيه وسلم وفى نفس الوقت حرصت على عـدم الخوض فى أمور تكتيكية لا تهم سوى أصحاب الثقافات العسكرية.

إرادة الشعوب

إذا الشعب يوما أراد الحياة　　فلا بـد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلي　　ولا بـد للقيد أن ينكسر

استمرت وزارة إبراهيم عبد الهادى فى الحكم حتى ٢٥ يوليو ١٩٤٩، وتولى حسين سرى باشا الوزارة حتى ٣ نوفمبر ١٩٤٩ ثم استقال، وشكلها فى نفس اليوم حتى ١٢ يناير ١٩٥٠، وهو التاريخ الذى شكل الوفد فيه وزارته الأخيرة بإجماع شعبى ليس له نظير فى انتخابات ديمقراطية شهد بها الجميع وكانت نتائجها النهائية كالآتى:-

- الوفد　　٢٢٨ نائب
- السعديون　　٠٢٨ نائب
- الأحرار الدستوريون　　٠٢٦ نائب
- الحزب الإشتراكى　　٠٠١ " نائب واحد هو المهندس إبراهيم شكرى[1]"

وفى صباح اليوم التالى أغلقت المظاهرات الطلابية جميع الطرق المودية لمنزل الزعيم مصطفى النحاس بجاردن سيتى للتهنئة – وكان الحشد الطلابى عظيما – وخرج الزعيم لشرفة مسكنة ليرد تحية أبناءه الطلاب ويقف لجواره كلاً من فؤاد باشا سراج الدين وإبراهيم باشا فرج– وكان نص الهتافات هكذا.

حبيب الأمة.......... النحاس
زعيم الأمة.......... النحاس
لن يحكمنا إلا......... النحاس

وخطب رفعته فى هذا الحشد الكبير شاكر لهم تلك المشاعر الفياضة، مكرراً أكثر من مرة طلبه بضرورة التزام الهدوء ومبشراً بتحقيق الآمال الوطنية، وفى مقدماتها إجلاء المستعمر من منطقة أو قاعدة قناة السويس ومن المشاهد الجميلة حشد طلاب مدرسة الجيزة التجارية الثانوية[2]. وهتافهم الخاص

---

(١) رئيس ومؤسس حزب العمل الاشتراكى الآن.

(٢) كان يوجد فى ذلك الوقت ثلاث مدارس تجارية متوسطة فقط هى تجارة الجيزة والظاهر والمنيرة وكانوا يدرسون المواد التجارية واللغات الإنجليزية والفرنسية بجدية – ولذلك كانت البنوك والشركات المصرية والأجنبية تتسابق على تخطف خريجى هذه المدارس.

والذى كانوا يرددونه ملحناً عن طريق التصفيق، والخبط على كراسيهم مرددين فـــى نفس واحد كلمتى تجارة الجيزة – ثم بدأ التصفيق والخبط أو الدق ٤ مرات ليســتكمل بــاقى الهتاف وهو بكلمتى يحيا النحاس، أى أن الهتاف متكاملاً كان هكذا:

تجارة الجيزة.......... يحيا النحاس

تلك الوزارة استمرت فى الحكم من ١٢ يناير ١٩٥٠ حتى ٢٦ يناير ١٩٥٢ فى ذلك اليوم الأسود والذى أحرقت فيه القاهرة، ومنذ ذلك التاريخ انتهت الحقبة الديمقراطــية فـــى ظـــل دستور ١٩٢٣ بإقالة الحكومة الوفدية، وإعلان الاحكام العرفية.

وكعــادة الأحــبة كان اللقاء بين الصديقين على عبد الله، وإسماعيل توفيق بمقهـــى عكاشة بعد أن باعدت بينهما الأيام، فالأول ترك الحلمية بعد عودته من فلســطين وأقام بشارع نخلة المطيعى بمصر الجديدة والقريب من عمله، والآخر الــذى أصــبح من رجالات وزارة الأشغال العمومية مديراً لتفتيش رى القناطر الخــيرية لكــنه مــازال مقيماً بحي الحلمية الجديدة، وكان لقاء حار للصديقين، واستعادا فيه ذكريات الدراسة بكلية الهندسة كما تناقشا فى أحداث الحاضر وذلك من خلا الحوار التالى:

والذى بدأه إسماعيل توفيق مداعباً زميله وصديقه قائلاً:

إســـــماعيــل : اللهــم ما صلى على النبى وجهك منور يا أبو علوة ومين زيك يا سيدى الوفد وصل للحكم بإنتخابات نظيفة بشهادة الجميع.

علـــــــــى : الحمد لله ولعل هذه النتيجة رادعاً لكل من أراد الإساءة للوفد بقولهم أنه فقد مصداقيته بين الشعب بعد حادث ٤ فبراير – الحمد لله شعبنا الوفى دفع بالوفد للحكم فى شكل طوفان اكتسح كل من هم أمامه. ثم أضاف الوفد شاء من شاء أو أبى من أبى هو حزب البسطاء، ويشرفه كما يقولون عنه أنه حزب الجلاليب الزرقاء.

إسماعيـــــل : هذه حقيقة لا ينكرها إلا حاقد أو مكابر.

علـــــــــى : كان نفسى ومنى عينى متابعة هذه المعركة بنفسى لكن ظـــروف عملى خارج القاهرة لم تمكنى من ذلك – ثم

أضاف ياريت يا إسماعيل تكلمني بالتفصيل عن المعركة الإنتخابية زى ما شاهدتها لأنك بلا شك كنت فى الصورة أكثر منى.

إسماعيـــــل : مازحاً، وتدفع كام.

علـــــــــى : المشـــاريب علـــى حسابى – والغذاء معى عند الحاج فى اليكنية.

إسماعيـــــل : عرض مغرى وأنا موافق – ونبدأ بمعركة الدرب الأحمر .

تنافس ثلاثة مرشحين هم:

أ – الأستاذ / أحمد سليم المناديلى[1] وهو مرشح الوفد والمنتخب.

ب – فضيلة الأستاذ / عبد المنعم النمر[2].

ج – سيد بك وهبه[3].

والانـــتخابات أُجريت فى حرية تامة دون أى تدخل من جانب أجهزة الأمن وهـذه النقطة تحسب للوزارة المحايدة التى جرت الانتخابات فى ظلها لذلك فقد كانـــت مســـيرات المتنافســـين تجوب الشوارع ليلاً ونهاراً معبرة عن التيارات المختلفة والتى دون شك كان أبرزها تيار الوفـــد، وسوف أدلل لك على ذلك من حوار شاهدته بالصدفة بين إثنين من أفراد الشعب أحدهما كان يدعو للوفـــد ولا أذكـــر لمـــن كـــان يدعـــو الآخر – كان ذلك يجرى أمام محل المكوجى الذى بمنـــزلنا، وفجأة ظهر شاب أعتقد أنه طالب بالأزهر من أصول ريفية حيث كان يرتدى فانلة داخلية بأكمام طويلة، وسروال طويل أيضاً، ويبدوا عليه أنه كان فى عجلـــة من أمره لم تسمح له بإرتداء كامل ملابسه – لم يشترك فى الحوار إنما صاح بأعلى صوته وهو يضرب كفيه ببعضهما قائلا " يحيا الوفد ولو فيها رفد " وانصرف على الفور نحو سكنه دون أن يعقب مما جعل الحاضرون يستغرقون فى الضحك.

---

(١) من كبار تجار المنى فاتورة وصاحب سمعة طيبة فى الدرب الأحمر.

(٢) من الشخصيات الوطنية المعروفة من أيام الدراسة بالأزهر الشريف بصفته عضواً باللجنة التنفـيذية العليا للطلاب – وصاحب تاريخ طويل فى نضاله ضد الإنجليز ووزير الأوقاف فى الثمانينات.

(٣) من سكان الحى وحاصل على البكاوية – وصاحب دار سينما شهير بالحلمية يحمل اسمه.

علـــــــــى : الموقف كوميدى لكن له دلالته على مكانة الوفد بين أفراد الشعب المصرى.

إسماعيـــــل : معقبا على تعليق صديقه – أنا معاك ما فيش اختلاف علـــى ذلك وأضاف أما المسيرات المؤيدة لفضيلة الشيخ عبد المنعم النمر فإنه بلا شك كانت كبيرة وينظمها الأزهريون لمناصرة مرشحهم، ورأيت بنفسى أحداها، وقد خرجت من الجامع الأزهر بعد صلاة العشاء، ولما كانت تلك المسيرة متخذة نفس خط سيرى من الأزهر للحلمية لذلك فقد تتبعها عن غير قصد من الأزهر إلى مسجد الغورى، ثم انحرفت جنوباً لشارع المعز لدين الله لقرب نهايته وقبل بوابة المتولى أو باب زويلة، وهناك وعينك ما تشوف إلا النور.

علـــــــــى : مقاطعا ومتساءلاً أيضاً وهو يقول يا ساتر ياربب خير كان فيه إيه.

إســـماعيـــــل:عـند هــذا المكـــان إنهال الطوب وبكثافة شديدة من أسطح المـــنـــازل والمســـاجد، ومن شارع السكرية، وكذلك من بعض الذين كانوا متركزين أمام مسجد الصالح طلائع، مما أحـــدث هرج، ومرج فى المسيرة، التى ارتدت للوراء فى محاولـــة بائسة للإحتماء بجدران مسجد المؤيد، وكان ذلك التصـــرف مـــن بعـــض الفوضـــويين المناصرين لأحد المرشـــحين، وهنا صاح أحد المشاركين فى المسيرة قائلاً "لقـــد كمن لنا أولاد الأبالسة الملاعين" كما أنفجر البعض من الضحك.

وعلق آخر بخفة ظل كبيرة وهو يقول بصوت مسموع:
" لقد نزلوا علينا بالقنبر يا خفى الألطاف نجنا مما نخاف "[1].

بـــدأ المشـــاركون جميعا يضحكون كأن شيئاً لم يكن، وهنا علق ثالث على كـــلام زمـــيله متسائلاً ولما لا تكمل عبارة الجبرتى " فإجابة صاحبة وهو يقول أكمل أنت ثم تدخل رابع قائلاً لا أنت ولا هو العبارة هى "<u>ولما نزل عليهم القنبر</u>

---

(١) هـــذه العبارات جاءت فى وصف الجبرتى لثورة القاهرة الأولى ضد نابليون حينما استخدم المدافع فى إخماد الثورة والتى لم تكن معروفة فى ذلك الوقت للمصريين.

وكـــانوا لـــم يعاينوه من قبل قالوا يا سلام من هذه الآلام- يا خفي الألطاف نجنا ممن نخاف، وانتشر الصراخ وشح بيع الفجل والكرات في الحارات..

وعـــند ذلـــك تدخـــل أحد منظمي المسيرة منبهاً زملاءه بعدم الاندماج فى التهريج فقال: إحنا فى إيه وأنتم فى إيه " اختشوا شوية يا أخونا". وهنا رد عليه أحد المشاركين وهو يقول معلش ما هو شر البلية ما يُضحك.

وضحك الصديقان وقال على:

أظن الآن فنجان القهوة وجب.

إســماعيــل: صـــاحب العقــل يمــيز - وضــحك على ونادى الجرسون لاحضارها.

وأســتأنف إسماعيل حديثه فى وصف المعركة فى قسم الخليفة قائلاً: هناك المعــركة كانــت ســاخنة بسـبب قوة المتنافسين لأن المرشحين الثلاث وزنهم الإنــتخابى كبير ولذلك كانت معركة الخليفة أكثر سخونة من مثيلاتها فى الدرب الاحمر والمرشحون هم:

- إبراهيم حمدى سيف النصر[1] (مرشح الوفد)
- حمادة بك الطرابلسى[2] (مستقل)

فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى[3] (مستقل)

---

(١) ليس من أبناء الدائرة لكنه مرشح الوفد - وهو نجل حمدى باشا سيف النصر وزير الدفاع الأســبق وعضــو الوفد البارز فى عقد اتفاق منتريه لإلغاء الامتيازات الأجنبية عام ١٩٣٧- والــذى فــتح بــاب الكلية الحربية لأبناء الطبقات الشعبية ومن هذا الباب دخل بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة الكلية أو جميعهم.

(٢) حمادة الطرابلسى - معروف تماما لاهل الخليفة بصفتة نائبهم السابق فى البرلمان المنصرم - وهو رجل أعمال ناجح يمتلك مع آخرين خطى أتوبيس ويعمل بشركاته عددا لا بأس به من أبــناء الخليفة ومعظم المحيطين به ورجالاته دعايته من أصحاب المصالح، والعاملين بشركاته - وكـــان ضخم الجثة بشوش الوجه عف اللسان وعضو بنادى الصيد الملكى - وعند اللزوم ســخى فـــى شــراء الأصوات، وقد استغل أنصار الشيخ الباقورى ذلك رفعوا شعارهم القوى المدوى وهو " عدو الرشوة يا باقورى "

(٣) الشـــيخ أحمــد حســن الباقورى - صاحب تاريخ سياسى كبير منذ قيادته لطلاب الأزهر المطالبيــن للملــك فــؤاد (بإعادة فضيلة الشيخ المراغى لموقعه بالأزهر بعد عزله - وكان عضوا بالهيئة التنفيذية العليا للطلبة - وسبق له خوض المعركة الإنتخابية فى نفس الدائرة ضد حمـــادة الطرابلسى، وكاد أن يفعلها - وبعد ذلك أصبح وزيراً للأوقاف فى بداية العهد الثورى فـــى وزارة محمد نجيب وأيضاً أول رئيس لجامعة الأزهرعند إنشائها كانت المسيرات المؤيدة لـــه ذات مــذاق خـــاص فمعظــم أنصاره من الأزهريين والذين كانوا يرجون الشوارع رجا بأعدادهم الغفيرة وزيهم الوقور وهتافهم الذى يهز المشاعر وهو:

عدو الرشوة يا باقورى

بالتزكية يا باقورى

ودلـــل علي رأيه بحوار شاهده فى أحد المقاهى بالخليفة لم يكن هو مشاركاً فيه ولكن شاهداً عليه بين مجموعة من المتواجدين بالمقهى – والحوار بدأ بسؤال مـــن أحد الشباب " وهو أريد إجابة عن أصلح المرشحين الثلاث فى النيابة عن الخلـــيفة فى البرلمان – هذا جزء من السؤال، والجزء الآخر هو أحد المرشحين هو إبراهيم حمدى سيف النصر – هذا المرشح ليس من أبناء الخليفة ولا تربطنا به صلة من قريب أو بعيد فعلى أى أساس نعطية أصواتنا "

وجـــاء الـــرد سريعاً من أحد الحاضرين من أنصار الوفد قائلاً لهذا الشاب نعطيه أصواتنا لأنه مرشح الوفد.

الشاب المتساءل: أنا بقول نحن لانعرفه فكيف نعطيه أصواتنا ؟.

ويرد الشاب الوفدى على ذلك بسؤال غاية فى الذكاء ويسأل الشاب الرافض قائلاً: هل زرت أسوان وشاهدت بنفسك خزان أسوان.

ويجيـــب الشاب: بالنفى – ويعاجله الوفدى بسؤال آخر ومع ذلك إنت واثق بأن خزان أسوان مفيد للبلد، ويجيب الشاب الرافض قائلاً: نعم، وبدون أدنى شك فـــيقول الوفـــدى إذا ولا كلمة تعطى صوتك للأستاذ إبراهيم حمدى سيف النصر لأنه مرشح حزب الوفد وعلي الفور يستسلم المعارض لمنطق الرجل الوفدى مع استحسان جميع الحاضرين _ وبهذا الشعور فاز مرشح الوفد.

علـــــى: لهذه الدرجة تغلغلت عقيدة الوفد فى النفوس.

إسماعيل: هذا ما رأيته بنفسى.

وبعد ذلك بدأ إسماعيل يقص جزءاً أخر من المعركة والخاصة بقسم السيدة زينب وهناك تنافس ثلاثة من المرشحين أيضاً وهم:

- عبد الحميد بك عبد الحق(١).
- السيسى بك(٢) مرشح الوفد.
- جلال حسين(٣) مرشح مستقل.

---

(١) وزير تموين أسبق _ ومرشح الحزب السعدى – واستخدم فى الدعاية لنفسه تسجيلا غنائيا للأستاذ / محمد عبد الوهاب تقول كلماته إن جيت للحق عبد الحميد أحق أو عبد الحق هو أحق.

(١) مـــن أبـــناء الدائـــرة – كان وراءه ثقل حزب الوفد – لدرجة أن أنصاره كانوا يقولون فى مسيرتهم السيسى بك إبن النحاس.

(٢) من كبار تجار أو أعيان الفاكهة بسوق روض الفرج – وأساساً من أبناء الصعيد الجوانى _ وكان وراءه حشد كبير من التجار وأبناء محافظته المتواجدين بالقاهرة

ومـــن الطـــريف أن المســيرات الإنتخابية للمرشح الثالث كانت تتكون من بلدياتــه الجنوبييــن أى من أبناء الصعيد، ومن العاملين معه فى تجارة الفاكهة بســوق روض الفـــرج وكانت هتافاتهم قمة فى الظرف، وسرعان ما انتشر بين الشباب، ثم فى أعمال فنية مسرحية بعد ذلك وهو " دلال حسين – دلال حسين–

"الرجل الدد يموت في الدد ويحب الدد "

أمـــا أسباب انتشار الهتاف هى لهجة أبناء الصعيد المحببة فى نطق حرف الجيم – دال.

وكانت الدائرة من منصيب الوفد.

علـــــى : مثنيا على مقدرة صديقة على الوصف الأمين، وكراوية ممتاز، فيقول يا إسماعيل أنا سبق أن تنبأت لك ونحن نجلس فى هذا المكـــان مـــن ســنوات إنك تصلح للدخول فى بلاط صاحبة الجلالة ففـــيك لمحة منفلوطية وأمانة فى تصوير الأحداث وروايتها بأسلوب شيق ومُبسط.

إسماعيل : اشكرك – وكفاية يحسن أتغر وأخد فى نفسى ونكمل كلمنا عن المعـــركة الإنتخابـــية الأخيرة بالنسبة لمتابعتى فى قسم باب الشعرية – وهنا قاطعه على قائلاً فى هذة الدائرة فاز الطالب الوفـــدى مصطفى موسى – وفى حدود معلوماتى أنه طالب بهندسة فؤاد الأول.

إسماعيل : مضبوط – وأضاف قائلاً أن ترشيح الوفد له لم يكن من فراغ – فقد كان رئيس اللجنة الوطنية للطلبة والعمال – وأن الزعيم مصطفى النحاس قدمه بكلمة وزعُت فى الدائرة _ وكان زملاءه من الطلبة يجوبون شوارع وحوارى باب الشعرية يحملون المشاعل مع الهتاف للوفد، ومصطفى النحاس وكان مصطفى موسى يتقدم تلك المسيرات – وبهذا الشكل أعطت جماهير باب الشعرية أصواتها للوفد الذى فاز بالدائرة.

الحـــرية

بوصول الوفد للحكم تنفس الشعب الصعداء، وحل الأمل محل اليأس، وكان ذلك شعور وإحساس الجميع، فلم يكن تحيزاً للوفد بقدر ما كان الشعور العام لأن المقدمات المتمثلة في قرارات الحكومة الجديدة أوصلت لهذه النتائج.

- فقد تم إلغاء الأحكام العرفية، وخرج جميع المعتقلين السياسين من مختلف التيارات.
- تم رفع الرقابة عن الصحف، والمطبوعات.
- مجانـــية التعلـيم الثانوى، أصبحت المصروفات الدراسية ثلاثة جنيهات ونصـــف بـدلاً مـــن أربعة وعشرين جنيهاً تدفع على ثلاثة أقساط ثم أصبحت نصف جنيها يخصص للنشاط المدرسى.
- تنفــيذاً للشـــعار العظيم الذى رفعه وزير المعارف د.طه حسين باشا فقد تقــرر تحويــل جميع رياض الأطفال الخاصة لأميرية وجميع الكتاتيب لمـــدارس أولـــية حكومـــية – وخضوع تلك المدارس للإشراف الكامل للوزارة – وترتب على ذلك تأهيل العاملين بها حتى يصبحوا على نفس المستوى العلمى لزملائهم بالمدارس الأميرية النشأة عن طريق الدورات التدريبـــية – والفرق الوحيد بين المدارس المحولة والمدارس الأميرية كـــان فـــى الوجـــبة الغذائية[1] لطلاب وتلاميذ المدارس الحكومية لأن إمكانات وزارة المعارف لم تكن تسمح بالتغطية الكاملة لجميع المدارس بهـــــــذا الشـــكل السريع – أما العاملون بالمدارس المحولة فقد تمتعوا بالمزايا المالية لزملائهم بالمدارس الأميرية.

وشـــعر الجمـــيع بالاستقرار، والسلام النفسى، وفى تلك الفترة عاشت أسرة الحـــاج عـــبد الله أجمل أيامها، وأصبح يوم الجمعة من كل أسبوع هو يوم اللقاء للفـــروع بالأصـــول فـــى البيت الكبير حيث يلتقى الأشقاء، وأولادهم (علـــــى وحرمه وطفليه ليلى، وعادل، ونـــجية وزوجها عبد السلام وأولادهما سميـــر،

---

(١) كانـــت المـــدارس الـــثانوية، ومعظم المدارس الابتدائية تقدم وجبة غذائية ساخنة لطلابها والمـــدارس الـــتى لايوجد بها مطاعم كانت تقدم وجبات جافة وبعض المدارس مثل المحمدية الابتدائـــية بالاضافة لوجبة الغذاء كانت تقدم إفطار للطلاب كالبسكوت او البوريك وهذا النظام تم الغاءه فى الشهور الاولى للثورة.

وســهير) كمــا حرص على بناء عن طلب الحاج والحاجة بالحضور من يوم الخمــيس، وأيضــاً لترضية الصغيرين ليلى، وعادل للاستمتاع بسهرة الخميس بالمــنزل الكبير فى كنف الجد، والجدة متحررين من مواعيد النوم يحيطهم حب، وتدلــيل الجمــيع، ولم يتخلف عن هذه اللقاءات الأسبوعية سوى محمد وأولاده بســبب ظــروف عمله مدرساً للتاريخ خارج القاهرة - وحرص الحاج فى ذلك اليوم بألا تمتد سهرته مع أصدقاءه كثيراً حتى يكون هناك فرصة لمداعبة أحفاده قــبل نومهم، بعد أن ترك على حى الحلمية، وأقام بضاحية مصر الجديدة وبهذا الشــكل أصــبح يومــى الخميس والجمعة من كل أسبوع يومى عيد لهذا المنزل السعيد.

أما أسرة عطية أفندى سلمان والد سعاد فكان نصيبها من هنا المهرجان بعد ظهر يوم الجمعة حيث يجتمع شمل سعاد مع والديها وشقيقتها إلى ما بعد العشاء - ولابــد من المرور على البيت الكبير قبل العودة لمصر الجديدة حيث يُحملهم الحاج بكميات لا بأس بها من كل أنواع البقالة غير عابء باحتجاج سعاد من أن الموجود عندهم كاف وزيادة، ونفس الشيء يفعله الرجل الكريم مع ابنته نجية.

ومضــى عام ١٩٥٠، وفى أوائل عام ١٩٥١ تمت خطبة هند كريمة الحاج الثانــية للأســتاذ فؤاد ثابت مدرس التربية الموسيقية، وزفت العروس فى نفس العــام، وكان من يمن الطالع أن يوم الزفاف يوافق يوم زفاف الملك فاروق على الأنسة ناريمان[1] صادق، وهكذا شاركت مصر كلها أسرة الحاج عبد الله أفراحها - وأصبح الطالب موسى عبد الله بحقوق فؤاد الاول الوحيد من أفراد الأسرة لم يتزوج بعد - صحيح أنه كان يحب الآنسة / سيدة حسانين الطالبة بالمعلمين العليا وكريمة الشيخ حسانين صديق والده والتى كانت تبادله الحب دون إفصاح الأمر الذى جعل هذا الحب دفين قلبيها، وكان موسى وكيلا لجماعة الإخوان المسلمين بالكلــية، وكان ما يميز شباب الإخوان التواد والتراحم بين بعضهم البعض، ولا يتخاطــبون إلا بكلمــة الأخ فــلان، ولذلك فإن أصدقاءه هم زملاءه فى الجامعة وأقربهم جاريه فى السكن وزميليه فى الجامعة الشابين عبد العزيز، وعبد الحميد

---

(١) وكالعادة إنفعل الفن بالزواج السعيد للملك - وقدمت الإذاعة الأغنية التالية:

ناريمان ناريمــان — سعدك تم وعزك بــان
ناريمان ناريمــان — يامنورة على قدم النيل
ناريمان ناريمــان — جــــت لنا ملكــة
وشوفنا النـــــور — من جنة رضــــوان

السودانى – من أبرز شباب الجامعة الذين يحرصون على أداء الصلوات الخمس بالمسـجد – ويعزفون عن مشاركة أقرانهم الشباب فى لهوهم – ومضى النصف الأول من عام ١٩٥١، وبدأ الضغط الشعبى على الحكومة حتى تفى بوعدها فى تحقـيق الجلاء، وكان أحد أشكال هذا الضغط استغلال أى مناسبة للتظاهر ضد الوفـد. الذى لم يف بالوعد فمثلاً جاء احتفال بذكرى المولد النبوى الشريف وإذا بالإحـتفال يـتحول لمظاهرات ضدها داخل المدارس وكانت الهتافات كلها ضد الوفد بالشكل الآتى:

أين الجلاء يا نحـــاس

أوف بالعود يا بن سمنود[1]

ثم بدأت الهتافات تزداد حدة بالهتاف الصاخب الشهير وهو

إن سـجنا أو نفيـنا	لـن يـدب الضـعف فيـنا[2]
مرحـبا	يـا طـور سـينا

وبطبـيعة الحال لم يقف الشباب الوفدى من هذا السلوك والاستفزاز موقف المتفرج وردوا عليه بهتاف موجع وأكثر إيلاما وهو:

لا فاشية، ولا أخوان، ولا تجارة بالأديان

وبـدأ الضغط الشعبى على الحكومة يزداد، فى الصحافة صباحية كانت أو مسـائية والمجلات الأسبوعية، وغيرها فى الحملة الموجهة فى أساسها لمعاهدة ١٩٣٦ مع الإنجليز، وكان هناك إجماع بأنها استنفذت أغراضها ومن الضرورى إلغاءهـا، وظهـر بمجلـة الأثنيـن الأسـبوعية قبيل عيد الأضحى بأيام رسم كاريكـاتورى عـبارة عـن خروف العيد وقد كتب عليه معاهدة ١٩٣٦، ويقف بجوار الضحية الجزار وقد شمر عن ساعديه وبيده السكين.

ولم يكن الجزار سوى الزعيم مصطفى النحاس وأهل المنزل يمثلون الشعب فى الجانب الآخر من الصورة ويوجهون كلامهم للجزار قائلين:

---

(١) مسقط رأس الزعيم مصطفى النحاس.

(٢) إشـارة بأن النفى بجبل طور – لا يخيف حيث سبق وسيق عددا كبيرا من قيادات الأخوان إلى هناك فى أعقاب اغتيال المرحوم محمود فهمى النقراشى.

ومــرت شــهور صــيف ١٩٥١ والحكومــة تعد العدة وفى مساء الثلاثاء والموافــق ٨ أكتوبر فى البرلمان بمناسبة افتتاح الفصل التشريعى لبت الحكومة الرغبة الشعبية وذلك المطلب الجماهيرى – وفى كلمة الزعــيم
بخطابه الرسمى لنواب الأمة قال كلمته التاريخية، وموجها كلامه للنواب قائلاً

" مــن أجــل مصر وقعت معاهدة ١٩٣٦ – ومن أجل مصر أطالبكم اليوم بإلغائها".

ومهمــا كانــت الأمانة فى الوصف فلا يمكن وصف حماس النواب داخل المجلس والذين استقبلوا القرار بالتصفيق الحار المستمر، ونفس الشيء حدث مع أفــراد الشــعب، والذيــن كانوا يتحلقون حول أجهزة الراديو بالمنازل والمحال الــتجارية، أو غــيرها الجالســين علــى المقاهى للاستماع للخطاب الذى كان خلاصته:

- **إلغــاء معــاهدة ١٩٣٦ مع الحكومة البريطانية وكذلك اتفاقية ١٨٩٩ أيضا الخاصة بالحكم الثنائى للسودان.**

باعتــبار أن السودان جزء لا يتجزأ من مصر، وأن الملك فاروق هو ملك مصــر والســودان، وعلــى الفور خرج الشباب فى تجمعات تلقائية بكل المدن المصــرية تهــتف لمصــر، وزعــيمها المفدى، ويسقوط الاستعمار البغيض – وأمضــت الجماهــير المصــرية أجمل لياليها، ومن هذا المساء كانت بداية أعز وأمجد أيام مصر.

وفــى صــباح الــيوم التالى، كانت أفنية المدارس الثانوية بالحلمية تموج بشبابها، وهم يرددون هتافا يهز المشاعر من الاعماق وهو:

لبيك وداى النيل لبيك   دم الشباب وقف عليك

ثــم خرجــت تلك المجموعات الهادرة،وتقدم كل منها حاملا راية[1] الوطن العزيز، متجهين لميدان السيدة زينب حيث الطريق للجامعة وهناك انضم طلاب المدرسة الإسماعيلية لتلك الجموع حتى امتلأ الميدان بهم، وهتافهم لعنان السماء "عشــت لمصــر يــا نحاس دمت لمصر يا نحاس– الله أكبر وسقط التحالف مع

---

(١) العلم الأخضر وهلاله ونجومه الثلاث.

الإنجليز – سقطت معاهدة ١٩٣٦– يسقط حلف البحر الأبيض[١]. تسقط إنجلترا المستعمرة وفرنسا الداعرة وتركيا الغادرة".

وفـــى شارع المبتديان انضم طلاب كلاً من مدرسة الإبراهيمية، والخديوى إســـماعيل لتلك الجموع، وأصبحت تلك المظاهرة أولها فى شارع القصر العينى وأخرها عند المدرسة السنية الثانوية بنات[٢]– وبالطبع كان زعماء الطلاب من الشـــباب الوفدى، والإخوان المسلمين يتبادلون قيادة المظاهرات وكان من السهل التفريق بينهم من شكل الهتاف فشباب الإخوان كان هتافهم " إلى الجهاد يا شباب، ولبيك وادى النيل لبيك.... الخ ".

وفـــى حـــرم الجامعة، وأمام مبنى كلية الحقوق تبارى الخطباء فى الإشادة بقرار الزعيم مصطفى النحاس وذلك على اختلاف انتماءاتهم السياسية، كماخطب فـــى تلك الحشود المرحوم فضيلة الشيخ/ أبو زهرة أستاذ الشريعة بالكلية معلنا عن سقوط العهد الذى كان بيننا، وبين الإنجليز، وأن قتالهم من الآن بمنطقة القناة فرض عين على كل قادر على حمل السلاح كما أضاف من الآن ليس لنا إلا نداء واحد هو حى على الجهاد – ذلك باعتبار أن قتال الانجليز لتحرير الأرض جهاد فـــى سبيل الله – ونشط العمل الفدائى من السويس جنوبا لبورسعيد شمالاً، والتل الكبير، وأنشاص غرباً، وأصبح لا يمر يوماً واجداً دون عملية فدائية ضد المحتل تكلفـــة العديـــد مـــن جـــنوده – وكانت هذه العمليات فى معظمها كمائن للقوات البريطانـــية علـــى جمـــيع الطـــرق والمحـــاور التى تستخدمها، وإغارات على معسكراتهم بشكل أزعج معه الحكومة البريطانية فى لندن، ومع استمرار الخسائر فى الأفراد فقد تم عزل الجنرال أكسهام قائد القوات البريطانية فى المنطقة، وحل محلـــه الجـــنرال أرســـكين – ورد الشعب المصرى على ذلك بقيام الطفل نبيل المنصور بإحراق خيام معسكر بالكامل عن طريق إلقاء كرات مشتعلة من الكهنة مغموسة فى الكيروسين، ولما نفذ ما يحمله من تلك الكرات خلع ملابسه وحولها لكـــرات من اللهب وأحرق بها ما تبقى من خيام المعسكر، وشلت مفاجأة الفدائى الصغير الإنجليز فى البداية – لكن الأنوار الكاشفة للمعسكر والتى قامت بتفتيشة

(١) حلف عسكرى طلب الإنجليز من الحكومة الوفدية – انضمام مصر إليه ولكن سياسة الوفد كانـــت ضد الأحلاف العسكرية – وهذا الحلف كانت تركيا منضمة إليه وهو غير حلف بغداد الشهير

(٢) شـــاركت طالـــبات كـــلاً مـــن المدرسة السنيه والحلمية الثانوية للبنات فى التظاهر داخل مدارسهن وكانت هتافاتهن " اليوم حرام فيه العلم – نحن وراءك يا نحاس"

شـبراً شـبراً حـددت مكـان الفدائى الصغير ثم تكفلت الرشاشات الإستعمارية بالـتعامل معـه وأسـقطته شهيداً - وألهـب استشهاد نبيل المنصور الشعور الوطنى بمصر كلها - وكذلك استشهاد أم صابر[1].

وتعـاظم إقبال الشباب على معسكرات التدريب والانضمام لكتائب التحرير وكـان يومـاً مشهوداً يوم تحركت فيه كتيبة[2] جامعة فؤاد الأول لمنطقة القناة، وخـرج لتحيتها، وودعها رئيس الجامعة، وعمداء الكليات، وأساتذتها والطلاب وكذلـك طـلاب المـدارس الثانوية أيضا وكان مظهر الشباب الجامعى بزيهم العسكرى وهم يحملون أمتعتهم مهيباً ومشعلاً لحماس الجميع، ولا أستطيع وصف تلـك المشـاعر الجياشـة لكـل من المقاتلين وهم فرحين مستبشرين ومتعجلين للساعات والدقائق للانضمام لصفوف الفدائين وتودعهم قلوب مصر كلها.

مـع تصـاعد العمـل الفدائـى - قـام الإنجليز بهدم مساكن حى شعبى بالإسماعيلية **هو حى كفر أحمد عبده**. بسبب علم القيادات البريطانية- أن بداخله مقـر قـيادة العمل الفدائى، وتـم إنـذار السكان للإخـلاء، وفى الموعد الذى حـدده الإنجليز تكفلت الجرافات الإنجليزية بتسوية منازل الحى الفقير بالأرض، وردت الحكومة بإعادة بناءه وبشكل حديث، ومتطور كان ذلك بإعلان رسمى من الدولة لكن الأحداث بعد ذلك لم تمكن الحكومة من الوفاء بالوعد، وبدون شك فإن هـدم هـذا الكفر حقق الهدف منه بالنسبة للإنجليز وهو إظهار الحكومة بموقف العاجـز عن الرد المناسب - ولم يتوقف العمل الفدائى بل العكس فإنه تصاعد، وواصـل الأمـر الإنجلـيز لإيقاف وسائل المواصـلات بين مـدن القـناة وتفتيشها بحثاً عن الفدائين، ونجح العمل الفدائى فى إزعاج الوجود البريطانى[3].

---

(١) إمراة عجوز من حى الجناين بالسويس، كانت فى طريقها لمنزل أبنتها التى كانت فى حالة مخاض - لكن هلع الإنجليز ورعبهم من العمل الفدائى جعل إحدى دورياتهم تطلق النار عليها لعـدم اسـتطاعتهم تمييزها فى الظلام. وعندما أنشأت مديرية التحرير فى بداية العهد الثورى أطلق اسم أم صابر على إحدى القرى، وكذلك اسم الشهيد عمر شاهين على قرية أخرى.

(٢) قام أفراد تلك الكتيبة مع المعاونة الكاملة من قوات الشرطة بالمنطقة والتى كان يطلق عليها اسـم بلوكـات حفر الأقاليم - بالكثير من العمليات الفدائية داخل وخارج معسكرات الإنجليز واستشهد العديد من أفرادها أذكر منهم

الشهيد عمر شاهيـن	الشهيد عادل غانم
الشهيد ابـراهيم الاعسر	الشهيد المنيسـى

وسلام الله عليهم جميعهما فى عليين

(٣) ممـا لاشـك فيه فإن الحكومة ممثلة فى وزارة الداخلية، ووزيرها فؤاد باشا سراج الدين كانـت وراء العمل الفدائى ضد الوجود البريطانى، وبدون هذا التشجيع وتلك المؤاذرة ما كان

تلبـــية لـــنداء الواجـــب، ترك الخدمة فى صفوف القوات البريطانية... ٤٥ عـــاملاً هـــؤلاء الشـــرفاء كـــان يطلـــق عليهم اسم عمال القاعدة، وهى العمالة المصرية، والتى احتفظ بها الإنجليز بعد انتهاء الحرب للحاجة الشديدة إليهم وفى حـــركة وطنـــية غير مسبوقة، وبإيثار وشرف ضحى هؤلاء البسطاء بأرزاقهم. علـــى اعتـــبار أن العمـــل مع الإنجليز بعد إلغاء المعاهدة خيانة وطنية وكانت الحكومـــة فى رد فعلها على مستوى هذا العمل الوطنى الكبير حيث كلفت وزارة الشئون الاجتماعية باستقبال تلك العمالة وتعيينهم على الفور بوزارات، ومصالح الدولة المختلفة، ولتحقيق ذلك بسهولة ويسر فقد تم فتح العديد من المكاتب بأماكن مخـــتلفة لاســـتقبال العمال وأذكر منها المكتب الملحق بجوار ضريح سعد باشا زغلـــول – وفـــى خلال أيام تم تعيين هذا العدد الضخم نسبياً، وبأسلوب مبسط للغايـــة، وبعيداً كل البعد عن الإجراءات الروتينية، فقد كان على العامل أن يوقع إقـــراراً يبين به اسم المعسكر البريطانى الذى كان يعمل به فيذكر مثلاً أنه كان يعمـــل بمعسكر " القرش – أو جنيفة – أو الشلوفة[1] " وبيان مهنته ويستلم على الفـــور مبلغ ثلاثة جنيهات – ولم يكن ذلك مبلغ زهيداً حيث كان العامل يستطيع تدبـــير شـــئونه حتى يتم صرف المرتب أول الشهر – وكان يتم استقبال هؤلاء بجميع مصالح الدولة بالترحاب والتصفيق الحاد لتصرفهم الوطنى الكبير.

وسأل أحد الصحفيين وزير الشئون الاجتماعية[2] قائلاً:

معـــالى الوزيـــر – هل تعلم معاليك أن هذا العدد الضخم من العمال والذى قمـــتم بتعييـــنه – لم يكن جميعهم من عمال القاعدة ولكن اندس بينهم الكثيرون "

يمكن أبدا فتح كل معسكرات التدريب العسكرى فى كل أنحاء القطر المصرى فى ذلك الوقت القصـــير بما فى ذلك معسكرات التدريب داخل الجامعة والمدارس الثانوية – وكذلك تم تسليح قـــوات الشرطة " قوات بلوكات خفر الأقاليم " والمتواجدة بالمنطقة بتسليح غير مألوف لقوات الشـــرطة للمحافظـــة علـــى الأمن وشاركت تلك القوات بإيجابية فى العمل الفدائى كما أمدت المقاتلين بما يحتاجونه من مواد الإعاشة والأسلحة والذخائر مما حدى بالقوات الإستعمارية من شن هجوم كبير ضدها، وسيأتى الكلام عن ذلك فى حينه.

– ومن الضباط الأحرار الذين تطوعوا قبل الثورة لقيادة العمل الفدائى الصاغ كمال الدين رفعت – الصاغ حسن التهامى – الصاغ لطفى واكد.

(١) أسماء معسكرات بريطانية بمنطقة القناة.

(٢) د. عبد الفتاح باشا حسن.

وجاء رد الوزير حاسماً حتى يغلق هذا الباب نهائياً وقال معاليه: على الفرض ما تقول صحيحاً فإن هؤلاء الذين تسميهم مندسين هم عمال مصريون – وبهذا الرد القاطع حُسمت القضية تماماً – ولم يفتح الموضوع مرة أخرى.

ويقــص علينــا أحد هؤلاء الأبطال موقفاً وطنياً خالصاً يوم أن ترك خدمة الجيش البريطانى وزمان ومكان القصة كالآتى:

الزمــــان: ٨ أكتوبر ١٩٥١

والمكــــان : إحدى معسكرات الجيش البريطانى بناحية جنيفة[1] وكان يطلق على هذا المعسكر اسم كامب الشاى.

ويقــول البطل عندما استمعنا لخطاب الزعيم مصطفى النحاس – فوجئنا بالجنود الإنجليز، وقد صدرت لهم الأوامر برفع درجة الاستعداد، وكأنهم يتهيأون لدخول معركة حربية، وتلك الصورة لم نراها منذ انتهاء الحرب عام ١٩٤٥.

وفـــى نفس الوقت سيطر علينا نحن العمال شعور جارف بحب الوطن، والاستعداد للتضحية من أجله، وكانت هتافاتنا لمصر، ولمصطفى النحاس تصل لأســماع القادة والضباط الانجليز – وأجمعنا رأينا دون اتفاق مسبق، ودون أي ترتيب على ضرورة ترك الخدمة بالجيش البريطانى والعودة للقاهرة – كنا أربعة عمال مهنتنا خياطين "ترزية" ونعمل من خلال متعهد باكستانى اسمه محمد على – والذى تصادف وجوده خارج المعسكر فى ذلك الوقت – لم نحسب حســاب أي خســارة قــد تلحــق بنا فيما لو تركنا العمل نظراً لأجورنا العالية نسبياً عن مثيلتها فى القاهرة، وعلى فرض أننا وجدنا فرص عمل بها – ويستمر البطل فى روايــته لــم ننتظر حضور الخواجة الباكستانى كما كنا نناديه، وقمنا باستئجار ســيارة نقل وحملنا عليها ماكينات الخياطة الخاصة بنا وأمتعتنا الشخصية، وكنا فى سباق مع الدقائق بل، مع الثوانى، وفى تلك اللحظات الحرجة حضر الخواجة ونظر إلينا، وإلى السيارة ثم وجهه كلامه لى بصفتى أكبرهم سناً وقال

المــتعهد الباكستانى محمد على: راحين على فين يا عبد الغفار بالمكن ده " يقصد ماكينات الحياكة".

عــبد الغفــــار : نازلين مصر يا أسطي ما فيش شغل مع الإنجليز بعد النهارده.

---

(١) شمال السويس، وجنوب فايد.

المتعهـــــد : أيه الكلام ده يا عبده – أعقل وبلاش الكلام الفارغ ده – ثم صاح بأعلى صوته: نزل يا جدع أنت وهو المكن.

عبد الغفـــار : مكن أيه اللى ينزل يا أسطى ؟؟ بقول نازلين مصر – وما فيش شغل مع الإنجليز.

المتعهـــــد : يعنى الموضوع بجد.

عبد الغفـــار : وجد الجد.

المتعهـــــد : ناوين تشتغلوا أيه في مصر ؟

عـبد الغفـــار: فى مهنتنا يا أسطى وأنت أول واحد يعرف إننا صنايعية واسطوات.

ويحاول المتعهد الاستعطاف فيقول: يا عبده ما أنت عارف الحال فى مصر شكله إيه وما فيش شغل ولا فرص عمل.

الأسطى عبد الغفار : الأرزاق بيد الله – وبعدين فيه شغل مافيش شغل إحنا نازليـــن مصر، وإنما شغل مع الإنجليز تانى مستحيل بعد اليوم.

المـــتعهد مستعطفاً للمرة الثانية فيقول: طيب كملوا الأسبوع ده علشان إحنا عندنا التزامات، وبعدين إعملوا زى ماأنتوا عايزين.

الأسطى عبد الغفار : ولاساعة واحدة

المـــتعهـــــد : إذا ما عقلتش يا عبده ونزلتوا المكن من على العربية حاضربك بالرصاص.

عبد الغفـــار : واذا ما بعدتش يا أسطى من قدام العربية حا أحط دماغك تحت العجل.

ويـــتأزم الموقـــف للحظات، ويتراجع الخواجة الباكستانى وتتحرك السيارة خارج المعسكر بالأبطال فى طريقها للقاهرة.

انتهى حديث البطل[1]

---

(١) كـم أتمـنى أن يكـون ٨ أكتوبر من كل عام احتفالاً قومياً بعيد العمال المصريين تخليداً لذكـرى حركة عمال القنال فى ٨ أكتوبر ١٩٥١ الذين تركوا الخدمة مع الإنجليز بوازع من وطنيتهم، وتلبية لنداء الواجب، وذلك بدلاً من احتفال أول مايو فى كل عام والذى أدخل ضمن الأعـياد الوطنـية بالفـرض مـن جانـب الدولة اعتباراً من مايو ١٩٦٣ بعد الأخذ بالنظام الاشتراكى الفاشل فى بداية الهوجة الإشتراكية.

الملك فاروق وسوء الأختيار

فاجـأ الملـك الشـعب، والحكومة بإصدار مرسوماً ملكياً بتعيين ثلاثة من الشخصيات المرفوضة شعبياً لعلاقتهم الوثيقة بالإنجليز فى وظائف كبيرة بالقصر وهم:

- د. حافظ عفيفـى[١] رئيساً للديوان الملكـي
- إلياس أنـدراوس[٢] مستشار الملك للشئون الاقتصادية
- عبد الفتاح عمرو[٣] مستشار القصر للشئون الخارجية

وهـذه التعيينات تمت دون استشارة رئيس الحكومة – وكان معنى ذلك أن جبهة جديدة ضد الحكومة قد فتحت إلى جانب جبهة الإنجليز.

ولمـا كـان الدكتور حافظ عفيفى أكثر تلك الأسماء رفضاً شعبياً فقد انفجر الغضب الطلابى فى صبيحة اليوم التالى لصدور المرسوم الملكى بالتعيين والذى أذيـع فـى الراديو بنشرة الحادية عشرة – وكان الغضب الطلابى فى الجامعات والمدارس شديداً ولأيام متوالية – مما اضطر معه وزير المعارف د. طه حسين لإصـدار قرار بتعطيل الدراسة بالجامعات والمدارس الثانوية لأجل غير مسمى على أمل أن تهدأ النفوس الغاضبة خلال فترة تعطيل الدراسة.

ومـن الطـريف، والمهم تصوير المشاعر الطلابية لقرار تعطيل الدراسة والـذى انقسم الطلاب حيالة فريقين – الفريق الأول كان شديد القلق على موقف الحكومـة الوفديـة والتى فرض عليها الصراع فى جبهتين – أما صغار الطلبة فكـان القـرار بالنسبة لهم أجازة رسمية أى المزيد من مباريات كرة القدم بين الفرق المختلفة للأحياء السكنية – وكان هؤلاء الصغار بمجرد استماعهم لخبـر تعطـيل الدراسة يسارعون فى التنادى على بعضهم البعض – وكلاً منهم يؤكد الخـبر السعيد الذى يحررهم من المواعيد المدرسية – ومضى أسبوع على تلك الحـال واستأنفت الدراسة في بداية الأسبوع التالي – ولكن حدث ما لم يكن في

---

(١) لـه صـلة قوية بالإنجليز، ولايخفي عدائه للدستور وعندما انفجر الغضب الطلابى ضده وصـف المتظاهريـن مـن الطلاب بأنهم أبناء الشوارع. ومع ذلك لم يقدم لأى من المحاكم الثورية كما حدث لغيره من زعماء وحكام ما قبل يوليو ١٩٥٢.

(٢) سفير مصر فى لندن لفترة طويلة وعلى علاقات وطيدة معهم.

(٣) يقال إنه من أصول إيطالية – وأحد مستشارى السوء للملك ولا يخفى تشيعه للإنجليز.

الحسبان ألا وهو استئناف التظاهر ضد د. حافظ عفيفي والملك فاروق معاً وكانت الهتافات الطلابية كالآتي: " يسقط حافظ حافظ عفيفي " وكلمة حافظ الثانية فيها إشارة للملك – وتطور الهتاف ليصبح يسقط عفيفي ومن ولاه – وفي الأيام التالية كان الهجوم على الملك أكثر حدة ووضوحاً في جميع التظاهرات لطلاب المدارس والجامعات فأصبح – يسقط حُكم الديكتاتور – يسقط حكم الفرد المطلق – ثم تصاعدت حدة الهتافات فأصبحت إلى قوله إلى قوله[١] ليست بلادكم أيها الخونة – وإلى كابري[٢] – إلى كابري – ومن لا يحكم أمة[٣] لا يحكم الأمة – وأين أمك أين أختك أين أين يا فاروق.

مع تلك الثورة الكبيرة عُطلت الدراسة مرة أخرى لمدة أسبوع، أستئنفت مع بداية الأسبوع التالي – لكن التظاهر ضد الملك وحافظ عفيفي لم يتوقف بعد وازداد حدة – مما اضطر د.طه حسين أن يعلن عن بدء إجازة نصف العام في غير موعدها الأصلي ولمدة أسبوعين التي انتهت الخميس الموافق ٢٤ يناير – وعن اليوم التالي أي يوم الجمعة نفذ الإنجليز هجوم غادراً ضد مبنى محافظة[٤] الإسماعلية – وذلك بعد أن تأكد لهم بشكل قاطع أن قوات البوليس متمثلة في قوات بلوكات خفر الأقاليم هي عماد العمل الفدائي لذا فقد تم حصار مبنى المحافظة بالدبابات والآليات – وطلب من القوات المتمركزة به التسليم أو الاقتحام– ومع انتهاء مدة الإنذار كانت الشرطة قد اتخذت مواقعها القتالية، وهم في حالة معنوية عالية للغاية وفي تلك اللحظات والتي بلغت فيها القلوب الحناجر صاح أحد الضباط " لبيك وادي النيل دم الشباب وقف عليك".

وتصاعد هتاف الضباط والجنود المقبلون على الشهادة لعنان السماء – وتأكد الإنجليز من إصرار قوات الشرطة على القتال ورفضهم الاستسلام وتمكن أحد الضباط[٥] الشبان من التسلل لخارج المبنى والاتصال بوزير الداخلية من

---

(١) مسقط رأس محمد على مؤسس الأسرة العلوية.

(٢) مدينة إيطالية لها شهرة في لعب القمار وما شابه ذلك وقيل أن الملك فاروق دائم التواجد بها

(٣) كانت الملكة الأم وابنتها فتحية لهن تصرفات غير لائقة وأفاضت الصحف في نشرها مما حدا بالملك بإصدار مرسوم بحرمان شقيقته من لقب أميرة وكذلك من المخصصات الخاصة بها.

(٤) لم تكن مصر أخذت بنظام الحكم المحلي بعد والذى بدأ في عام ١٩٦٢ والمقصود وهو مبنى مديرية أمن الإسماعيلية.

(٥) المرحوم فؤاد باشا سراج الدين سكرتير عام الوفد ورئيس حزب الوفد الجديد.

الخـــارج لأن الإنجلـــيز مع الحصار كانوا قد قاموا بقطع جميع الاتصالات بين المحافظة والخارج – فكان هذا الحوار بين الضابط الشاب ووزير الداخلية[1].

الوزير : كيف حال الروح المعنوية عندكم.

الضابط : إلى عنان السماء.

الوزير : على بركة الله ـ ارفضوا الإنذار.

انتهت المكالمة وعاد الضابط[2] متسللاً وانضم لجنوده وزملاءه المحاصرين ومـــع انـــتهاء فترة الإنذار تقدمت القوات الإنجليزية لاقتحام المبنى تحت ستار كثـــيف من نيران الرشاشات الثقيلة، والخفيفة ودارت أشرف المعارك بين أبناء النيل السُمر، وبين الجنود السكسون ورغم الفارق الكبير فى التسليح قاتلت قوات الشرطة: بشجاعة وشرف ضاربين بذلك أروع الأمثلة من البذل والعطاء للوطن الحبيـــب – ولم تستطع القوات الاستعمارية أن تطأ أقدامها أرض مبنى المحافظة إلا علـــى جثـــث الشهداء الأبطال الذين قاتلوا حتى نالوا الشهادة – وعندما رأى القائد الإنجليزى بنفسه الحجم الكبير للشهداء صاح فى قواته قائلاً:

" أوقفوا الضرب – ما هذا العمل القذر الذى صنعناه "

عاد الطلاب لمعاهدهم بعد انتهاء إجازة نصف العام يوم السبت الموافق ٢٦ يـــناير – وفـــى أعقاب نهاية الإجازة والتى بدأت وانتهت مبكراً عن موعدها – وغلف الصمت والحزن عيون، ومشاعر الجميع– هذا الصمت كان السكون الذى سبق العاطفة، وأنتهت دروس الحصة الأولى لطلاب المدرسة الخديوية الثانوية، وهبت العاصفة متمثلة فى المظاهرات الصاخبة، والتى انفجرت فجأة والتى كان يقودهـــا شـــباب الطلـــيعة الوفدية، وكانت الهتافات كلها مطالبة للحكومة بتوفير الســـلاح للشـــعب، وإعلان الحرب الرسمية على الإنجليز – وتصادفت أن أدى طلبة التدريب العسكرى، بيان عملياً بالسلاح احتفالاً بانتهاء فترة التدريب تمهيداً لانضـــمامهم للفدائيين وكان معظم المتدربين من شباب الإخوان المسلمين، وبعد

---

(١) بلغ عدد الشهداء من قوات بلوكات خفر الأقاليم ٤٦ شهيداً، ٧٢ جريحا.

وأصبح هذا اليوم ٢٥يناير ١٩٥٢ عيداً للشرطة تحتفل به وزارة الداخلية كل عام – ومن الغريـــب أن صانع هذا العيد، وبطله، وقائده فؤاد باشا سراج الدين كان هناك تعمد من تجهاله وعدم دعوته لهذا الاحتفال منذ أن تقرر إحياء ذكرى تلك المعركة إلا مرة واحدة وقبل رحيله بأقل من عام واحد.

(٢) اليوزباشى مصطفى رفعت.

انتهاء البيان خرج الجميع فى مظاهرة صاخبة من الباب الخلفى للمدرسة والذى هو فى نفس الوقت باب فناء ملعب الكرة[1] الخاص بالمدرسة، ومنه لشارع أحمد عمــر ثم إلى ميدان الحلمية الجديدة أمام مبنى المركز العام للإخوان المسلمين – وكان هتاف المتظاهرين:

أين الجيش نحن نمــوت   تحرك يا حيدر[2] – تحرك يا نصرت[3]

ثــم اتجهت المظاهرات جنوباً حتى وصلت أمام قسم شرطة الدرب الأحمر حيــث حــدث المفاجــأة فى عدم تصدى قوات الشرطة للمتظاهرين ولكن حدث العكــس بانضمامها إليهم – وحُمل أحد رجال الشرطة على الأعناق وهو يجاهد ليمنع نفسه من البكاء على شهداء الأمس زملاءه وهو يهتف.

أين الجيش البوليس يموت

أين الجيش نحن نمـــوت

وعلــى أثر ذلك انضم للمتظاهرين كل أفراد الشعب الذين تصادف وجودهم فى الشوارع المجاورة ثم انحرفت المظاهرة شرقاً لشارع الماس الحاجب، ومنه لشـــارع محمـــد علـــى، وقد تحولت لثورة شعبية عارمة بانضمام كل من تواجد بشـــارع محمـــد على إليها، وواصلت المظاهرات مسيرتها لميدان باب الخلق ثم مـــيدان العتبة، وكان حجمها أضعاف الحجم الذى بدأت به – وأمام قسم شرطة الازبكية انضم اليها رجال الشرطة – وأصبح جلياً لكل ذو بصيرة أن الأمر جد خطير ولم تعد وزارة الداخلية تسيطر على الأمن فهاهم رجالها المنوط بهم حفظ الأمـــن يتظاهرون مع باقى أفراد الشعب بل يقودون المظاهرات – وفى طريق الثائريـــن لمـــيدان ابراهـــيم باشا[4].– استفزهم وأثار مشاعرهم بعض الافيشات العاريـــة علـــى واجهة أحد الملاهى الليلة[5]. المجاورة لدار سينما أوبرا – ولم يـــتمالك الثوار أنفسهم ورشقوا تلك الإعلانات بالحجارة، ثم الهجوم على المبنى نفسه واقتحامه، وتدمير ما يقابلهم بداخله، ثم أضرموا فيه النار.

---

(١) الفريق محمد حيدر. القائد العام.

(٢) مصطفى باشا نصرت وزير الدفاع.

(٣) يسمى الآن نادى شباب عابدين.

(٤) الجمهورية الآن.

(٥) كازينو الفنانة صفية حلمى.

ومـــن الغريـــب أو قد يكون من المصادفة أو من التدبير وجود مظاهرات أخـــرى اجتاحت شوارع قصر النيل - سليمان باشا - عماد الدين - شريف - عدلـــى - وشارع عبد الخالق ثروت، وكان سلوكها واحداً فى تدمير وتحطيم ما يقابلونـــه وإشعال الحرائق - وشمل ذلك جميع محلات بيع الخمور - المحلات التجارية التى يملكها أجانب. مثل شملا- شيكوريل - داود وعدس. ولم يستطيع الـــثائرون التميز بين ما هو أجنبى أو وطنى فأشعلوا الحرائق فى كافة المحلات التجارية فى الشوارع المذكورة - وتم تحطيم كافة المسارح، ودور السينما ومنها سينما مترو، وكايرو، ومترو بول، وسان جيمس واستديو مصر، وسينما كوزمو، وكذلك جميع الفنادق، وفروع البنوك، وكافة شركات التأمين.

وارتفعـــت ألسنة اللهب، وأصبح دخانها يشاهد من مسافات بعيدة من القلعة والعباســـية، وشبرا - وفى المساء نزلت قوات الجيش الشوارع، وسيطرت على الموقـــف لكـــن بعـــد فوات الأوان فقد كانت القاهرة تحترق، وبالتحديد وسطها وواجهتها الحضارية وفى نفس الوقت كان الدخان الأسود يُغطى سماءها بالكامل وكانت الخسائر كما يلى:

- ٣٠٠ منشأة ومحلاً تجارياً.
- ٤٠ دار للسينما، والمسرح.
- ٧٠ مطعماً.
- ١٦ منشأة مالية (بنك وفروع بنوك أجنبية ووطنية وشركات تأمين)
- ١٣ محلاً لبيع الخمور وهى جميع محلات بيع الخمور بالقاهرة.

وفـــى نشرة الساعة ٨,٣٠ أذاع الزعيم مصطفى النحاس بياناً على الشعب ألقـــى بالمســـئولية عـــن ما حدث بالقاهرة من خراب وتدمير على من أسماهم " الخونـــة المارقين " ودعاة الفتنة الهدامين المنتهزين للفرص " وتم إعلان الأحكام العرفـــية وكان سيادته الحاكم العسكرى وأعلن حذر التجوال من السادسة مساءاً حـــتى السادســـة صـــباحاً اعتباراً من صباح اليوم التالى ١٩٥٢/١/٢٧. وقبل منتصف ليل السبت ٢٦ يناير صدر مرسوماً ملكياً بإقالة الوزارة، وتكليف رفعت على باشا ماهر برئاسة الوزارة الجديدة.

استدراك

الفـترة التى قضاها الوفد فى الحكم خلال الفترة من عام ١٩٢٤ حتي ٢٧ يناير ١٩٥٢ هـى سبعة سنوات وبضعة أشهر - وذلك من خـلال خمس وزارات أولها وزارة عام ١٩٢٤ برئاسـة الزعـيم سعد زغلول، ثم أربع مرات برئاسة مصطفى النحاس خلال السنوات ١٩٢٩ ١٩٣٧ والفـترة مـن عام ١٩٤٢ - ١٩٤٤، ومن يناير ١٩٥٠ حتى ٢٦ يناير ١٩٥٢.

حـــرص سكان العاصمة على العودة لمنازلهم قبل السادسة مساءاً، وسريان قـــرار حـــذر التجوال - وإكتظت الشوارع بالناس بنفس الشكل الذى يحدث فى شهر رمضان المعظم قبل ساعة الإفطار - واستمر هذا النظام لمدة يومين، ثم تم تمديـــده ليصـــبح مـــن الساعة السابعة مساءاً بدلاً من السادسة وذلك حتى نهاية الأســـبوع الأخير من يناير - ثم أصبح حذر التجوال من التاسعة مساءاً للسادسه صباحاً، واستمر هكذا طوال شهرى فبراير ومارس، ثم تم تمديده للمرة الأخيرة ليصـــبح مـــن الساعة ١٢ عند منتصف الليل للسادسة صباحاً، واستمرت وزارة على ماهر باشا فى الحكم لمدة شهر، ونصف توقف خلالها تماماً العمل الفدائى - مع دهشة الجميع فقد تم اعتقال أعداداً كبيرة من الفدائيين، وزج بهم فى السجون رغـــم تصريحات معالى رئيس الوزراء بأن حكومته سوف تنتهج نهج الحكومة السابقة، وتكمل مسيرتها لتحقيق الأمانى القومية للبلاد فى الحرية والاستقلال.

ومـــنذ أن تحـــدى فـــاروق شعبه فى تعيين د. حافظ عفيفى رئيساً للديوان الملكـــى، وماتـــبع ذلك من حريق القاهرة، وانطفاء جذوة النضال ضد الإنجليز وحجـــم الكراهـــية يـــزداد يومـــاً بعد يوم للملك حتى أصبح المسرح مهياً تماماً للإطاحة به فى ٢٦ يوليو من نفس العام - هذا وقد خلفت وزارة على ماهر باشا وزارة د. نجيب الهلالى، وأعلن معاليه بأن مهمة وزارته هى التطهير والقضاء علـــى الفساد، واستمرت الوزارة حتى يوليو من نفس العام واستقالت ليشكلها د. نجيـــب الهلالى للمرة الثانية فى نفس اليوم - لكن الضباط كانوا الأسرع بالقيام بالإنقلاب والاستيلاء على الحكم - وأسقط فى يد نجيب الهلالى. والذى لم يجد ما يفعلة سوى مخاطبة اللواء محمد نجيب فى التليفون.

قائلا: عيب يانجيب أنا أستاذك.

استدراك (أ)

" يقول الرئيس الراحل محمد أنور السادات في كتابه البحث عن الذات[1] أنه عرف بعد حريق القاهرة عن طريق صديقه يوسف رشاد رئيس جهاز المعلومات الخاص بالسراي – بأن الملك بات يشعر بأنه لم يعد له مكان في مصر، بل وأعد قائمة بأسماء من سيصاحبونه في المنفي، ومن بينهم يوسف رشاد نفسه – كما أنه بدأ يرسل الذهب في طائرته الخاصة إلي بنوك جنيف الأمر الذي جعلني أنا وعبد الناصر نقتنع بأن حركة الضباط الأحرار لن تجد مقاومة من جانب الملك فقد بات واضحاً أنه بدأ ينهار فعلاً، وعليه جمعنا الهيئة التأسيسية في فبراير، وقررنا القيام بالثورة في نوفمبر ١٩٥٢ بدلاً من نوفمبر ١٩٥٥ ".

ويقول أيضاً الأستاذ خالد محيي الدين[2] بعد حل مجلس إدارة نادي الضباط تقدم عبد الناصر باقتراح مؤداه أن نقوم بسلسلة من الاغتيالات تستهدف هز أركان النظام، واقترح أن نغتال حسين سري عامر[3]، وحسين فريد[4]، وحيدر باشا[5]، وحسن حشمت[6].

وفي اليوم التالي جاء جمال سالم بإقتراح أن نغتال الملك ورفضنا جميعاً لصعوبة التنفيذ.

وتحدث عبد الناصر قائلاً: الآن اقتنعت بعدم جدوي الاغتيالات وأنا لدي مشروع آخر بعد أن نسيطر علي القوات المسلحة نُملي شروطنا وأحب أن أحدد أن الفكرة كانت السيطرة علي القوات المسلحة – وليس السيطرة علي السلطة – ففكرة استيلاءنا علي السلطة لم تكن واردة بعد – ويستطرد سيادته في موضع آخر من الكتاب[7] ويلخص الموقف كما يلي:

---

(١) ص ١١٧ – البحث عن الذات

(٢) ص ١٢٥ الآن أتكلم

(٣) قائد سلاح الحدود – وكان مرشحاً لوزارة الحربية.

(٤) اللواء حسين فريد رئيس هيئة الأركان.

(٥) الفريق محمد حيدر باشا القائد العام وخال الصاغ عبد الحكيم عامر.

(٦) اللواء حشمت قائد سلاح الفرسان.

(٧) ص١٣١

إستدراك (ب)

١٦ يولــيو : قــرار حــل نادي الضباط وما تبعه من تهديد باعتقال الضباط المخالفين.

١٧ يولــيو : اجــتماع لجنة القيادة وإتخاذ قرار بشن حملة اغتيالات واسعة.

١٨ يوليو : اجتماع لجنة القيادة وإلغاء فكرة الاغتيالات وإتخاذ قرار بالســيطرة علــي القــوات المسلحة يوم ٢، ٣ أغسطس لإملاء شروطنا.

١٩ يوليو : اجتماع قيادة المجموعة للإعداد للتحرك وحصر القوات وتحديد الإمكانات.

ويســتمر ســيادته فيقول وفي مقابلة بين اللواء نجيــب الذي إستدعي لمقابلة الوزير محمد هاشم وهو صــهر حســين سري باشا رئيس الوزراء قال الوزير لنجيب " أن السراي لديها قائمة بأسماء ١٢ ضابطاً هم المسئولون عن تحريك، وقيادة الضباط الأحرار " ويقول الأستاذ خالد محيي الدين عضو مجلس قيادة الثورة أود أن أسجل إننا بعد الثورة حاولنا كثيراً البحث عن قائمة الأثني عشر ضابطاً فلم نجدها- وقيل إنها كانت مسجلة فــي مفكــره صغيرة لدي حسين فريد – وقيلت أشياء أخــري، ولكننا علي أية حال لم نعثر علي القائمة ولم نعرف علي وجه اليقين إن كانت هذه القصة حقيقية أم كانــت غــير صــحيحة وإن هاشم قد أوردها لتخويف نجيب، والضباط – ولكن الشيء المؤكد.

استدراك (ج)

إن هــذه الرواية حفزتنا إلي شيئين غيرا مسار الحركة، ومسار مصر كلها ففور سماع الخبر دُعَيت " لجنة القيادة " إلي اجتماع لتقرير التحرك الفوري كما تقرر أن العملية التي سنقوم بها هي عملية:

" انقــلاب أي الاســتيلاء علــي السلطة وليس مجرد سيطرة علي المنطقة العســكرية لإملاء مطالبنا " – وقررنا أن نتحرك خلال ٤٨ ساعة، وتحددت ليلة ٢٢ يوليو موعداً للعملية – ولكن يأتي يوم ٢١ يوليو ليبلغنا عبد الناصر أنه يري التأجــيل ليلة أخري انتظاراً لحشد قوات أكبر – وتحددت ليلة ٢٣ يوليو كموعد نهائي – وكانت الخطة بسيطة للغاية، وتنقسم إلي ثلاث مراحل:

١- السيطرة علي القوات المسلحة.

٢- إنزال قوات للشوارع للسيطرة علي عدد من المواقع المدنية: الإذاعة – التليفونات – قصر عابدين.

٣- التحرك لعزل الملك[1].

---

(١) يُفهــم مــن تلك الشهادة ، وهذا التسلسل للأحداث إنه لم يكن هناك تفكير في ثورة ولا ما عــرف بعد ذلك بالمبادىء الستة وإنما كانت مجرد أفكار فرضتها الظروف بدأت بالتفكير في حملــة اغتــيالات، وتــم استبعادها ثم فكرة اغتيال الملك ورفضها، ثم الاستيلاء علي القوات المسلحة لإملاء مطالب، واستبعادها أيضاً أو تطويرها لتصبح انقلاب عسكري شامل للاستيلاء علي السلطة وهو ما تم تنفيذه بالفعل.

تنازل الملك عن العرش

كان عزل فاروق سريعاً، ومفاجئاً ومؤكداً للإرهاصات الطلابية والتي كانت تـنادي بذلـك فـي أواخر عام ١٩٥١،واستمد النظام الجديد شرعيته من التأييد الشعبي الكبير، والذي انتهي تقريباً في مارس ١٩٥٤ كما سيأتي ذلك في حينه- المهـم كانت الشماتة في فاروق العابث بالدستور، والحياة النيابية كبيرة، والذي مارس حقه الدستوري في إقالة الوزارة، وحل البرلمان بأسوأ ما يكون، ولا أعفي بعـض قيادات الأحزاب القديمة من المسئولية عن ذلك، لانحنائهم لتقبيل اليد ثم يعـودون أدراجهـم بظهورهـم – والبعض الآخر كان يعلن في الصحف بأنهم تشرفوا بالمقابلة السامية لتلقي الإرشادات، والنصائح، ومن ممن مّن الملك الشاب الـذي تعوزه الخبرة – وحتى لا يحدث سوء فهم أو تعميم فأنني استثني قيادات أحزاب الوفد، والسعدي، ومصر الفتاة وكذلك قيادات الأخوان المسلمين من ذلك السـلوك. لذلـك كانت الجماهير تتوقع دعوة البرلمان الشرعي للانعقاد، وإعادة السـلطة للشعب بعودة حكومة الوفد لكن شيئاً من ذلك لم يحدث، وأسندت رئاسة الـوزارة لعلـي ماهر باشا[1]، وظهرت مع الباعة صور لكل من محمد نجيب، وعلـي ماهـر ومكـتوب تحت صورة الأخير رجل الساعة الأمر الذي أعطي انطباعاً نسبياً بأن لمعاليه دور في الثورة – ولذلك صدر بيان ونشر في الصحف بمـنع بـيع تلك الصور وتكليف الداخلية بمطاردة المطابع التي طبعتها، وكذلك موزعيها.

وتعـرف الشـعب علي محمد نجيب كفارس من فرسان العصور الوسطي يسبقه تاريخه العسكري المشرف، ورتبته العسكرية الرفيعة ويزين صدره بأعلي وسـام عسكري معه رقم (٣) أي أصيب في ميدان القتال ثلاث مرات بالإضافة لرتبة البكاوية فقد كان محمد نجيب بك حتى كانت مانشيتات جريدة المصري في صباح ٢٣ يوليو تقول " نجيب بك يسيطر علي القاهرة قبل الفجر " وكان سيادته بالإضـافة لرتبته العسكرية الرفيعة يحمل مؤهلات متعددة مثل ليسانس الحقوق، دبلوم في القانون، وكان يتحدث للناس بتواضع شديد، ومشاعر أبوية جعلته يدخل قلـوب الكبار والصغار حتى أن الأطفال كانوا يرددون أهزوجة لطيفة عنه تقول كلماتها – " محمد نجيب يا حتة سُكرة خربت بيت فاروق يا شمعة منورة " وكان

---

(١) علي ماهر شكل الوزارة مرتين في عام ١٩٥٢ الأولي بعد حريق القاهرة والثانية في أول الثورة.

لـــه قبول غير محدود عند السودانيين وكانوا يعتبرونه رمزاً للوحدة فهو من أب مصري وأم سودانية، ولذا عندما تفجرت أحداث مارس ١٩٥٤ كان السودانيون والذيـــن تجــاوز عددهم عشرات الألوف بميدان عابدين يهتفون " لا اتحاد بغير نجيب " وهكذا أصبح نجيب بتصرفاته التلقائية البسيطة الواسطة بين زملاءه في مجلـــس القــــيادة والشعب – وكان في جولاته في الريف شمالاً، وجنوباً تظهر صـــورته وهـــو يروي ظمأه بالشرب من قلل الفلاحين مما جعل أحد المواطنين يبعث له بهدية عبارة عن ترمس وقال في خطاب الإهداء " سيادة الرئيس رأيتك وأنـــت تشــرب مـــن قلل الفلاحين القذرة – لذا فإنني أهدي إليك هذا الترمس – ليصحبك في رحلاتك " وكان رد نجيب علي هذا الإهداء:

" أشكرك هذا التُرمس هدية مني إليك "

وكـــان هـــذا السلوك من أعلي سلطة في الدولة جديداً علي الجماهير والتي كانـــت تهـــرع إليه لمصافحته باليد وهو يتجول بسيارته المكشوفة في الشوارع، وكثـــيراً ما كان يترجل لمصافحة رجلاً كبير السن أو لتقبيل طفل صغير يحمله أبوه وبهذا الشكل استحوذ علي قلوب الجميع.

وأترك مؤقتاً نجيب وأعود إليه بعد أن أروي قصة طريفة ليس له علاقة بها بشـــكل مباشـــر لكن أستغل فيها اسمه من بعض الشخصيات الغريبة مثل رجلاً يُسمي عُكريشة تجاوز الخمسين من العَمر أشيب الشعر تدل لون بشرته البيضاء وعينـــيه علـــي أنه من أصول شامية أو تركية هذا الرجل كان وراء طبع نوع غريـــب مـــن الصحافة أو النشرات والتي لا تتجاوز النشرة الواحدة صفحتين أو ثلاثـــة صـــفحات بما فيها من صور من الحجم الصغير – وكانت تلك النشرات تظهـــر وتختفـــي ولا تعبر عن رأي في موضوع سياسي ولا تُمثل فكراً ولا أي شـــيء مـــن هـــذا القبـــيل، وإنما تحدث نوع من الفرقعة، وتصُبح حديث الناس وخصوصـــاً الطبقات الشعبية، ويستمر ذلك لفترة وتنتهي حتى يفاجأ هذا الرجل الناس بموضوع آخر من نفس النوع مثال:

فجـــأة يحدث صخب، وصراخ في الشوارع من بعض الباعة الجائلين لتلك النشـــرات وهـــم يصـــرخون بأعلي أصواتهم، ويتسابقون وراء بعضهم البعض مناديـــن "الحق يا جدع الست التي أكلت ذراع جوزها" أو مثلاً يقولون " الحق يا جدع اللحمة التي أتكلمت في الحلة ".

ويـتجمع الناس حول تلك الشرذمة ويتم بيع تلك النشرات والتي تحكي في كل مرة قصة غريبة هي من بنات أفكار ذلك الرجل وثمن النسخة نصف قرش، ثم تنتقل تلك الشرذمة لشارع آخر.

ويبدأ الصراخ والصياح وتجمع البسطاء ثم البيع وهكذا وبالرغم من مطاردة الشـرطة لهـؤلاء الـناس إلا أن تلـك الظارهة كانت تختفي ثم تعود بعد فترة بموضوع جديد.

ومع ظهور نجيب بالشكل الذي تكلمت به من قبل استغل هذا الرجل المسمي عكريشـة الحـدث بذكـاء شديد، وفوجيء الناس في كل الشوارع بظهور تلك النشـرات وتـباع بنفس الصخب والضجيج وهم ينادون بأعلي أصواتهم " أربع خـنازير وش فـاروق بتعريفة " والنشرة عبارة عن ورقة مرسوم عليها أربعة خـنازير – ثـم يـتم طـيها ثلاث مرات بشكل معين، يظهر فيها صورة الملك المخلوع فاروق. ولم تمر سوي أيام قلائل حتى ظهرت تلك النشرات مرة ثانية – والـباعة يصـرخون أربع أسود وش نجيب بتعريفة، فكانت النشرة مجرد ورقة مرسـوم علـيها اربعة أسود ثم يتم طيها بشكل معين فيظهر علي الفور صورة اللـواء محمد نجيب – وفي هذه المرة لم يكن هناك مطاردة من الشرطة ولذلك استمرت فترة أطول.

وكـان موضوع خلع فاروق حديث الساعة في كل أجهزة الإعلام وبداخل الصالونات، والمقاهي وحتى مع البسطاء في جلساتهم الخاصة وخير تمثيل لذلك لقـاءات الحاج عبد الله مع أصدقاءه بمخزن محله بعد صلاة العشاء، وفي إحدي لقاءات تلك الأيام كان الحوار التالي:

الحـاج عـبد الله : موجهـاً كلامـه لكل من الحاج حسن، والشيخ عبد العاطـي، فاكرين يا أخوانا الكلام اللي كان مكتوب بُمفكـرة الفلكـي الأسيوطي وكنا قرأناه أيام معركة القنال، وقبل الحريق.

الشيخ عبد المعطي : أنا موش حا أفتكر أي حاجة إلا بعد الشاي والشيشة.

الحاج عبد الله : معلهش أهو الشاي وصل.

الحـاج حسن : نعم أنا فاكر كان مكتوب أن حرف (الميم) سينتصر علي حرف (الفاء) وحرف (الجيم) يتغلب علي حرف (الميم).

الحـــاج عبد الله : كويس إنت فاكر مضبوط ويومها قعدنا نفكر كلنا في تلــك الحـــروف وما عرفناش منها غير حرف (الميم) وكلنا قلنا في نفس واحد إنه مصطفي النحاس، بالنسبة لحرف (الفاء) فكان واضح أنه الملك فاروق

الحاضـــرون : فعلاً وما كانش محمد نجيب يخطر علي بال أي واحد فينا.

الشيخ عبد العاطي : لسه الجزء المهم في كلام الفلكي وهو أن حرف(الجيم) زي ما هو ظاهر أنه البكباشي جمال عبد الناصر.

الحاج حسن : يعني إيه كل يوم والثاني شُغلانة جديدة وواحد يخلع زميله كده موش حا نخلص إحنا بقي.

الحـــاج عـــبد الله : ربـــنا يستر – وإن شاء الله تكون قلوبهم علي بعض، وينتبهوا للبلد إحنا قدامنا مصيبتين الإنجليز – وبعدين الكفرة اليهود – الأول نخلص من الإنجليز وبعدها أن شاء الله الملاعين دول – والنوبة ده موش حا يخدوا غلــوة واللي حصل النوبة اللي فاتت موش حيحصل ثاني.

الحاج حسن : طبعاً علشان الناس دول ضباط والحرب شغلتهم، وإن شـــاء الله الشوكة ده اللي أسمها إسرائيل نهايتها علي يد أبو نجيب.

الشـــيخ عـــبد العاطي: أنا شايف يا حاج عبد الله إنك مُتحمس قوي للضباط دول طبعاً علشان علي بك منهم.

الحاج عبد الله : أبداً موش ده السبب يعني أنت كان عاجبك حال البلد مع فاروق.

ثُـــم أضاف في السنين الأخيرة كانت تصرفاته كلها فجر وموش عامل حساب لأي حد خصوصاً بعد وفاة أحمـــد باشـــا حســـانين، رئـــيس الديوان ومعُلمه – وأستاذه.

وفـــي تلك الأثناء دخل علام يحمل الصينية وعليها الدور الثاني من الشاي وبدأ يغير أحجار الشيشة بالدخان، وبعد فترة من الصمت قال:

الشيخ عبد العاطي : عايز اسأل سؤال مهم.

الجمـيع فــي نفــس واحد: جري إيه يا شيخ عبد العاطي – ومين حايشك
أتفضـــل اســـأل.. قال الرجل مين هو اللي بيحكم
الــبلد الآن هــل هــو رئيس الوزراء علي ماهر
ووزارته أو نجيب وزملاءه.

ووقــع الجمــيع فــي حيص بيص – لأن السؤال كان موضوعي جداً وبدأ الشــعب بفطرته يستشعر مركز الثقل في الحكومة في يد نجيب – والضباط وأن علــي ماهــر مــا هو إلا واجهة – وقد نهج الحكام الجدد نفس نهج الانقلابات العسكرية السورية[1].

ولمــا لم يرد أحد من الجالسين علي سؤال الشيخ عبد العاطي قال: أتكلم أنا وأنوركم:

الحاج حسن : منكم نستفيد أتفضل نورنا.

الشيخ عبد العاطي: شوفوا الحركة المباركة[2] قامت بإلغاء الرُتب والألقاب المدنية يعني ما فيش بك ولا باشا – أو صاحب سمو والرتــب الوحيدة المسموح بها هي الرتب العسكرية وعلشــان أوضـــح أكثر شوف يا سيدي محمد نجيب أســم اللــواء أركان حرب محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة – ورئيس الثورة.

الجميع : في نفس واحد عارفين.

الشــيخ عبد العاطي : انتظروا شوية – أما علي ماهر باشا لم يعد صاحب الرفعة أو صاحب المقام الرفيع بل أصبح السيد علي ماهر رئيس الوزراء.

الحاج عبد الله : متساءلاً إنت عايز توصل لأيه.

---

(١) كانــت سورية الأسبق في الانقلابات العسكرية حيث قام بها انقلابان الأول انقلاب حسني الزعــيم ، وسامي الحناوي – ثم انقلاب أديب الشيشكلي وكان كل انقلاب يضع حكومة مدنية مجردة من السلطات – وتكون السلطة الفعلية في يد الضباط الانقلابيين – وحدث نفس الشيء فــي انقــلاب عــام ١٩٦١ في عهد الوحدة ضد جمال عبد الناصر حيث قام الضباط بتعيين حكومــة مدنــية برئاسة د.مأمون الكزبري ولكن مركز الثقل كان في يد رجال الانقلاب من العسكريين البعثيين.

(٢) كان يطلق علي الثورة في بدايتها أسم الحركة المباركة.

الشيخ عبد العاطي : عايز أقول أن علي ماهر لن يستمر في الحكم- وخلال فترة قصيرة سيكون الأمر كله في يد نجيب.

الحاج حسن : وبعدين بقي في الكلام اللىّ يسد النفس ده إحنا لسه بنقول يا هادي وخطوة لقدام عايز ترجعنا تاني لتغيير الوزارات دي الوزارة الحالية ما فاتش عليها شهر واحد.

الشيخ عبد العاطي : هو ده اللي أنا شايفه.

ثم هم بالوقوف قائلاً: تصبحوا علي خير.

الجميع : في نفس واحد وأنت من أهله وخدنا معاك وانصرفوا علي وعد باللقاء في مساء الغد.

ومـــع الصحف الصباحية كانت المانشيتات الكبيرة تعلن استقالة علي ماهر وكأن الشيخ عبد العاطي حينما تكلم بالليل كان يقرأ من كتاب مفتوح.

استدراك

أسباب الأزمة بين علي ماهر، والثوار:

- سـبق وأن أعلـن الـثوار أن الانتخابات النيابية سوف تكون فى شهر مارس ١٩٥٣ - ورفض على ماهر فكرة الانتخابات النيابية فى مارس، فما كان من الثوار إلا إصدار بيان ينتقدون فية موقف رئيس الوزراء المعين من الانتخابات مع التأكيد بأهمية إجراءها فى مارس ١٩٥٣، وكان الغرض من ذلك البيان إحراج على ماهر لدفعه للاستقالة.

- تمكـن أحد أساتذة الاقتصاد الاشتراكيين (د. راشد البراوى) من إقناع الـثوار بمشـروع تحديد الملكية الزراعية - ورفضه على ماهر مؤكداً أن الضـريبة التصاعدية تحقق الهدف الاجتماعى من المشروع- ثم تراجع بعد ذلك وقبلة باقتراح زيادة الحد الأدنى للملكية الزراعية إلى ٥٠٠ فدان - كما رفض المشروع أيضا بهى الدين بركات عضو مجلس الوصاية على الأمير أحمد فؤاد.

- مـع تجـاهل كامل لوجود رئيس للوزراء أصدر الثوار قرار ونفذ بليل خاص باعتقال جميع قيادات الأحزاب القديمة (عدا مصطفى النحاس فقط) - ونزل هؤلاء ضيوفاً على معتقل الكلية الحربية- ولم يشمل الاعتقال قيادة جماعـة الإخـوان المسلمين - وعرف الشعب بهذا الموضوع ومعه رئيس وزراءه عـندما صـدرت الصحف الصباحية، وعناوينها تحمل الخبر دون استشـارته أو حـتى مجرد إبلاغه - وعند ذلك كانت رسالة الثوار وصلت لمعالية فقدم استقالته، وقبلها مجلس قيادة الثورة، وشكل نجيب وزارته الأولى - ودخلهـا مـن المدنييـن د. نورالدين طراف وزيرا للصحة، د. إسماعيل القبانى للمعارف العمومية، د. عبد الجليل العمرى للمالية، والشيخ أحمد حسن الـباقورى للاوقـاف، علىغـير إرادة جماعة الإخوان المسلمين والتى كان عضواً بها - وكان ذلك بداية توتر بين الجماعة والثوار، وما لبث أن تطور ليصبح شرخاً ثم صدام كما سيأتى ذلك فى حينه وكان نجيب رئيس الوزراء والقائد العام، وعبد الناصر وزير الداخلية ونائب رئيس مجلس الثورة.

وواجهــت تلــك الــوزارة أول تحــدى لها بقيام عمال شركة كفر الدوار بالإضراب والتظاهر ضد الثورة وعلى الفور شكلت محكمة عسكرية[1] فى مدينة كفر الدوار وحكمت بالإعدام على اثنين من قادة العمال ونفذ الحكم.

وكان التحدى الثانى بعد عدة شهور من حادث كفر الدوار هناك في صعيد مصر فى مركز مغاغة - حينما أعلن أحد شباب الأسر ذات الملكيات الزراعية الكبيرة، وأسمه عدلى كامل لملوم الاعتراض على تنفيذ قانون الإصلاح الزراعى بــالقوة " وكـــان المذكـــور طالباً بالتوجيهية (الثانوية العامة الآن) وفوراً شكلت محكمـــة عســكرية لمحاكمة عدلى لملوم بمدرسة مغاغة الثانوية، وكانت أجهزة الاعــلام المتمثلة فى الإذاعة والصحافة تنعت القضية باسم قضية الإقطاع المتهم فيها فتى الإقطاع عدلى لملوم وحكم علية بالسجن المؤبد.

---

(١) العامليـــن هما البقرى ، وخميس - وكانت المحكمة برئاسة ضابط يدعى عبد المنعم آمين وأعادت تلك المحاكم للاذهان ما حدث فى دنشواى من عقد محكمة لمحاكمة الفلاحين ، وكان الفـــرق الوحيد فى المحكمتين أن فى دنشواى مات أحد الضباط الانجليز من ضربة شمس - وفى كفر الدوار لم يخرج الامر عن تظاهر وإشعال بعض الحرائق دون خسارة فى الارواح والفـــرق الـــثانى أن الاعـــدام نفـــذ فى القاهرة فى موضوع كفر الدوار دون أى احتجاج من التنظـــيمات النقابـــية العمالية على ذلك بالرغم من أن حق الاعتصام والاضراب للعمال حق معترف بة فى كل القوانين والاحتجاج الوحيد كان من التنظيمات العمالية من خارج مصر.

الإقطـــاع

كان في مصر ملكيات زراعية كبيرة تصل إلي عشرات الآلاف من الأفدنة وبجاورهـــا ملكـــيات زراعية أقل متدرجة تنازلياً حتى تصل إلي الفدان الواحد، ونصف الفدان بل والقراريط، وتميز الفلاح المصري بأنه يملك داره التي يسكنها سواء كانت كبيرة وكريمة أو تهبط مع المعدمين إلي مستويات أقل حتى مستوي العشـــش - وما أريد أن أوضحه هنا أن الإقطاع بالمعني السائد في أوروبا في العصور الوسطي وقبل قيام الثورة الفرنسية وبأن الإقطاعي كان يملك الأرض، ومـــن عليها من مباني وبشر كما صور في (أدب شكسبير) وأن بعض هؤلاء كـــان يعطي لنفسه حق الليلة الأولي مع عروس الفلاح في أرضه عند زواجه - أقـــول بضـــمير مســـتريح هذا الشكل من الإقطاع لم تعرفه مصر في عصرها الحديـــث علـــي الإطلاق، ولم يعرف الريف المصري الحقد بين صغار وكبار الملاك إلا بعد الإصلاح الزراعي - والذي جعل القيمة الإيجارية للفدان الواحد سـبعة أمـــثال الضريبة فإذا كان متوسط الضريبة العقارية علي الفدان في عام ١٩٥٢ أربعـــة جنيهات في أجود أراضي تكون القمية الإيجارية ٢٨ ج بدلاً من ١٠٠ ج، اما قيمة الفدان نفسه فأصبحت عشرة أمثال الضريبة أي ٢٨٠ ج فقط بدلاً من ١٠٠٠ ج أو أكثر.

وأصـــبحت العقـــود الإيجاريـــة دائمة يتوارثها الأبناء والأحفاد - وأصبح المـــزارعون أو واضـــعي اليد هم الملاك الحقيقيون للأرض، وبالطبع انهارت الكثـــير من الأسر: والتي كانت لها مساحات من الأرض في حدود عشرة أفدنة وأقـــل - وكانـــت تعتمد علي دخلها من القيمة الإيجارية ولذلك كانت مستويات المعيشة كريمة لمن يملك فدانين من الأرض أو ثلاثة من ريعها الذي فقدته تلك الأسر في ظل قانون الإصلاح الزراعي- وكان مجرد رفع الصوت ضد الفلاح المســـتأجر يعتبر ذلك السلوك معاد لنظام الحكم، والثورة - ولذلك كان البعض يتمني في مرارة التنازل عن أرضه للفلاح - ويتحول هو لمستأجر واستمر هذا الوضع الشاذ حتى التسعينيات وصدور قانون جديد للعلاقة بين المالك والمستأجر وعادت العلاقة مرة أخري بينهما تعاقدية برضاء طرفي التعاقد.

ويحكـــي لي صديق كان يملك عشرة أفدنة في إحدي قري المنوفية آلت إليه عـــن طريق الميراث قابلته بمحض الصدفة في رحاب سيدنا الحسين رضي الله

عـــنه، وجلســنا لشرب الشاي في أحد مقاهي الحي العريق فرأيته حزيناً شارداً فســألته عن سبب شروده قال " تصور إنني طردت من أرضي في البلد – فقلت كــيف حــدث ذلــك ؟ قال كنت في زيارة للقرية لأداء واجب العزاء في إحدي قريباتـــي.. وبعــد تشييع الجنازة كان بي شوق شديد لرؤية أرضي ذهبت إليها وفجــأة. وأنا واقف في ظل إحدي أشجار الأرض رآني المستأجر الذي لم يُسلم علـــيّ ولم يرحب بي ولكن سألني بقوة وغلظة وقال أنت واقف هنا بتعمل إيه. قلت أنا واقف في أرضي.. قال حا تمشي من هنا وإلا أبعث لجمال عبد الناصر يطـــردك. قلـــت علـــي الفور لا أمشي أحسن وكان الرجل يحكي والدموع تملأ عينيه.

وعرفت بعد ذلك أنه باع الأرض لمستأجرها وبشروطه وانقطعت بهذا البيع الصلة بينه وبين أرضه، وأرض آباءه وأجداده.

وســـوف ألخـــص هـــنا مقال للدكتور عبد المنعم عثمان عضو الهيئة العليا لحـــزب الوفـــد يشرح فيه كيف تم استصلاح ٢ مليون فدان في عهد الوفد وهي إحدي صور نشأة بعض الملكيات الكبيرة. يقول سيادته:

١. الأراضي الزراعية المنتجة ما قبل عام ١٩٣٠ كان مقدارها أربعة ملايين فدان – أصبحت في عام ١٩٥٢ ستة ملايين فدان.
٢. قـــام المـــرحوم المهندس عثمان باشا محرم في عهد وزارة الوفد الأولي ١٩٢٤ بالـــبدء فـــي استصلاح ٢ مليون فدان بشمال الدلتا وغرب بحيرة المـــنزلة عـــن طريق سد المنافذ التي تدخل منها مياه البحر علي الطريق الســـاحلي من رأس البر – جمصة – بلطيم – برج البرلس – حتي فرع رشيد– وكذلك تم سد منافذ بحيرة المنزلة الغربية والقبلية.

تـــم إنشاء ١٣ مصرف ومحطات طلمبات كهربائية لكل مصرف وكانت تلـــك الطلمبات تدار بالكهرباء من محطتي بلقاس والعطف وبذلك تم نزح المياه التي كانت تغطي شمال وشرق وغرب ووسط الدلتا.

٣. تـــم حفر عدد ١٣ ترعة حلوة علي فرعي النيل وكذلك عدد ١٣ مصرفاً، وكـــان ما تم حفره من الأراضي للمصارف وفروعها، والترع وفروعها بطول ٢٦٠٠ كيلو متر بالأيدي المصرية – وهكذا تم استصلاح ٢ مليون فدان بوسط وشرق وغرب الدلتا وهي:

أ- أرض وســـط الدلتا يحدها جنوباً خط طلخا سمنود المحلة طنطا بسيون كفر الزيات وشمالاً البحر الأبيض وبحيرة البرلس ورأس

البر وبلطيم ونهاية فرع رشيد وتشمل هذه الأراضي (السنانية – كفــر البطــيخ – كفر سعد – شربين – بلقاس وبيلا – الحامول مركــز ســمنود وشمال طنطا وبسيون وقطور وجميع أراضي محافظة كفر الشيخ / مديرية الفؤادية سابقاً).

ب- جمــيع الأراضي غرب شط بحيرة المنزلة في دمياط والسرو وفارســكور والــزرقا، والمطرية، والمنزلة، والجمالية، ومنية النصــر، ودكــرنس، وبنــي عبيد، وطناح وتلبانة وشاوه وأجا والسنبلاوين وشرق وكفر صقر، وفاقوس، وصان الحجر شمال الحسينية.

ج- جمــيع أراضــي شمال محافظة البحيرة وحول بحيرتي إدكو ومريوط.

وعندما انتهي المرحوم عثمان باشا محرم من أعمال البنية الأساسية واستصلاح تلك المساحات والتي بلغت (٢) مليون فدان جــاء المســتثمرون المصريون وبعض الأجانب من اليونانيين والشوام والعائلة المالكة وقاموا باستصلاح وتسوية هذه الأراضي التــي كانــت بركاً ومستنقعات وتلالاً مليئة بالحشائش والبوص وحولوهــا إلــي أراضــي مــن أجود التربة أصلها طمي النيل المترسب علي مر السنين.

استصــلح الأمير عمر طوسون ٨٥٠٠٠ فدان بمركز طلخا تفتــيش دمــيرة وكفر دميرة، وكفر الفولي، والروضة، وكتامة، وبساط وكفر بساط. واستصلحت عائلة البدراوي حوالي ٥٠٠٠٠ فدان بمركز طلخا، ونبروه وكذلك كلا من المستثمرين، سرسق، وكنج، والكونت صعب، والبدري، والعلايلي، وجندي عبد الملك، والطويل، واللوزي، ورشدي عبد الملك، وبطرس غالي، وعطا الله، والملك فاروق استصلاح بكفر سعد ٢٠٠٠٠٠ فدان وزعها علي صغار الفلاحين النازحين من المنوفية – أما الملك فؤاد فقد استصــلح جمــيع أراضــي محافظة كفر الشيخ وسماها مديرية الفؤاديــة وغيرهم كثيرين من الرأسمالية الوطنية الشريفة ويقول سيادته بأنه عاجز عن ذكر باقي الأسماء.

ثم يقول:

ولكـن بعد أن تعب هؤلاء الشرفاء في إصلاح هذه الأراضي وإنشاء جميع القري بشمال الدلتا والشرقية والدقهلية ودمياط والبحيرة، وكانت عجلة الإصلاح سائرة دون توقف لإصلاح ما تبقي من الأرض بأرض صحراء الشرقية، وغرب محافظـة البحيرة حدث في سنة ١٩٥٢ انقلاب عبد الناصر، واستولي علي هذه الأراضـي وأهـان أصـحابها بدلا من أن يشجعهم ويشكرهم علي جهدهم في استصـلاح وزراعـة ٢ مليون فدان بعد أن كانت بركاً ومستنقعات، ومنذ هذه الكارثـة التي حلت كالصاعقة علي المستثمرين توقف الإصلاح وأخذت الأرض تـبور وتوقفـت كذلـك عجلة التعمير، وتقلصت الأرض الزراعية بمقدار واحد ونصـف ملـيون فدان وذلك منذ قيام النظام الدكتاتوري الانقلابي بإنشاء الطرق والمباني والمصانع والتي انهارت قبل أن تعيش عمرها الافتراضي – وهكذا ففي عهد ما قبل الثورة استصلح الوفد ٢ مليون فدان بدءاً من سنة ١٩٢٧ حتي يوليو ١٩٥٢ – أمـا فـي عهـد الـثورة فقدت الأراضي ١,٥ مليون فدان واصبحت الأراضي المزروعة ٤,٥ مليون فدان.

وواجهت حكومة نجيب محاولتين للانقلاب - الأولي لعدد من ضباط الفرسان والأخري عرفت بحركة ضباط المدفعية - وتم محاكمة المتآمرين[1] - وبدأ نجيب يسيطر علي زمام الأمور تماماً - ومع أن تلك الوزارة كان معظم وزراءها مدنيين إلا أنه أبتدع نظام قمة في غرابته ألا وهو قيام الضباط أعضاء مجلس القيادة بتوزيع أنفسهم علي الوزارات بغرض متابعة أعمالها - ومن الغريب أيضاً أن الوزراء قبلوا هذا الوضع، وتعايشوا معه - وكان وزير المعارف د. إسماعيل القباني - وهو من جيل الرواد في الحقل التعليمي - وله أيادي بيضاء في إنشاء ما أطلق عليه المدارس النموذجية، والتي أنشأت لتنافس المدارس الأجنبية وعلي الرغم من كفاءته ونزاهة هذا الوزير إلا أن جميع العاملين بالحقل التعليمي - وكذلك الطلاب وباقي أفراد الشعب كانوا يشعرون بحزن وأسف علي غياب د.طه حسين وزير معارف حكومة الوفد، ولذلك فقد كانت المقارنة باستمرار في صفه، وذلك لتغييرات كثيرة أُدخلت في نظام التعليم وقد يكون د.إسماعيل القباني غير مسئول عنها وفرضت عليها لكنها بدون شك حسبت عليه منها:

١. تم إلغاء الوجبة الغذائية الساخنة لجميع طلاب المدارس الثانوية والإبتدائية- واستبدلت بأخري جافة.

٢. عودة اليوم المدرسي الكامل الذي تنتهي الدراسة فيه الساعة ٣,٣٠ بعد العصر - والنظام الملغي كان اليوم المدرسي ينتهي الساعة ١,٣٠ - ثم يتناول الطلاب وجبة الغذاء بمطعم المدرسة ومنه للشارع. وقد يتصور البعض أن إطالة اليوم المدرسي كان لصالح العملية التعليمية، والحقيقة أن هذه الإطالة تمت عن طريق فسحة بعد إنتهاء الحصة الخامسة مدتها ساعتين - ثم تستأنف الدراسة حصة واحدة وبعدها يكون الانصراف، وقد قوبل ذلك النظام بمعارضة شديدة من الجميع بما في ذلك الصحافة التي وصفته بأنه يهدر وقت الطلاب، ولا يستفيد منه غير الشركات المنتجة للأسبرين ولكن الهدف غير المعلن كان هو إبعاد الطلاب عن العمل بالسياسة من خلال التجمعات الحزبية داخل المدارس وخارجها - وقابل الطلاب نظام اليوم الكامل بالرفض، والتحدي، وذلك

(١) جماعة الفرسان كان يقودها ضابط اسمه حسن الدمنهوري - وجماعة المدفعية حوكم معهم رشاد مهنا - الذي سبق تعيينه من أيام عضوا بمجلس الوصاية علي الأمير أحمد فؤاد.

بالتجمهر أمام المدارس عند سماع جرس أنتهاء الفسحة وعدم الصعود للفصول ثم الانصراف بعد انتهاء اليوم الدراسي بعد الحصة السادسة – وفشل التهديد والوعيد مع الطلبة لمنعهم من الاعتصام أمام أبواب المدارس ومضي أسبوع، وآخر وبدأت عزيمة الرافضيين لنظام اليوم الكامل تضعف شيئاً فشيئاً، وبدأ عددهم يتناقص يوماً بعد يوم وفرض النظام الجديد نفسه علي الجميع[1].

وبدون شك كان فكرة نظام اليوم الكامل من أكبر أسباب ابتعاد الطلاب عن المشاركة في العمل السياسي وحقق هذا النظام الهدف منه– وتلاشت المشاركة السياسية للطلاب في العمل السياسي بالفعل حتى انتهت تماماً بعد أحداث مارس ١٩٥٤ وأصبحت جزءاً من التاريخ السياسي لمصر.

(١) كان هتاف الطلبة المعتصمون هو – اليوم الكامل نظام فاشل.

ودخل عدد من الضباط الوزراة وهم في الثلاثينات من العمر وهم البكباشي جمـــال عـــبد الناصـــر نائباً لرئيس الوزراء ووزير الداخلية، وقائد الجناح عبد اللطـــيف البغدادي وزيراً للحربية، وصلاح سالم وزيراً للإرشاد القومي[1]. وتم ترقـــية الصاغ عبد الحكيم عامر لرتبة لواء وأصبح القائد العام للقوات المسلحة بدلاً من نجيب – وبعد ذلك بدأ دخول ضباط آخرين في الوزارة الثانية[2]. وكان أول هـــؤلاء الصـــاغ كمال الدين حسين الذي عين وزيراً للمعارف بعد أن تغير اســـمها وأصـــبح وزارة التربية والتعليم – وعُين قائد الجناح جمال سالم وزيراً للمواصلات– والبكباشي حسين الشافعي وزيراً للشئون الاجتماعية.

ومن تلك الفترة ترددت شائعة كبيرة جداً في جميع أنحاء الدولة تؤكد قرب عودة الملك فاروق لعرشه، ولم تكن تلك الشائعة من فراغ فقد سبق، وحدث نفس الشيء في إيران بعد الإطاحة بحكومة الدكتور محمد مصدق الوطنية عن طريق انقلاب عسكري قاده الجنرال زاهدي، وأعيد الشاه مرة أخري لعرش الأكاسرة، وفـــي خضم الحديث عن أحداث إيران تم الإعلان في مؤتمر جماهيري بميدان عابدين عن اكتشاف مؤامرة كبييرة لقلب نظام الحكم في مصر،وتكلم نجيب عن ذلـــك قـــائلاً " إحنا من يومين مسكنا كبشة صراصير بتدخل السفارات الأجنبية باللـــيل– ثم تساءل بيخشوا بالليل يعملوا أيه.. ثم قال هل هناك مراجيح " وعلي الفـــور أعلن عن تشكيل محكمة الثورة لمحاكمة المتآمرين من كلا من البغدادي وأنـــور السادات وحسن إبراهيم وقدم للمحاكمة كلا من إبراهيم باشا عبد الهادي وصدر ضده الحكم بالإعدام ثم خفف للأشغال الشاقة المؤبدة، وحكم علي إبراهيم

---

(١) وزارة أنشـــأتها الـــثورة – وهي الآن الإعلام – وهذه الوزراة لا وجود لها في كل الدول الديمقراطـــية ، وكـــان المقصود منها السيطرة علي الرأي العام وتوجيهته وقام الصاغ صلاح بذلـــك الواجـــب خير قيام – فأصبح الإرسال الإذاعي خلال الـــ ٢٤ ساعة – معظمها لخطب نجيـــب ومن بعده جمال. وبدأ التركيز من خلال الإذاعة علي تضخيم سلبيات ما قبل ١٩٥٢. والتبشـــير بالآمال العريضة في الحرية والتحرير والتصنيع – واستزراع الصحراء – وعندما اختلف الثوار مع بعضهم البعض استخدمت الإذاعة في الضغط علي نجيب بمنع إذاعة خطبة أو الإشارة لتحركاته حتي تم عزله كما سيرد فيما بعد وبإختصار يمكن القول أن هذه الوزراة في كل عصورها عبراة عن جهاز إعلان ودعاية للحكومة.

(٢) تشـــكلت الـــورزاة الثانية بعد إعلان النظام الجمهوري في ١٨ يونيه ١٩٥٣ – وترك عبد الناصر وزارة الداخلية للبكباشي زكريا محيي الدين وفي مرحلة لاحقة ترك البغدادي الحربية – وأصبح وزيراً للشئون البلدية والقروية.

باشــا فــرج الشخصية الثانية في حزب الوفد بحكم مماثل وقدم فؤاد باشا سراج الديــن بعد ذلك للمحاكمة – وقال له رئيس المحكمة نحن نحاكم حزب الوفد في شخصــك- وأجاب الباشا وأنا أقبل ولم تستطع المحكمة إدانته لدرجة أنه قال له ريــس المحكمــة نحن لا نشك في نزاهتك وقال الباشا المتهم ربما يكون لممثل الإدعــاء رأي آخــر، وقال ممثل الإدعاء لا – نحن نعلم بأنك حاربت الإنجليز وكنت بتصرف علي الحزب من جيبك الخاص – قال الباشا المتهم الحمد لله ومع ذلك صدر الحكم ضده بالسجن ١٥ عاماً.

وتقبل الرجل الحكم صامتاً في شموخ مردداً كلمتي لا حول الله ولا قوة إلا بالله ويقول أيضاً بصوت مسموع، والجنود يقتادونه للسجن الأمر لله من قبل ومن بعد.

وبالــرغم مــن أن جمــيع القرارات المكبلة للحريات وهي إلغاء الدستور وفــرض الــرقابة علــي الصحف – إلغاء الأحزاب كان الهدف منها أن تكون لمجلــس الــثورة ســلطة الســيادة – أما التشريع فكان سُلطة ما سمي بالمؤتمر المشــترك[1]. وحــددت فترة انتقالية مدتها لاثلا سنوات – أقول، هذه القرارات والتــي لــم يكن لها إلا معني واحد ألا وهو الدكتاتورية صدرت بتصديق محمد نجيب، واعتماده – وبها أصبحت البلد تُحكم حكم عسكري مباشر – ومن الغريب أن الشــعب لم يتخذ موقفاً من محمد نجيب كما كان من المفروض أن يكون ولا يوجد تفسير لذلك إلا للبساطة المطلقة له في الحديث أثناء جولاته الميدانية والثقة الغير محدودة في شخصه – وسبحان الله ولم ينتهي عام ١٩٥٤ حتى كان نجيب نفسه ضحية لتلك القرارات الاستبدادية والتي صدرت بتصديقه.

---

(١) المقصود مجلس الثورة + مجلس الوزراء ومن الناحية الفعلية كانت السُلطة بالكامل في يد الضباط أعضاء مجلس الثورة.

١. استدراك - التعليم

- كـــان التعليم الثانوي مدته خمس سنوات بعد الشهادة الإبتدائية منها ثلاث ســـنوات نقل أي يمتحن الطالب بالمدرسة، والسنتين الأخريتين شهادتان هما الـــثقافة وأسمها الرسمي الثانوية العامة، والتوجيهية وأسمها الرسمي الثانوية الخاصة، وهي ثلاث شعب العلوم – الرياضة – الآداب.

- فـــي العـــام الدراســـي ١٩٥٢ – ١٩٥٣ أي العام الأول للثورة فوجيء الجميع بالإعلان عن شهادة عامة ثالثة للسنة الثانية الثانوي أسمها الإعدادية وفـــي نفـــس الوقت كان هذا العام هو آخر سنين شهادة الإبتدائية القديمة – وحتى لا يكون هناك خلط فأول إعدادية "١٩٥٣" كانت مناهجها وامتحاناتها علي نفس منوال امتحانات الشهادات العامة الأخري، وهي الإبتدائية، والثقافة والتوجيهي.

وبتوضيح أكثر كان الطالب يُمتحن في اللغات تحريرياً، وشفاهة وعلي ذلك فقد أدي طلاب الإعدادية الأولي إمتحاناً تحريرياً – وشفهياً في اللغة العربية – واللغـــة الإنجلـــيزية – واللغة الفرنسية، وكان الهدف من الإعدادية سياسياً أيضاً وهـــو شـــغل الطلاب بالدراسة عن العمل السياسي فالاستعداد لأداء امتحان في شهادة عامة يختلف عن الاستعداد لامتحانات النقل بالمدارس وأيضاً تحقق الهدف

وفي العام الدراسي التالي ألغيت الإبتدائية القديمة ذات التاريخ الكبير – كما ألغيت اللغة الفرنسية من الإعدادية ومعها الاختبارات الشفهية أيضاً والتي كانت أساســـية في امتحان جميع الشهادات وأُلغي أيضاً نظام الوجبات الغذائية بالكامل بالمدارس الثانوية.

كانـــت اللغات هي إحدي مشاكل الثانوية العامة، وفي سبيل الحصول علي شـــعبية قـــام نظام الحكم اعتباراً من دفعة ١٩٥٧ بدمج اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية، ويعتبر الطالب ناجحاً بحصوله علي ٢٥ % من مجموع المادتين، علي أن يـــؤدي امتحان إعادة في اللغات بالكلية التي سيلتحق بها – إلي هذا الحد كان الاستهتار بالتعليم وعن طريق هذا الباب التحق بالجامعات من لا يستحق ومن لا يستطيع التعبير عن نفسه بأي من اللغتين أما امتحان اللغات الذي بداخل الكليات فأصبح تحصيل حاصل يُسمح بالغش فيه ولا تصحح أوراقه، كما تم إلغاء شرط المجموع من النجاح بنسبة ٥٠% من المجموع الكلي، وأصبح ٤٠% فقط.

وفـــي وزارة د.محمـــد حلمـــي مراد حينما عين وزيراً للتعليم بعد الهزيمة وبعدما أسموه بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ – حاول الرجل إلغاء نظام الناجح الراسب هذا لكنه لم يُعمر كثيراً في الوزارة وتمت إقالته.

وفـــي مراحل لاحقة تم إلغاء الفرنسية من الثانوي وكانت وجهة النظر غير المعلـــنة هي " لما التلاميذ تنجح تكون البيوت مبسوطة ويكون هناك رضاء علي نظام الحكم ط بعد هزيمة ١٩٦٧، ومصائب اليمن وأصبحت الثانوية العامة بلغة أجنبـــية واحدة ويُعتبر الطالب ناجح راسب في حالة حصوله علي أي نسبة من المجمـــوع الكلي لدرجات المادة وأشهد الله إنني رأيت بنفسي في استمارة إحدي الآنســـات في بلدتي حيث أرسلت أوراقها لي بالقاهرة حتى أقدمها لمكتب تنسيق الجامعـــات بأن درجات المذكورة في اللغة الإنجليزية كانت خمسة من أربعين – وقبلت الطالبة بالجامعة وتخرجت معلمة والآن هي من قايدات التربية والتعليم.

كـــان هـــناك اســـتثناء لدخـــول الجامعات دون شرط المجموع لأبناء هيئة الـــتدريس بالجامعـــات ثـــم المدارس الثانوية – وأبناء المناطق النائية وبعد ذلك يتساءلون عن أسباب تدهور التعليم وانحطاط مستوي الخريجين – وكل ذلك كان يحـــدث علـــي مدي نصف قرن تحت شعار دائم، ومستمر يطلقون عليه تطوير التعليم – وينعتون نظام التعليم ما قبل ١٩٥٢ بنظام الخواجة دنلوب[1] ولا نملك غـــير قول لا حول ولا قوة إلا بالله وفي الستينات تسرب امتحان الثانوية العامة فـــي جمـــيع المواد، وقيل أن إذاعة إسرائيل كانت تذيع أسئلة امتحانات المادة – ومعهـــا الإجابـــات النموذجية مما حدي بالحكومة بإصدار قرار بإلغاء امتحانات الثانوية العامة التي تسربت، وأعيد الامتحان مرة أخري.

ولا شـــك أن هذه الحادثة مسجلة بالتفصيل بسجلات وزارة التربية والتعليم لذلـــك العام الذي لا أذكره تحديداً – وبالطبع كان هناك كبش فداء هو أحد عمال الطباعة بالمطبعة السرية، والذي أعلن وقتها أنه يقوم بطبع نسخة من كل امتحان علي فنلته الداخلية.

كانـــت الإجراءات المكبلة للحريات، والتي أصدرها النظام الجديد محل أخذ ورد فـــي الجلسات الخاصة بين المثقفين وداخل الصالونات أما بالنسبة للأغلبية التي كانت مفتونة بالبساطة الخطابية لنجيب. فكانت بلا أي أثر، وقد ساعد علي ذلك جهاز الإعلام الثوري بقيادة الصاغ صلاح سالم وزير الإرشاد القومي، الذي

---

(١) مستشار وزارة المعارف.

كان علي رأس ذلك الجهاز وكان الإرسال الإذاعي المستمر خلال الـ ٢٤ ساعة والصحف المعبرة عن النظام مثل الجمهورية والشعب[١]. ومجلة التحرير الأسبوعية وكان هذا الجهاز يبالغ في نشر فظائع ما أسوه عهد الإقطاع وأصبح الناس ينظرون للثوار بصفتهم المخلصين والذين بعثت بهم العناية الإلهية

ومن هنا حجبت عن الشعب الخلافات بين الثوار وبعضهم البعض أما خلافات الثوار ونجيب الرئيس المحبوب فكانت محصورة داخل مبني مجلس قيادة الثورة بالجزيرة علي شاطيء النيل وفي إحدي أمسيات الحاج عبد الله مع أصدقاءه كان الحوار التالي:

الحاج عبد الله : عرفتم أخر أخبار السودان.

الحاج حسن : خير إن شاء الله

الحاج عبد الله: أبو نجيب الله يعمر بيته خلص موضوع السودان. ثم أضاف يعني الإنجليز خلاص حيسيبوا السودان ويغوروا في ستين داهية.

الحاج حسن : إزاي ؟؟؟

الحاج عبد الله : محمد نجيب وقع معاهدة للجلاء عن السودان بعد ٣ سنوات ثم أضاف: بيقولوا إنها فترة انتقالية يتم فيها حاجة اسمها السودنة ثم قال وأنا ما كنتش فاهم يعني إيه السودنة لكن موسي أبني شرحها لي ومعناها إن مهندسين الري الإنجليز الموجودين في السودان يتركوه في مدة أقصاها ٣ سنوات - وكذلك أي موظف أو مستشار إنجليزي علي أن يحل محلهم سودانيين والشغلانة ده اسمها السودنة للوظائف.

الحاج حسن : وإن شاء الله بعد ثلاث سنوات يصبح مصر والسودان بلد واحد ما هو فاروق كان اسمه ملك مصر والسودان.

الشيخ عبد العاطي : يتدخل في الحديث قائلاً: موش حايحصل أبداً

الحاضرون : إيه هو اللي موش حيحصل يا شيخنا.

الشيخ عبد العاطي : إن مصر والسودان تبقي بلد واحد.

---

(١) الجريدة التي أنشأت علي أنقاض المصري بعد مصادرة أملاك أسرة أبو الفتح

الجمـــيع : غريــبة وإيه التشاؤم ده ماهي من أيام سعد باشا إحنا عارفين كده – وسعد زغلول قال تقطع يدي ولا أفرط في السودان ".

الشيخ عبد العاطي : بثقة كل هذا صحيح لكن اتفاق نجيب مع الإنجليز كان علـــي أســـاس الانســـحاب لكلا من الجيشين المصري والجيش الإنجليزي وبعدين يكون فيه استفتاء علي تقرير المصير في السودان وفيه يكون إما الوحدة مع مصر أو الاستقلال.

الحاج عبد الله : معني كلامك أن السودان يصبح بلد، ومصر بلد.

الشيخ عبد العاطي : بالضبط وهو ده الاتفاق[1].

الحاج حسن محتجاً : أنا باستغرب إزاي نجيب ينهي موضوع السودان قبل ما يخلص موضوع مصر ؟

الحاج عبد الله : يا أخوانا الإنجليز موش حايخدوا غلوة مع نجيب – أنتوا ما سمعتوش خطبته لما هم اللي قطعوا مفاوضات الجلاء – الراجل كان زي الأسد وقال " إننا نشكر إنجلترا نفسها إننا لا نريد استقلالاً رخيصاً بل نريده بالدم الساخن المتدفق ".

ويستطرد الرجل بطيبة قلب ويقول " بريطانيا كلها اترجت من الخطبة دي – وبلاش ده خلينا يوم العسكري الأنجلـــيزي اللي إسمه فستنج[2]. واللي اختفي وراح في ستين داهية يومها الأنجليز أعطونا مهلة ١٢ ساعة إذا ما

---

(١) واختار السودان الاستقلال ورفض الوحدة مع مصر ، بسبب استخفاف الصاغ صلاح سالم المشـــرف علـــي شءون السودان بالقيادات السودانية والاعتماد علي الرشاوي ومحاولة شراء الذمم – والعري والرقص مع أبناء الجنوب علي أمل استمالتهم لمصر بهذا الأسلوب الساذج.

(٢) فســـتنج هو أحد قوات الاحتلال الذين كانوا متواجدين في إحدي معسكراتهم بالإسماعيلية، وقـــد اختفـــي هذا الجندي وتغيب عن العودة لوحدته – وأغلب الظن أن أختفاءه كان علي أثر عملـــية فدائـــية – حيث كان النظام الثوري يدخل مع الإنجليز في مفاوضات للجلاء – فإذا ما تعـــثرت المفاوضـــات – يـــتم الضغط عليهم بعمليات فدائية محدودة ومخططة دون إعلان – وحيـــنما اختفي ذلك الجندي هدد الإنجليز بعمل عسكري ضد مصر في حالة عدم ظهوره ولم يوضع ذلك التهديد موضع التنفيذ.

ظهــرش العســكري يبقي فيه كلام تاني، وينفعل الرجل المؤمــن بالــثورة لأبعد الحدود ويقول وبعدين إيه اللي حصــل.. انتهـت مدة الإنذار - وحطوا في بقهم جزمة قديمة ومقدروش يعملوا أي حاجة مع أبو نجيب.

الحاج حسن : أنا سامع أن محمد نجيب في عيد الثورة اللي جاي حيكون طــرد الإنجليز - واللي بعده إن شاء الله حنشن الحرب علي اليهود الكفرة دول ونأخذ بثأرنا وثأر فلسطين.

وهكذا كانت ثقة الشعب في النظام الجديد.

ولعب التنظيم السياسي الوحيد والذي أنشأته الثورة تحت اسم هيئة التحرير دوراً أساسي في تعميق تلك المفاهيم، وكان لذلك التنظيم شعارين الأول كلنا هيئة الــتحرير - والثاني الاتحاد، النظام، والعمل وافتتح التنظيم له مقرات في كافة أنحــاء القطر أو الجمهورية بعد إعلانها، وكان نجيب يحرص علي افتتاح تلك المقــارات بنفســه، وفي أحياناً أخري كان ينوب عنه زملاءه في مجلس القيادة وأسبوعياً بعد انتهاء صلاة الجمعة بالمساجد - كان مندوب هيئة التحرير يطلب مــن المصلين عدم الانصراف حتى تؤخذ البيعة لرئيس الجمهورية وذلك تشبيهاً بأيام الإسلام الأولي في عهد الخلفاء الراشدين، ومن بعدهم بني أمية ويتلو قسم مكتوب بورقة يحملها، ويردد المصلون وراءه، وذلك تدعيماً لرئيس الجمهورية، وإضفاء صفة الشرعية علي تعينه من قبل مجلس الثورة.

ولمــا كانت الساحة السياسية قد خلت تماماً بعد قرار حل الأحزاب باستثناء جماعــة الإخــوان المسلمين - فقد قوبل ظهور هيئة التحرير الثورية بفتور من ناحــية الأخوان - وشيئاً فشيئاً بدت ملامح الصراع بين التنظيمين تظهر وتطفو علــي السطح، وبدأ الاحتكاك اليومي بين أعضاء كل منهما بالمدارس الثانوية، والجامعــة - وفي أي مكان يوجد به مقر لهيئة التحرير - والذي أصبح منافساً قوياً لشعبية الإخوان[١] المسلمين بنفس الحي.

---

(١) كان للإخوان المسلمين مقارات يطلقون عليها اسم الشعب في معظم أحياء القاهرة والمدن- والمراكــز وكــان لتلك الشعب بالإضافة لنشر فكر الجماعة أدوار اجتماعية أخري مثل فتح دروس تقوية للطلاب بأسعار رمزية جداً أو بدون وفي بعض الأحيان عيادات أو مستوصفات طبية لتقديم خدماتها في المجال الطبي لسكان الحي بأجور رمزية.

ودعت الثورة شباب الجامعات – والمدارس للتدريب العسكري في التنظيم الثوري الجديد والذ أطلق عليه اسم الحرس الوطني – وافتتحت لذلك المعسكرات في كل أقسام القاهرة الثمانية – بالإضافة للتدريب والمدارس والجامعات – وكان الانضمام للحرس الوطني اختياري – ولبي الشباب المصري هذه الدعوة بإيجابية مدفوعاً بشعور غريزي للثأر من الإنجليز خاصة بعد انطفاء شعلة الجهاد بحريق القاهرة، لكن مع الأسف استغل هذا الشعور الوطني في أمور تخدم نظام الحكم حيث وجد الشباب المنضمين للحرس الوطني لغرض سامي أنفسهم أعضاء بهيئة التحرير تلقائياً لأن كلا التنظيمين سواء كان الحرس الوطني شبه العسكري أو هيئة التحرير السياسية يخرجان من منبع واحد هو النظام الثوري، ولذلك امتنع شباب الإخوان المسلمين عن الانضمام للحرس الوطني بل وأصبح كلا من الطرفين المتنافسين يشكك في جدية الآخر ومدي استعداده للتضحية وبدا لكل ذو بصيرة أن فترة الوفاق بين الثورة وجماعة الإخوان تلفظ آخر أنفاسها وأن الصدام قادم لا محالة وما أن أهل عام ١٩٥٤ حتى كان الصراع حاداً ومسموعاً – وفي الاحتفال بذكري الشهداء – وكما جرت العادة في الاحتفال بالمناسبة داخل المدارس والجامعات كان المتبع أن يذهب طلاب المدارس الثانوية للجامعة للاحتفال مع زملائهم الجامعيين بهذه المناسبة – وحدث ذلك بالفعل لكن بشكل جديد وعلي خلاف ما جرت به العادة في السنين السابقة فطلاب المدارس الذين دهبوا للجامعة لم يكونوا سوي أعضاء تنظيم ثوري آخر جديد شبه عسكري اسمه منظمات الشباب – وقد أنشيء التنظيم داخل المدارس الثانوية – وارتدي أعضاءه زياً عسكرياً يختلف عن الزي العسكري المعروف في أن غطاء الرأس كان علي النمط الفرنسي مثل كاب الجنرال ديجول، وأما الحذاء فقد كان بني اللون ومن النوع الفخم المعروف بالإنجليزي، وبطبيعة الأشياء كان ولاء هذا التنظيم للثورة– ومعاد للإخوان المسلمين، وكان يرأسه أحد ضباط الثورة وهو الصاغ وحيد رمضان، أما الحرس الوطني فكان تحت قيادة الصاغ كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم والمشرف علي ذلك التنظيم.

وعودة ليوم الاحتفال بذكري الشهداء – لم يكن شباب منظمات الشباب قد تسلموا زيهم العسكري بعد وذهبوا للجامعة بزيهم المدني ولكن في شكل طوابير نظامية تشكل مظاهرة قوة ضد شباب الإخوان المسلمين وتتقدم تلك الطوابير سيارة جيب من النوع الذي يستخدمه الجيش وبها ميكروفون ويقوم أحد رجالات

هيئة التحرير بقيادة طوابير هؤلاء وما أن اكتمل الحشد داخل الجامعة في المنطقة المحصورة بين كليتي الآداب والحقوق، ومبني رئاسة الجامعة – حتى تم تطويق طلاب منظمات الشباب من ثلاث جهات الشمال والجنوب والغرب، وقام بذلك طلاب الجامعة الذين هم أعضاء في جماعة الإخوان المسلمين.

ثم بدأ الضرب بالكرابيج السوداني علي حشود منظمات الشباب ودفعهم نحو أبواب الجامعة والشارع الخارجي – وكانت العملية معدة سلفاً – ومنظمة تنظيماً كبيرا – ونجحوا في إخراج طلبة المدارس للشارع في اندفاع كبير، وقوي وحدث هرج ومرج من شدة المفاجأة والضرب – وكان الجري في اتجاه المدرسة السعدية، وكذلك نحو حدائق الحيوان والأورمان. ولما رأي قائد المسيرة ذلك أخرج من سترته مسدس وبمجرد رفع يده به تم تعليقها وطاشت الطلقات في الهواء – وطرح الرجل أرضاً بعيداً عن السيارة التي أضرمت فيها النار.

ولا يفوتني أن أسجل وقوف رجل إيراني[١] علي منصة الخطابة يمسك بيده المصحف الشريف مردداً " الجرآن – الجرآن " وكان يقصد القرآن الكريم وفي مساء نفس اليوم صدر قرار مجلس قيادة الثورة بحل جماعة الإخوان المسلمين، وتساوت بهذا القرار مع باقي الأحزاب السياسية كما تم إلقاء القبض علي مدبري الشغب بالجامعة – وهكذا خلت الساحة تماماً من أي تنظيمات سياسية إلا من التنظيم الثوري الوحيد المسمي هيئة التحرير. ومن الطريف ذلك الحديث الصحفي الذي أجرته إحدي الصحف مع الرجل الإيراني واسمه نواب صفوي وقال فيه أنه يعرف سر القنبلة الذرية – وأخذ يشرح نظرية عن الذرة يعرفها طلاب المدارس الثانوية – ولما سأله الصحفي كيف عرفت ذلك السر ؟

قال الرجل : جاءني هاتف في منامي.

وسأله الصحفي: وماذا قال لك ؟

خذ الفراق فالبرقا	وشيئاً يُشبه الطلقا
إذا مزجته سحقا	ملكت الشرق والغرب

(١) حوكم هذا الرجل في إيران بعد انقلاب الجنرال زاهدي – مع رجلاً آخر اسمه آية الله الكشاني وتم إعدامهما، وكان أسمه نواب صفوى.

استقالة محمد نجيب وعودته

٢٥ فبراير ١٩٥٤

أذاع الـــراديو بنشرة السابعة صباحاً ما يلي " قرر مجلس قيادة الثورة قبول استقالة اللــواء محمد نجيب من جميع مناصبه - وعلى أن يتولى البكباشي جمـــال عـــبد الناصـــر رئاسة الجمهورية، ورئاسة مجلس الوزراء حتى يحقق أماني البلاد في إجلاء المحتل الغاصب عن بلادنا "

ووقـــع الخـــبر علـــى الجميع كالصاعقة - حتى بالنسبة لهؤلاء الذين كانوا يمـــاطلون فـــي الـــنهوض من الفراش وانتفضوا جميعاً- أما كبار السن فكانوا يضـــربون كفـــاً بكف مرددين كلمات لا حول ولا قوة إلا بالله - لقد انفرط عقد الثورة كان ذلك هو الشعور العام - وفي الطريق للجامعة التقي الصديقان موسى عبد الله، وعبد العزيز السوداني، وبادر عبد العزيز زميله قائلاً:

عبد العزيز : صباح الخير ياموسى - ثم أضاف مالك موش طبيعي.

موســـــــــى: أهـــلاً - وردا ساخراً يعني أنت اللي طبيعي وأضاف اليوم بايـــن من أوله البلد رايحة على فين ثم تسائل هل معقول ما أذاعـــه الـــراديو الواحد مش قادر يصدق ثم لفت نظر زميله لـــبعض الـــناس كـــانوا يتحلقون بجوار شاب يقرأ الخبر في جـــريدة صـــباحية وهـــو يقول محمد نجيب بكل حجمه يقدم اســـتقالته مـــن جميع مناصبه - والأكثر من ذلك قبول تلك الاستقالة.

عبد العزيز : فعلا شيء لا يصدق - وقال ماهو مجلس قيادة الثورة بيمارس كل سلطات السيادة في البلد، والخبر المذاع لم يُشر من قريب أو بعيد لأسباب الاستقالة، وواضح قوي أن صراع السلطة بدأ.

موســـــى : للأسف وبهذا الشكلِ يكون الإنجليز قاعدين مطمأنين في القنال ميـــت فـــل وعشرة - وإحنا كنا بنقول خطوة للأمام علشان الكفـــاح المُسلح يرجع تاني للأسف ندخل في صراعات على كرسي الحكم وسبحان المُنجي ثم قال: أنا شايف الموضوع ده موش حيعدي على خير أبداً.

عبد العزيز : مؤكدا على كلام زميله ويقول وأنا كمان ويكملان مسيرتهما للجامعـــة حيث كان الأساتذة والطلاب يتحلقون فى جماعات أمـــام مــبانى الكليات – وكان موضوع الاستقالة هو حديث الساعة.

ومـــن الغريب أنتظام الدراسة فى ذلك اليوم مع صمت وهدوء سيطرا على الجمـــيع لكنه كان الهدوء الممزوج بالدهشة والحذر – ومضي اليوم التالى وكان يوافق الجمعة – ونفس الهدوء – ولا حديث للناس إلا عن الثورة التى بدأت تأكل نفسها ، وفى اليوم الثالث تفجرت المظاهرات بالجامعات والمدارس وبين طوائف مخـــتلفة مـــن فـــئات الشـــعب – وفى الجامعات كان الهتاف للمرة الأولى ضد الدكـــتاتورية العســـكرية – والمطالـــبة بعـــودة الجـــيش لثكناته ووصلت بعض المظاهرات لميدان عابدين حيث مقر رئاسة الجمهورية وهى تهتف لا رئيس إلا نجيب – وبعد المغرب التقى الأصدقاء من كبار السن، وغيرهم من بعض سكان الحـــى عند الحاج عبد الله وكان يُلفت النظر كثرة المتواجدين والذين كان يصل عددهم لعشرة أشخاص وبالطبع كان المكان يتسع للجميع الذين جلسوا مع ترحيب الحـــاج عـــبد الله بهم فى صمت قطعه الحاج عبد الله بنفسه بقوله: ماتوحدوا الله أمـــال – وســـمعونا كده الصلاة على النبى ورد الحاضرين جميعا عليه الصلاة والســـلام – ثـــم نادى الحاج قائلاً الشاى بسرعة، وحياة أبوك، وافتح لنا الراديو كمـــان يمكـــن نسمع حاجة يكون فيها الفرج – وكان الإحساس الغريزى للرجل الطيـــب فى محله فسبحان الله ففى نفس هذه اللحظة يذيع الراديو: جاءنا الآن ما يلـــى: "حرصـــنا على وحدة البلاد – قرر مجلس قيادة الثورة عودة اللواء محمد نجيب رئيساً للجمهورية – وعرض الأمر على سيادته ووافق على ذلك."

ولـــم يتمالك الحاضرين أنفسهم – وصاح أحدهم الله أكبر جاء الحق وزهق الـــباطل وقـــاموا بعضهم البعض يتعانقون، وبكى منهم من بكى.. وصاح الحاج عـــبدالله بصوت تخنقه العبرات ياعلام... ياعلام ويرد علام أنا هنا ياحاج يقول الـــرجل افتح دلوقتى على طول دستة زجاجات شربات إسقى الشارع كله ثم قال الحمد لله، ويرد علام موش أقبل ما أرقص، وأسرع للشارع وفى يده عصا ويبدأ فـــى الـــرقص، والـــناس تتحلق حوله وتصفق له، كما شاركت فى الفرح بعض السيدات بالزغاريد، وأمضت مصر كلها ليلة من أجمل لياليها بالتآم الشمل الذى قطـــع علـــى الإنجليز شماتتهم فى الثورة – وهكذا كان تصور الناس الذين عبر بعضـــهم عن ما حدث بأنها عين وحسد ولكن ربنا سليم، أما البعض الآخر من

ذوى البصيرة فكانوا غير مطمأنين كما كانوا يتوجسون شراً، وأحداث جساماً فى الطريق.

ومــــع الســـاعات الأولى من صباح اليوم التالى الموافق ١٩٥٤/٢/٢٨ كان مـــيدان عابدين يضج بالمتظاهرين من كل التيارات السياسية وعلى رأسها تيار الإخوان المسلمين – وكانت الهتافات كما يلى:

عدو نجيب عدو الشعب   حيا الله نجيب الصالح

لا نكتفي برئاسة الجمهورية(١)

أمــــا الطلاب السودانيون فكان هتافهم – عاش نجيب رمز الوحدة – لا اتحاد بغير نجيب(٢).

وخــــرج نجيــــب لشـــرفة القصـــــر الملكى سابقاً، ومقر الرئاسة الآن بزيه العســـكرى المهيب – وبمجرد أن لمحته الجماهير كان هتافها لعنان السماء وهم يلوحون بأيديهم – وكان يقف إلى جواره أحد قادة الإخوان المسلمين هو المرحوم عبد القادر عودة وخطب نجيب فى تلك الحشود قائلاً:

" أنــــني لا أطمع في جاه أو سلطان – ولكني أطمع في شيء واحد هو أن أسقط شهيداً في معركة التحرير ".

ولم تتصرف الجماهير بعد انتهاء نجيب من إلقاء الخطاب إلا بعد أن طلب مـــنهم المرحوم عبد القادر عودة الانصراف – والغريب أن هذا الأمر نفذ على الفور بشكل أذهل الجميع وأصبح واضحاً أن معظم ذلك الحشد كان من الإخوان المسلمين والذى لا يمكن أن يكون مصادفة وذلك على الرغم من أن الجماعة من الناحـــية الشكلية تعتبر منتهية بعد صدور قرار حلها – المهم أن من يهمة الأمر وصلته رسالة مضمونها أن الإخوان ما زالوا بقوتهم رغم قرار الحل.

وعــــاد محمـــد نجيـــب رئيساً – ولكنه لم يصبح نجم أجهزة الإعلام صحافة وراديو وأصبح ظهوره متواضعاً للغاية – وفى أول مارس أصدر مجلس الثوار قرارات عرفت باسم قرارات ٥ مارس وملخصها:

---

(١) قبل الاستقالة كان نجيب رئيساً للجمهورية ورئيس مجلس الوزراء وأعيد رئيساً للجمهورية فقط.

(٢) كان نجيب من أم سودانية وكان السودانيون يرونة رمزا للوحدة بين مصر والسودان.

- إلغاء الأحكام العرفية.
- الإعـلان عـن انـتخابات جمعية تأسيسة خلال أربع شهور تناقش تلك الجمعـية مـواد الدستور الجديد والذى كان يجرى وضعه بمعرفة لجنة فقهاء القانون ويرأسها القانونى د. السنهورى.
- وجاء فى تلك القرارات أن وضع الأحزاب سوف ينظمها الدستور الجديد

وهلل الشعب بذلك ولما لا إنها الحرية، والشرعية – وأشيع أن الثوار بدوا فـى تشكيل الحزب الثورى الذى سيخوضون به الانتخابات ، ومع إلغاء الأحكام العرفـية رفعـت الـرقابة عن الصحف التى هاجمت بكل قوة المخالفات المالية للـثوار – وقادت جريدة المصرى ذلك الهجوم، وبدأ التندر على أحد الثوار الهائم حـباً بـاحدى أمـيرات البيت المالك – وأن المحب الولهان يريد إشباع غروره بامـتلاك أمـيرة من بيت فاروق أو قصره وتصاعدت حملة النقد للثوار إلى حد المطالـبة لهم بالعودة الفورية لثكناتهم وترك السياسة لأهلها – وعند هذا الحد لم يتردد الثوار فى التراجع عن قرارات ٥ مارس التى قد تعيدهم ضباطاً بالجيش – وليسـوا حكامـاً، واعـتمدوا فـى ذلك على تحريك عمال النقل العام والذى تم السيطرة التامة عليهم عن طريق رئاستهم[(١)].

والـتى تقاضت مبلغ وقدره ٤٠٠٠ جنيه من الحكومة وكان الواسطة بين الـثوار ورئـيس اتحـاد عمل النقل العام الضابطين[(٢)]. المشرفين على التنظيم السياسـى للثورة المسمى بهيئة التحرير – وفوجىء الشعب بثورة عارمة مضادة للحـرية مـن فئة عمالية محدودة هم عمال النقل العام، توقفت معها تماماً حركة الـنقل العام بالقاهرة، وضواحيها، وامتدت أيضاً لخارج القاهرة احتجاجاً على ما أسـموه عـودة الرجعـية، والإقطاع، وذهاب الثورة وكان قادة تلك المظاهرات مدفوعـة الثمن يقودونها من سيارات صغيرة مركب ميكروفون على كل منها – والميكرفونات تنادى على سائقى التاكسى الذين وجدوها فرصة هكذا:

أجرة جرش – أجرة جرش

وأحياناً – تاكسي جرش

---

(١) صـاوى أحمد صاوى – وكعادة المصريين تم اختصار الاسم من باب التهكم فكانت الناس تقول" صاو صاو ".

(٢) الصاغ طعيمة ، والصاغ الطحاوى.

وتدفقت مظاهرات عمال النقل بزيهم المعروف وهم يهتفون:

تسقط الحرية - يسقط المحامون الجهلاء - يسقط حزب الوفد - تسقط جريدة المصرى - التى هى لسان حاله، وتوجهت بعد ذلك لمبنى نقابة المحامين ورشقوه بالحجارة _ وكذلك جريدة المصرى[1] بشارع القصر العينى، ودمروا واجهتها الزجاجية تماماً - واستمر هذا الحال لمدة ثلاثة ايام امتلأت القاهرة بالمنشورات المؤيدة للثورة والتى تهاجم أحد قادتها ونعتته بالصاغ الأحمر[2].

أما الموقف بالجامعات والمدارس الثانوية - فكان التظاهر لصالح المطالبة بالحرية، وعودة الجيش لثكناته وهذه نماذج من الهتافات الطلابية:

ياحرية فينك فينك عملوا حجاب بنا وبينك

إلى الثكنات رجال الجيش

لكن تلك الاحتجاجات حوصرت تماما داخل الجامعات والمدارس ولم يسمح لهـا بالخروج للشوارع - وتعرض الذين حاولوا الخروج للشوارع للضرب بكل قسوة تنفيذاً لتعليمات الداخلية، والتى وصلت لحد إطلاق الرصاص - وكذا الطعن بالسونكى عند كوبرى قصر النيل وأصيب البعض أذكر منهم الطالب يحيى عامر[3]. بطلق نارى وطعنه سونكى بساقه وتسبب ذلك فى عاهة مستديمة بالساق ظل يعانى منها طول حياته.

أما تظاهرات عمال النقل العام الحكومية فكانت تجوب الشوارع بحرية كاملة تحت وسمع وبصر وحماية البوليس، لدرجة إن إحداهما اقتحمت مجلس الدولة وتم الاعتداء بالضرب على الفقيه الدستورى الدكتور السنهورى وزملاءه فى اللجنة المشكلة لوضع الدستور الجديد والذى كان فى عُرف المتظاهرين رجز

---

(١) مبنى جريدة ومطبوعات الشعب أو ما يسمى بدار الشعب الآن.

(٢) الصاغ خالد محى الدين والذى وقف إلى جوار الديمقراطية والحرية والذى تم إبعاده عن السلطة منفياً أو مبعداً فى سويسرا.

(٣) المرحوم المستشار يحيى عامر - الطالب حينئذ بحقوق فؤاد الأول وقد تسببت الإصابة من طعنة السونكى فى عاهة مستديمة فى الساق نتج عنها عرج ملحوظ أثناء المشى - وكان رحمه الله ثائراً بالفطرة غيور على وطنه - وتصادف أثناء علاجه من تلك الإصابة بمستشفى القصر العينى أن تظاهر طلاب كلية الطب لنفس الأسباب - فما كان إلا أن تحامل وأخذ يتنقل بالكرسى المتحرك الذى يستعمله فى المشى ، حتى استطاع الوصول لمكان تواجد الطلاب المتظاهرين ثم قاد المظاهرة من على كرسيه - رحمه الله - المستشار يحيى عامر وأسكنه فسيح جناته.

من عمل الشيطان يستحق مرتكبه العقاب - تم هذا الاعتداء وهم يهتفون بسقوط الحرية والدستور، والأخطر من كل ذلك حالة الفوضى التى دخلت فيها القاهرة فى اليوم الرابع وهى وقوع انفجارات بمحلات جروبى بشارع سليمان باشا بوسط المدينة - وبمحطة السكك الحديدية - وأيضاً فى الجامعة، وكانت تلك الانفجارات رسائل موجهة للشعب وقد تزامنت مع المطالبة بالحرية التى قد يضيع معها الأمن والأمان اللذان كان الشعب ينعم بهما قبل ما يسمى بقرارات ٥ مارس الشهيرة - ومما لا شك فيه أن هيئة التحرير النظام السياسى الثورى هى التى كانت تحرك عمال النقل العام عن طريق اثنين من الضباط الثوار كما سبق الإشارة لهذا الموضوع من التظاهر مدفوع الثمن وهو الشيء الذى لم تعرفه تظاهرات ما قبل ١٩٥٢.

وتطورت الأمور بعد ذلك لمرحلة أخرى وهى اعتصام القيادات العمالية داخل المبنى الرئيسى لهيئة التحرير بعابدين، ثم بعد ذلك وإضراب شكلى من تلك القيادات عن الطعام حتى تحقيق مطالبهم فى إلغاء قرارات ٥ مارس ١٩٥٤ واستمرار مجلس الثورة كسُلطة سيادة وحيدة - وعدم عودة الأحزاب - واستمرت الاتصالات بين القيادات العمالية المضربة عن الطعام والشراب - ومع زملاءهم من التنظيمات العمالية التى لم تشارك بعد، وترتيب على ذلك إضراب عمال السكك الحديدية وبذلك توقفت حركة القطارات.

أما التيار الطلابى والمحامون فكان التيار الأضعف وانتصر الطوفان الذى تموله وتوجه الدولة.

وصدرت قرارات. <u>٢٨ مارس ١٩٥٤</u>

ومضمونها:

- **إلغاء قرارات ٥ مارس.**
- **بقاء مجلس الثورة كسلطة سيادة وحيدة..**
- **الفترة الانتقالية مدتها ثلاث سنوات.**

وبعدها صدر التوجيه بفض الإضراب - وعادت وسائل المواصلات لحالتها الطبيعية - واستمرت الاحتجاجات الطلابية داخل أسوار الكليات والمدارس وأخذت حدتها تخف وتتلاشى بالتدريج مع اعتقال زعماء الطلبة حتى انتهت تماماً - ويستثنى طلاب هندسة إبراهيم (عين شمس) الذين استمروا فى التظاهر والاحتجاج داخل الكلية حتى قرب نهاية العام الدراسى - وهكذا انتهى

للأبـد الـدور الفعـال والنشط للطلاب فى الحياة السياسية والذى بدء مع الثورة المصرية فى عام ١٩١٩.

يقـول أ. خـالد محي الدين:لابد لى أن أقرر أن عبد الناصر والزملاء فى مجلـس الـثورة كانـت لهم حسابات تنطلق أولا وأساسا من ضرورة احتفاظهم بالسـلطة بشـكل أو بآخـر ولم تكن قرارات ٥ مارس نابعة إلا من إحساسهم بالمـأزق ومحاولـة وجود مخرج يكفل لهم الاستمرار - فلما تراكمت المشاكل وتبينـت لهم احتمالات نهوض قوى سياسية أخرى لمعارضتهم خشوا من إفلات الـزمام مـن أيديهم، وتراجعوا عن القرارات وانقلبوا إلى النقيض، إاذن أدرك عبدالناصـر أن خطة ٥ مارس لا يمكن تنفيذها مع استمرار احتفاظه بالسلطة، وبـدأ فـى الالـتفاف على هذه الخطة، وترتيب الأمر للاتجاه فى مسار مضاد، وطوال هذه الأيام انهمك عبد الناصر فى تنفيذ خطته فحشد أكبر قدر من الضباط حولـه، على أساس رفض الديمقراطية، وأنها ستؤدى للقضاء على الثورة، وبدأ عـن طـريق طعيمة والطحاوى فى ترتيب اتصالات بقيادات عمال النقل العام لترتيب الإضراب الشهير.

ولـك عزيـزى القـارىء أن تتصـور إضراباً لعمال النقل تسانده الدولة، وتحـرض علـيه وتنظمه وتموله.. وأتوقف تحديداً أمام كلمة تموله، فلقد سرت أقـاويل كثـيرة حول هذا الموضوع - لكنى سأورد هنا ما سمعته بنفسى، فعند عودتى من المنفى التقيت مع عبد الناصر وبدأ يحكى لى ما خفى عنى من أحداث أيام مارس الأخيرة... وقال بصراحة نادرة:

" <u>لما لقيت المسألة مش نافعة قررت التحرك، وقد كلفني الأمر أربعة آلاف جنيها</u>".

الآن أتكلم ص ٢٩٧، ص ٢٩٨

ويقول سيادته فى موضوع آخر من كتابه ص ٢١٤، ص ٢١٥:

" كانـت معركتى من أجل الديمقراطية صعبة، بل ومريرة المذاق. ولعلها قضـية مـا زالت محلاً للجدل والأخذ والرد حتى الآن مثل " علاقة ثورة يوليو بالديموقراطـية " فـبرغم أنـنا ومنذ الأيام الأولى لمحاولة بناء تنظيم " الضباط الأحرار " كنا نعتقد ونعلن ونتمسك بالديمقراطية كمخرج للوطن والشعب، ولكننا نسـينا فى غمرة حماسنا ونحن ضباط عاديون أن الديمقراطية تعنى فى الأساس تداول السلطة، فما أن أصبحنا حكاماً حتى نسى البعض ما تعاهدنا عليه. ولعله قد

مـــنح نفسه طمأنينة إذ أكد لها أن بقاءه فى السلطة هو بذاته حفاظ على منجزات الثورة، وحفاظاً على مصالح الشعب. ولا شك أن موقفاً كهذا قد استند أيضاً إلى فساد الحكم فى العهد الملكى، وإلى شكلية التوجه الديمقراطى.

ويســتطرد الأسـتاذ خـالد محى الدين فيقول فى اعتقادى أن هزيمة يونيو ١٩٦٧ لم تكن هزيمة عسكرية، بل هى فى الجوهر هزيمة سياسية لنظام فشلت آلـياته فـى اكتشاف ما إذا كانت البلاد جاهزة للحرب أم لا. بعد الهزيمة كانت هـناك فرصـة تاريخـية لتحقـيق الديمقراطية لكن هذة الفرصة ضاعت لأن الديمقراطـية تتطلـب من الحاكم أن يقدم تنازلات للشعب، ولم يكن عبد الناصر مستعداً حتى رغم الهزيمة - أن يقدم أية تنازلات.

وللحقـيقة فإننى أعتقد أن أزمة الديمقراطية التى ولدتها ثورة يوليو لم تزل قائمــة فــى بلادنــا حــتى الآن.. صحيح أن يوليو حققت قدراً من الديمقراطية الاجتماعــية وحققــت للشعب منجزات كبيرة ولكن افتقاد الحماية لهذه المنجزات كان المقتل.

لــم يدرك عبد الناصر أن هناك فارقاً كبيراً بين رضاء الشعب عن الحاكم وتأيـيده له، وبين المشاركة الفعالة للشعب فى اتخاذ القرار، بل حكم نفسه بنفسه لقد فجرت قضية الديمقراطية أزمة مارس ١٩٥٤، وكان هناك طرفا صراع كان لابــد لأحدهمــا أن ينتصر على الآخر، وانتصر عبد الناصر لكنه لم يدرك أنة بانتصاره هذا حكم على مسيرته كلها أن تظل أسيرة هذا الانتصار. وبرغم ذلك كله، فأننى اعتقد أنه من حيث الجوهر لا يمكن لأى نظام آخر، سواء قبل يوليو أن يدعــى أنه كان ديمقراطياً بشكل كامل أو هو ديمقراطي بشكل كامل..... أو هذا ما أعتقد.

ويقــول سيادته فى موقع آخر من كتابة الهام " الآن أتكلم صفحات ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٨ " وتابعــت أمام ناظرى أسئلة عديدة كنت امتلك وجهة نظر مختلفة لكننى لم أحاول ان أحشد قوى كافية لتأييد هذه الفكرة، وسألت نفسى هل اخطأت فى ذلك؟ وبضمير مستريح قررت أننى لست من هؤلاء الذين ينسجون المؤمرات ضــد زملائهم، وأننى كنت أعبر عن وجهة نظرى فى المجلس وأعبر عن ذات وجهة النظر في بعض المقالات - صحيح أن هذه المقالات لم تكن كافية ولم يكن من الممكن أن تعادل فيض الإعلام الموجه الذى سيطر عليه صلاح سالم ووجهه لصالح وجهة النظر الأخرى.... لكننى لم أشعر مطلقاً أنه من الممكن بالنسبة لى

أن أقــوم باتصـــالات سرية من خلف ظهر الزملاء مع حزب الوفد مثلاً أو مع الشـــيوعيين فقــد كنت اعتبر نفسى ملتزم مع زملائى بالدفاع عن الثورة، وعن اســـتمرارها وأن نقطة الخلاف هى فقط حول المسار الديمقراطى، وأدركت أن معركتى منذ البداية غير مؤهلة للنجاح فأنا أعارض، وأتشدد فى التمسك بوجهة نظــرى فـــى غرفة مغلقة، وهم يملكون السلطة والإعلام والمال، والاتصالات والأمـــن والمخابرات والتنظيم السياسى الوحيد المسموح به.... الخ وأنا أتمسك بالديمقراطـــية بيـــنما الرأى العام ضعيف وقطاع كبير منه مضلل بنظرية إما " الثورة أو الديمقراطية " وقطاع مهم أيضاً كان يخشى على مكتسباته الاجتماعية الـــتى حصل عليها بفعل الثورة - كذلك " فإن الصحافة الليبرالية قد لعبت دوراً خطـــيراً كما أكدت من قبل فى إرباك الأمور، وفى شحن الضباط بالمخاوف من الديمقراطـــية والحقيقة أن أحداث مارس ١٩٥٤ قد أثمرت نتائج مصيرية فلعلها اقنعت الأخوة من مجلس الثورة وإلى أمد طويل بنظرية " إما...... وإما " ولعلها أيضـــاً أقنعتهم بإمكان شحن الجماهير، وتحريكها فى الاتجاه الذى يريدونه عبر قـــنوات الإعــــلام، والعلاقات السياسية والاتصالات غير المرئية، ولعلها أقنعتهم بأهمـــية اســـتثمار ثقة الجماهير ومحبتها للثورة، وتمسكها بها فى توجيهها نحو المسار الذى يريدونه، خاصتة مع تقديم بعض الإصلاحات الاجتماعية التى تؤكد ثقة الجماهير، ومحبتها للثورة، وتعنى فى الوقت نفسه عن الديمقراطية وتمكنهم مـــن التخلص من تباعتها. ولكن الزملاء كانوا قد حسموا أمرهم، وقرروا إما أن أكون معهم فى كل ما يريدون وكل ما يقولون... وإما أن أبعد... كانوا قد قرروا بشـــكل حاسم التباعد عن لعبة الديمقراطية وأن ينفردوا بالحكم، وبالتصرف وهو ما كانوا يعلمون إننى سأرفضه قطعاً. وكان عبد الناصر هو أكثر من يعرف أننى لســـت ذلك الرجل الذى يتنازل عن مبدئه وموقفه مقابل الاستمرار فى سلطة أو جاه أو منصب صحيح أننى خضت معركة غير متكافئة - فرد واحد فى مواجهة جهـــاز الدولـــة بأكملـــه وفرد واحد لم يكن يريد أن يستقوى بأحد حتى لا يضر بموقـــف زمـــلاء يحبهم، وثورة عاش حياته يحلم بها... لكنها كانت فى اعتقاده معـــركة ضـــرورية فهل للإنسان أن يزهوا بين الناس بغير موقف ثابت لصالح الوطن والشعب والثورة... لم اشعر ولو للحظة واحدة بذرة واحدة من الندم وأنا أخلـــع عنى ثياب سلطة السيادة وأصبح إنساناً عادياً يستعد كى يحرم حتى البقاء فى أرض وطنه".

وفي تقييمه لشخصية الرئيس الراحل عبد الناصر ص ٣٢٨

يقـول سـيادته " فى البداية كان عبد الناصر يرفض فكرة الاشتراكية وفى جلسات نقاش طويلة كان يتمسك بفكرة تقول أن الصراع الطبقى هو مجرد قول يسـتهدف التغطية علىصراع آخر علي السلطة. لكن معركة عبد الناصر ضد إصرارنا علي الديمقراطية قادته بإتجاه آخر نحو استرضاء العمال والفلاحين - فمضى فى اتجاه الاشتراكية خطوة خطوة. كذلك فإن فكرة الانتخابات كانت تعنى فـى الأيـام الأولى للثورة عودة الوفد للحكم، ولقد سبق أن قُلت إن الوفد لم يكن يحظـى بشـعبية فى صفوف الجيش بسبب حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ثم بسبب ما أشيع عنه من فساد فى حكوماته المتتالية[1].

وعندما جاءت أحداث مارس ١٩٥٤ خاضها عبد الناصر بكل ثقة واستطاع أن يسـير مظاهرات تهتف تسقط الديمقراطية وانتصر عبد الناصر عام ١٩٥٤. لكـنه لـم يدرك أن كسب جولة كهذه شيء، وكسب المسار التاريخى شيء أخر وفى اعتقادى أن مارس ١٩٥٤ ونجاح عبد الناصر فيه مثل تجربة ظلت تهيمن لفـترة طويلة على أسلوب عبد الناصر في الحُكم وتصرفاته. وإزاء معارضيه، واسـتمد من نجاحه فى مارس أساساً فعلياً لتجربته ولم يدرك أن مثل هذا النجاح وقـتى بالضـرورة، ولم يكتشف متى يتعين عليه العودة للديمقراطية والتعددية الحزبية وانساق وراء نجاح التجربة حتى كانت هزيمة ١٩٦٧.

تعليق :

(١) فـى الانـتخابات النيابـية التى أجريت فى نوفمبر ١٩٤٩ _ فاز الوفد فيها بأغلبية ساحقة وبمعـنى أدق فقـد اجتاحها حيث حصل على ٢٢٨ كرسى فى البرلمان - وحصل السعديون على ٢٨ مقعداً ، والأحرار الدستوريون على ٢٦ مقعداً ، والحزب الإشتراكى على مقعد واحد _ فـإذا كـان الوفـد بعد ٧ سنوات من حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ استطاع أن يكون له كل تلك الشعبية فى صفوف الجماهير فكيف لا يكون له شعبية بين الضباط.

استدراك

أحسست بالصدق المطلق فى كل ما جاء بكتاب الأستاذ خالد محيى الدين "الآن أتكلم " لأن سيادته لم يكن مجرد كاتباً أو مؤلف لكتاب فهو من الستة الأول فى تشكيل الضباط الأحرار، وعضو فى مجلس قيادة الثورة فيما بعد - وبعد مضى أكثر من عشر سنوات على إصداره لكتابه لم يتطرق لسمعى أن هناك من استطاع تكذيب واقعة واحدة مما جاء بذلك الكتاب من المعلومات، وأسرار كان من المستحيل معرفتها قبل ذلك - ولذلك قمت بنقل فقرات كاملة من الكتاب دون تعليق لأنها تلقى الضوء على أحداث هامة فى الفترة الزمنية للخواطر التي أنا بصدد تسجيلها - ونفس الشيء سوف أفعله أيضاً فى الصفحات القادمة فى نقل بعض الفقرات من كتاب الرئيس السادات الهام " البحث عن الذات " لنفس الأسباب وأيضاً دون تعليق من جانبى.

فـــى الفـــترة الـــتى أعقبت مارس ١٩٥٤ مضت الأيام سريعة، ومسرعة، وطـــوى نجيب النسيان بعد أن شرب من نفس الكأس الذى وافق هو من قبل أن يـتجرعها غـيرة من الزعماء، واستتب الأمر لعبد الناصر، وعلى أثر ذلك قام الـثوار بحملة تطهير كبيرة فى صفوف المعارضة - فصودرت أملاك أسرة أبو الفـتح، وعلـى رأسها جريدة المصرى واسعة الانتشار ولسان حال حزب الوفد وكذلـك شـركة الإعلانـات والتى كانت تملكها الجريدة، وغادر البلاد منفياً أو طريداً كلاً من الأساتذة محمود، وأحمد أبو الفتح، وكذلك الأستاذ خالد محى الدين بعـد قبول استقالته من مجلس قيادة الثورة، وفى أغسطس من نفس العام وقعت الثورة مع الإنجليز اتفاق الجلاء عن مصر بالأحرف الاولى، ثم توقيع نهائى فى أكتوبر من نفس العام.

وفى مقهى عكاشة كان اللقاء بين الصديقين إسماعيل توفيق، وعلى عبد الله الذيـن بـاعدت بينهما الظروف خاصة بعد انتقال الصاغ على عبد الله والإقامة بمصـر الجديدة - ومع الرشفات الأولى من أكواب الشاى سأل إسماعيل صديقه قائلاً:

مالك ياعلى سرحان فى أيه إحنا ما صدقنا واتقابلنا علشان نقعد ندردش مع بعض - وأنت حاطط إيدك على خدك، وشايل الطاجن إياه؟؟؟

على : مافيش طاجن ستى، ولا خالتى إنما سرحان فى مُلكه

إسماعيل : ياعلى إخلع من تفكيرك فى السياسة، وياريت تخفف شوية من اهـتمامك بالوفد إنت ناسى إنك ضابط، والمفروض إنك مُؤيد وماشى مع الثورة.

علـــى : أيـــوه أنت كده دُست على مكان الوجع وأنا معاك بفتح قلبى، وبقول اللى أنا ماقدرش أتكلم فيه مع أى شخص آخر.

إسماعيل: الحمد لله - افتح قلبك واتكلم على شرط ما تكونش الجلسة بتاعتنا كلها سياسة.

علـــى : أنـــا طهقـــت من السياسة وأصبحت غير مطمأن تماماً بالنسبة للمستقبل وأنا متوجس ثم أضاف قائلاً:

يا إسماعيل أنت تعرف أننى ابن باشا أو بك؟؟

إسماعيل : تيجى إزاى ده ؟؟ ما أنا عارف والدك الحاج والعيلة وكلانا من أسرة متوسطة الحال.

علی : يا إسماعيل الإذاعة، والصحافة الموجهة ليل ونهار فی حالة هجوم بالحق والباطل على طبقة البشاوات بشكل فيه ظلم وتجنى - وأصبحت كلمة باشا مرادفاً للخيانة، وما أسموه الإقطاع هذا على الرغم من أن التاريخ القريب يشهد بأن الذين قادوا النضال الوطنى وحركة التنوير كانوا من أصحاب رتب البشوية والباكوية واللواء محمد نجيب كان بك وغيره أمثال: رفاعة الطهطاوى - على مبارك - أحمد عرابى - مصطفى كامل - محمد فريد - سعد زغلول - قاسم أمين - د.طه حسين - محمد حسين هيكل - عبد القادر حمزة- د. مصطفى مشرفة - طلعت حرب - فهل كل هؤلاء كانوا خونة وإقطاعيون ؟؟؟

وأضاف قائلاً ده عدد كبير مما ذكرت من عائلات متوسطة بل وفقيرة أمثال مصطفى كامل وطه حسين وغيره.

وكلنا نذكر أن محمود فهمى النقراشى وصف الإنجليز بالقراصنة من فوق منبر الأمم المتحدة - وكان وزميليه أحمد ماهر، وإبراهيم باشا عبد الهادى قريبين من حبل المشنقة أيام ثورة ١٩١٩ - وإبراهيم عبد الهادى كان نزيل دائم على السجون فى عهد الإنجليز - وإزاى النهاردة بكل بساطة وبجرة قلم يتم إلغاء الرتب المدنية وتصبح الفئة الوحيدة المسموح لها بحِل الرتب هم العسكريون ؟؟

وقال : هم عايزين يقولوا إن تاريخ مصر بدأ فى ٢٣ يوليو - هذا تجنى على التاريخ وعلى كفاح شعب مصر كله وعلى زعامات وطنية شريفة أعطت بلا مقابل.

إسماعيل : أنا معاك النغمة فعلاً زايدة عن الحد - وشيء مؤسف أن قيادات شريفة موجودة الآن فى السجون بلا إدانة حقيقية عن جرائم مثل ما حدث مع كلا من فؤاد سراج الدين - إبراهيم فرج، وعبد الهادى، ويقال أن النية كانت تتجة لتقديم مصطفى النحاس نفسه للمحاكمة، وقبل ذلك إعدام البقرى وخميس فى كفر الدوار - وحل الأحزاب السياسية وإلغاء الدستور وكذلك جماعة الإخوان المسلمين والبقية تأتى والأخيرة ده هى سبب قلقى وتنغيص حياتى.

اسماعيل : غريبة وما علاقتك أنت بالإخوان ؟؟

علــــى : أنا ماليش علاقة بالإخوان لكن المشكلة فى أخويا موسى... أنا خايف عليه من الاعتقال وندخل فى موال مالوش آخر.

اسماعيل : كده أنت قلقتنى فعلاً أرجوك توضح أكثر.

علـــــى : بســبب انتقاده العلنى الاتفاق مع الإنجليز. ووجهة نظره أن الاتفاق لم يأتى بجديد فموعد الجلاء عن قاعدة قناة السويس طبقاً للاتفــاق هو يونيو ١٩٥٦ - وهو نفس الميعاد التى كانت تحدده معاهدة ١٩٣٦ بفارق حوالى شهر ونصف فقط.

اسماعيل : وضح أكثر.

علـــــى : معاهدة ١٩٣٦ كان مدتها عشرين عاماً وتنتهى فى أغسطس ١٩٥٦وفى هذا التاريخ ينتهى الوجود البريطانى تماما.

أما معاهدة الجلاء التى وقعتها الثورة للأسف تُعطى للإنجليز حــق العــودة واحتلال منطقة قناة السويس مرة أخرى فى حالة وقــوع عدوان على مصر أو أى بلد عربى أو تركيا خلال سبع ســنوات مــن توقيع المعاهدة أو الاتفاق - وبهذا الشكل ارتبطت مصــر بــالأحلاف العســكرية الغربية - وبالذات حلف البحر الأبــيض والذى سبق وأن رفضت مصر الانضمام إليه فى عهد حكومة الوفد - ثم استطرد قائلاً:

أنــا نفسى فى دهشة من قبول الثورة حق العودة خلال سبع ســنوات والذى لم يكن موجوداً بمعاهدة ١٩٣٦ رغم الاختلاف الكبــير فى ظروف كلاً من الاتفاقين ولذلك طلبت من موسى أن يخفــف مــن نقد الاتفاق خصوصاً فى الجامعة - والندوات التى تعقدهــا الجماعة ونفسى ربنا يهديه حتى حصوله على الليسانس وبعدها هو حر يفعل ما يشاء.

إســماعيل: أنــا مُتفق معاك تماماً - وكان الله فى عــونك الموضوع فعلاً يســـبب قلــق ثم قال فعلاً لازم موسى يحاسب شوية، ويخاف أيضاً عليك وعلى مستقبلك فى الجيش.

علـــى : حقول أيه - ربنا يهديه اليوم الأمر استتب تمامــاً للــثورة - وتم محاكمة العديدين من القيادات القديمة - ونفس الشيء حدث

فى الجيش حيث تم استبعاد كل من حامت حوله الشكوك فى إخلاصه للثوار عن طريق الإحالة للاستيداع أو النقل لوظائف مدنية - وأمامنا الآن مثل واضح عياناً بياناً ثم قال أين نجيب الآن فهو من الناحية الشكلية مازال رئيساً للجمهورية - ومن الناحية الواقعية فقد توارى تماماً فى صمت وهدوء بعد خروجه من قصر عابدين إلى معتقله بالزيتون فى قصر حرم الزعيم مصطفى النحاس.والذى استولت عليه الثورة وتم تحديد إقامته فيه إلى ما شاء الله[1].

إسماعيل: الله يكون فى عون الرجل ثم أضاف ربنا يسامحه فإن جميع القرارات المقيدة للحريات أو معظمها صدرت فى وجوده وبتوقيعه - وما هياش شماته لأنه لا يستحق ذلك ولكن سبحان الله شرب الرجل من نفس الكأس الذى شرب منه زعامات وطنية شريفة دون ما ذنب أو جريرة.

علـــى : ربنا معاه ومع غيره ثم قال موش نقوم كفاية.

إسماعيل: وأنت إن شاء الله الغذاء حيكون فين - عند الحاج ولا عند نسايبك.

علـــى : فى البيت الكبير مع الحاج.

---

(١) ظل نجيب معتقل او محدد الاقامة حتى بداية عهد الرئيس الراحل انور السادات فى هذا القصر بعد ان تم تفريغة من كل محتوياتة وانتهى هذا الاعتقال بعد ١٥ مايو ١٩٧١ م.

وفـــاء النيل

وبعــد الغــذاء كان لقاء العاشقين على وسعاد لتمضية السهرة على شاطىء النيل أو حابى[1]. بفلوكة جميلة تتهادى على صفحته معيدة للأذهان حُلم ليلة من ليالى كليوبطرة ولاحظت سعاد شرود وسرحان زوجها ولذلك بادرته قائلة: أيه ياسيدى رحت فين - اللى واخدة عقلك.

علـــى : العبارة الصحيحة هى اللى واخد عقلك من غير التاء المربوطة

سعـــاد : زى بعضه ثم سألت يطلع مين.

علـــى : حابى العظيم وكوثر هذه الدنيا ثم أردف طول عمرى، وأنا مفتون به خصوصاً خلال فترة الفيضان أو فترة وفاءه.

سعـــاد : تقصد يوليو - سبتمبر.

علـــى : بالضبط ثم قال انظرى الفلوكة ماشية والقلع مطوى من قوة اندفاع المياه فالنهر فية فتوة، وقوة ومياهه تكاد تلامس أسفل الكوبرى بحُمرتها الداكنة الخلابة، وتسبي العيون ثم قال رحم الله شوقي بك - حيث سحره ذلك المنظر بينما كان يجلس فى إحدى شرفات فندق سميراميس وفى نفس هذه الأيام، ولما انفعل بجمال النيل هبط عليه شيطان الشعر فاستقل عربته وأخذ يتجول بها فى الجزيرة فى المنطقة المحصورة بين الفندق بقصر النيل، والعجوزة، والزمالك ثم أبو العلا والعودة واستمر على تلك الحال حتى انتهى من نظم أجمل قصائده.

سعـــاد: بدون شك تقصد النيل.

علـــى: بالضبط والتى مطلعها.

من أى عهد فى القرى تدفق — وبأى كف فى المدائــن تُــغدق

ومن السماء نزلت أم فجرت — من عليا الجنان جدا ولا تترقرق

تعيى منابعك العقول ويستوى — متخبــط فى عمــلها ومــدقــق

---

(٢) اسم النيل بلغة مصر القديمة.

سـعـاد: هـذه القصـيدة ذات مـذاق خاص بسبب صدق الشاعر فى نقل إحساسه بأمانة ولذلك أختلف مع القائلين بأن أعذب الشعر أكذبه بل أصدقه.

علـى: أنا موافق على ذلك فالفيضان له موعد لا يخلفه أبداً كل عام وفى هذا المعنى يقول شوقى بك.

مُتقيد بعهـوده ووعـوده	يجـرى على سنن الوفاء ويصدق
يتقبل الوادى الحياة كريمة	مـن راحتـيه عميمـة تدفـق

ثم قال سبحان الله لقد افتتن الأولون به إلى حد العبادة والتقديس

سعـاد: لدرجة إلقاء عروسة جميلة به كل عام قربان وزوجة ؟؟

علـى: تع فى عشقى لمصر القديمة وبأن كل قراءاتى الخاصة فى علم المصريات، ولم أجد مرجع عربي أو إنجليزي يقول أن الحضارة فـى مصـر القديمـة عرفت التقرب للآلهة عن طريق القرابين البشرية كما كان. بفعل أصحاب الحضارات الأخرى المعاصرة.

سـعـاد : ومـاذا عـن قصـة عروس النيل والصحابى الجليل عمرو بن العاص..

على : أكاد أجزم أن القصة فى مضمونها صحيحة وهى تؤكد وجهة نظرى - فجميع الآلهة المصرية القديمة كان لها تماثيل مثل تماثيل آمون - بـتاح - أزيـس وأزوريس، حورس ونفيتس، وأنوبيس، هذا خلاف الآلهة المحلية للأقاليم، وبالطبع فإن حابى أو النيل كان له تماثـيل، وقـد يكون منها ما هو على شكل عروس تُلقى فيه فى احتفال مهيب تحت الإشراف الكامل للكهنة فى كل الأقاليم، وعلى الأخـص عـند أبيدوس[1]. ومن المؤكد والمعقول أن ذلك التقليد اسـتمر حتى أيام عمرو ابن العاص - ولكن الصحابى الجليل لم يسمح باستمرار الاحتفال بعادة وثنية - وإيمانى بقول من الكلمات الإيمانية المكتوبة على قطعة الخزف سواء كانت كاتبها أو الذى أمر بكتابتها أمير المؤمنين عمر أبن الخطاب أو واليه على مصر عمرو بن العاص صحيحة مائة فى المائة.

---

(١) العرابة المدفونة بسوهاج.

سعاد : وماذا تقول تلك الكلمات ؟

على: تقول من عمر ابن الخطاب أو عمرو ابن العاص إلى نيل مصر:
إن كنت تجرى من قبل نفسك فلا تجر وإن كنت تجرى من قبل الله فنسأل الله أن يجريك.

سعاد : سبحان الله، حلاوة يستشعرها المؤمن للعبارة الحمد لله.

على : الحمد لله.

سعاد : إذا كان الأمر كذلك فلماذا استمر الاحتفال ليومنا هذا.

على : هذا سؤال في محله وأضاف رغم الغزوات التى تعرضت لها مصر من مقدونية وفارسية ورمانية فإن مصر حافظت على ديانتها، وعادتها وتقليدها حتى أن المحتلين الأجانب أقاموا المعابد للآلهة المصرية وقدموا لها القرابين فعلى سبيل المثال معبد دندرة الشهير بقنا بطلمى[1]. ومعبد الهيبس بالواحات الخارجه وهو صورة مصغرة من معبد الكرنك فارسى[2]. أقيم لعبادة الإله آمون أخلص من ذلك بأن ما وصل ألينا من ديانات مصر القديمة يكاد يكون كاملاً لأنه حتى بعد أن عرفت مصر الديانات السماوية احتفظت بعادتها القديمة لكن فى أشكال إسلامية، ومسيحية.

سعاد : أرجو الإيضاح.

على : المكان المخصص بالمساجد للوضوء والمعروف بالميضة هى نفس فكرة البحيرة المقدسة والتى كان يتطهر فيها الكهنة قبل الدخول لقدس الاقداس حيث يوجد تمثال الإله - فالمساجد الإسلامية الأولى لم تكن تعرف الميضة وإنما كان الوضوء والتطهير يتم خارج المسجد - وفى الأعياد الإسلامية مثل عيد الفطر، وعيد ٧ يناير عند المسيحيين ففى هذه الأعياد يشترك الجميع فى صنع الكعك.

سعاد : نعم كعك العيد المنقوش.

على : ذلك ما أقصده بالضبط هو النقش الذى كان عبارة عن قرص الشمس أى آتون وتنبعث منه الأشعة - ومن المعروف أن القرابين التى كانت تقدم بمعابد آتون كانت من الورود والرياحين

---

(١) بنى فى عهد بطليموس الرابع.
(٢) بناه الملك الفارسى داره الأول.

والفطائر دون تقديم اللحوم. وبهذا الشكل وصل إلينا الاحتفال بعيد جبر البحر[1]. للآن وهو عيد عزيز على كل المصريين لأنه موجود فى الوجدان والأعماق - وكانت تعطل دواوين الحكومة فى ذلك اليوم احتفالاً به - ويخرج الناس من شتى البقاع لشواطىء النيل للاسترواح والاحتفال - لكن للأسف لحكمة لا أفهمها قامت حكومة الثورة بإلغاء الإجازات الرسمية لثلاثة من الأعياد المصرية العظيمة دون أسباب مقنعة.

سعـــاد : وهل من بينها عيد وفاء النيل.

علـــى : للأسف نعم ثم أضاف وهى: عيد وفاء النيل - عيد الدستور - عيد الجهـــاد الوطـــنى - فعـــيد الدستور هو ذلك اليوم الذى صدر فيه دســـتور ١٩٢٣ كأســـاس للحكم النيابى والذى تم إلغاءه - أما عيد الجهـــاد الوطنى وهو ذلك اليوم الذى اندلعت فية ثورة الشعب عام ١٩١٩ على أثر اعتقال الزعيم سعد زغلول ورفاقه.

سعـــاد: فعلا شيء يدعو للأسف وغير مبرر.

كان ذلك الحوار بين على، وسعاد والقارب يتهادى بهما على صفحة النهر الخـــالد - والفلايكـــية[2]. يتابعون الحوار ويشتركون فيه أحياناً بذكراياتهم عن الاحـــتفالات بعيد جبر البحر بالقاهرة أو فى قراهم الأصلية بصعيد مصر، وبين فترة وأخرى يقدمون للضيفين الشاى.

ســـرحت سعاد ببصرها بعيداً متأملة الصخب الشديد للمياه الحمراء الداكنة والمتلاطمة من شدة اندفاعها وقالت فعلاً مصر هبة النيل.

علـــــى : متســـاءلاً لقد تركتنى لحظات، وفضلت علىّ هيرودوت، وعلى العموم ما فيش مانع المهم إنك معاى على الخط.

سعـــــاد: طبعاً من جاور وضحكت بصوت عال وقالت أكمل المثل وأقول الحداد[3]. بلاش واقول الفنان تأثر بفنه.

علـــــى: لا فن ولا حاجة إنما عشق لمصر ونيلها الذى هو شريان حياتها ثـــم قال معلهش ياس هيرودوت أنا سوف أصحح العبارة فمصر

---

(١) هو الاسم الذى يطلقه عامة الشعب على عيد وفاء النيل.

(٢) مفردها فلايكى أو المراكبى.

(٣) مـــثل شـــعبى دارج يقول من جاور الحداد أكتوى بناره - وآخر فى نفس المعنى يقول من عاشر القوم صار مثلهم.

هــبة النيل الأزرق وهكذا تكون العبارة أكثر دقة ثم أضاف الدلتا بالكــامل والسهل الفيضى على جانبى النهر كلها ارسابات نهرية تكونـــت من آلاف أو ملايين السنين مما يحمله النهر سنوياً من مـــياه الفيضان المحملة بالغرين أو الطمى والذى منشأه الأرض البركانـــية الخصـــبة فى أعالى جبال إفريقيا فى الحبشة (أثيوبيا الآن) ومعـــنى ذلك أن التربة المصرية تربة منقولة ولذلك فمن رأيـــى هناك اســـــــتحالة فى الاستغناء عن طمى النيل مهما كانت المبررات أو باستخدام المخصبات والأسمدة كبديل.

سعـــــاد: الراديو يومياً أخباره وتعليقاته كلها على المشروع الجديد جنوب أســوان المُسمى السد العالى هذا المشروع كما يقال سوف ينقل مصر نقلة حضارية كبيرة بإضافة أكثر من مليون فدان للأرض المــزروعة وتحويل أراضى الحياض فى جنوب مصر لرى دائم أمـــا عـــن الكهرباء المولدة عن طريقه فسوف يكون سعر الكيلو وات الواحد مليمان ولذلك فهو مشروع المستقبل.

علــــى : أتمنى ذلك.

سعـــاد : كأنك متشكك فى كل ما يقال عن فوائد المشروع على الرغم من أن هناك الآن دراسات فنية واقتصادية تجرى عنه - وبالطبع فلن يُنفذ إلا إذا كانت نتيجة الدراسات إيجابية.

علــــــى : أعلم كل ذلك - ولكن الدراسات التى تتكلمين عنها ليست كافية بل لابد من دراسة اقتصاديات المشروعات البديلة.

سعـــاد : رجعنا مرة أخرى للمصطلحات الاقتصادية أو الألغاز.

علـــى : حتى نضمن سلامة التنفيذ لابد من دراسات على سبيل المثال لكل مـــن المشـــروع الأصلى وليكن المشروع "أ" ثم تجرى دراسات أخـــرى للمشـــروعات الـــتى يمكن أن تكون بديلة والترمز إليها بالمشـــروعات ب، ج، د، مثلاً، وبعدها يتم اتخاذ القرار بالتنفيذ لأكـــثرها فائدة وأقلها تكلفة وكذلك سلبيات، ذلك هو الإطار العام للدراســـات العلمـــية للمشـــروعات الكـــبرى فى كل من اليابان وأمـــريكا، وأوروبا - وهى البلاد التى تأخذ بنظم الإدارة العلمية الحديثة.

سعـــاد : وما هى سلبيات المشروع من وجهة نظر. قال على أولها وأخرها حجز الطمى أو الغرين جنوب ذلك السد.

سعـــاد : وما هى الخطورة فى ذلك.

علـــى : التربة المصرية فى الدلتا، والوادي هى تربة منقولة وتكونت من إرسـابات الـنهر المجـددة أيضاً لخصوبة الأرض التى انهكتها زراعـاتٍ القطن والقصب وتعيد إليها قوتها – والنهر الآن عن طريق تلك الإرسابات يضيف سنوياً مساحات للأراضى الخصبة مـن مـياه البحر – وفى حالة حجز الطمى سوف يحدث العكس، وتـتآكل الشـواطىء، ويهدد البحر مساحات كبيرة من أراضى شمال الدلتا بطغيانه عليها – هذا بالإضافة إلى أن زيادة النحر قد يُهدد كل الجسور المقامة على النيل.

سعـــاد : شيء غريب ما تقوله – وهل جميع بلاد العالم تعتمد على الطمى فى تجديد خصوبة أرضها الزراعية.

علـــى : مصر تختلف ثم أضاف أن هذا الطمى هو مفتتات للأرض البركانية الخصبة فى أعالى جبال إفريقية فى الحبشة – وأكرر بأنه مهما كانت القيمة الغنية للأسمدة أو المخصبات الصناعية فإنها لن تكون فى مستوى الطمى الذى هو هبة من عنده. وأضاف هل تعلمين أن كل أراضى النوبة سوف تغرق وتنتهى لأنها ستصبح جزء من بحيرة السد.

سعـــاد : النوبة بكل ما فيها من زراعات ففى حدود معلوماتى أن بها ملايين من أشجار النخيل بالإضافة لتراثها الحضارى.

علـــى : هذا صحيح ثم قال تابعت بنفسى الحوار بين الرئيس محمد نجيب وأحد أبناء النوبة عند زيارته لها حيث قال الرجل النوبى." سيادة الرئيس تقولون أنكم ستبنون السد العالى وستعوضونا عن أملاكنا – لكن هناك أشياء لا تعوض فكيف تعوضوننا عن أرض ولدنا فيها، وتكونت فيها الذكريات، ودفن فيها آباؤنا ؟؟

سعـــاد : وبما أجاب الرئيس.

علـــى : للأسف قطع الإرسال – وأضاف وراء هذا السد سوف تتكون بحيرة عظيمة من الفيضانات التى سوف يحجزها – وهذه البحيرة

جزء منها فى الأراضى السودانية - وهذه أيضاً من وجة نظر الأمن القومى غير مطلوبة لأن الأمن القومى يتطلب أن تكون المياه المخزنة داخل الأراضى المصرية وليست لدى دولة مجاورة، وقد تصبح مصدراً لنزاعات سياسية مستقبلية خاصا إذا كانت هذه الدولة غير مُستقرة سياسياً.

سعـــاد : أنا لا أفهم شيء على ما تسميه دول أو دولة الجوار فمصر والسودان بلد واحد - والملك فاروق كان ملكاً على مصر والسودان والعملة المصرية هى عملة السودان ومن كلمات الزعيم سعد زغلول الخالدة "تقطع يدى لو فرطت فى السودان" ثم قالت أرجوك توضح.

علـــى : كل ما قلته صحيح حتى الآن ولكن بعد سنة تقريباً أو ستة ونصف سوف يجرى استفتاء فى السودان على حق تقرير المصير - يعنى إما الوحدة مع مصر أو الاستقلال وهذا الأخير هو الأقرب بعد خروج محمد نجيب من السلطة وفى السودان كانوا يعتبرونه رمزاً مجسداً للوحدة[1].

سعـــاد : إذا كان ما سمعته صحيح فأنا معك، ومطلوب الحذر والتأنى فى الدراسة مع إضافة دراسة للظروف السياسية التى قد تستجد عند انفصال السودان - ثم قالت واختلف معاك بعض الشيء لأننى شديدة التفاؤل من تخزين مياه عشرات الفيضانات خلف السد - فهذا شيء عظيم يحمى مصر من سنوات الجفاف أو من أخطار الفيضانات العالية المُدمرة.

علـــى : وأنا اختلف معك ١٨٠ْ لأن ما تقولينه هو مكمن الخطر.

سعـــاد : أعوذ بالله - تقول مكمن الخطر - ياريت توضح أكثر.

علـــى : التخزين خلف السد نوعان:

أ- مـــا يســـمى بالتخزين السنوى مثل النظام المتبع حالياً عند خزان أسوان، وخزانى الروصيرص - وجبل الأولياء بالسودان.

ب- الـــنوع الـــثانى يُسمى بالتخزين القرنى أى ممكن أن يصل زمن التخزيـــن بـــه إلـــى مـــا يقرب قرن من الزمان فإذا تخيلنا مثلاً

---

(١) كانت نتيجة الإستفتاء اختيار الاستقلال والانفصال عن مصر فى أوائل ١٩٥٦م.

الصـــورة خلــف الســـد بعد خمسين سنة مثلاً فأنها سوف تكون كالآتى:

بحـيرة صـناعية ضـخمة جـداً ابتلعت بداخلها كل الأراضى فى النوبة المصرية، وبالقياس قد يرتفع مستوى المياه بها إلي ٨٠ متراً فوق مستوي سطح البحر من الناحية النظرية البحتة – ولكن من الناحية الواقعية.

فإن حجم المخزون من المياه سوف يكون أ قل من ذلك بكثير لأن الارتفاع للمياه الذى ذكرته من المؤكد سوف يكون جزء كبير منه طمي وليست مياه، أي أنـــه سوف تتكون دلتا جديدة هناك مع مرور الزمن وكلما ارتفع منسوب الطمى واندفعـت المـياه فى اتجاه الجنوب خارج الأراضى المصرية، ويتراكم الطمى بمنطقة النيل النوبى فإن ذلك سوف يؤثر فى سرعة اندفاع المياه نحو الشمال أى الأراضى المصرية.

سعـــاد : ماذا تقصد بالنيل النوبى.

علـــى : هى منطقة من الأراضى المصرية والسودانية تبلغ مساحتها حوالى ٣٥٠ كيلو متر – شديدة الجفاف شديدة الحرارة ولكن الله جلت قدرته جعلها شديدة الانحدار حتى تصل مياه النيل إلى مصر ولولا ذلك لذهب جزء كبير منه بسبب البخر وأخشى ما أخشاه أن تراكم الطمى خلف السد ومع مرور السنين قد يؤثر على انحدار مجرى النيل الأمر الذى لا أتمناه أبداً لتأثير ذلك على تدفق مياه النهر نحو الشمال والشىء الغريب فى النغمة السائدة والتى تقول حماية مصر من سنوات الجفاف – وهذا شىء وارد ولا يمكن استبعاده ولكن السؤال ما هو عدد السنوات التى حدث فيها جفاف فى المائة سنة الأخيرة مثلاً " بمعنى لا داع للمبالغة فى هذا الموضوع – وحينما حدث الجفاف فى عهد سيدنا يوسف عليه السلام فإنه لم يخزن مياه بل واجه الموقف بالفائض من مخزون القمح.

سعـــاد : كده سيادتك أخدتنى إلى أيام نبى الله يوسف، والأمن القومى، والأمن المائى وكلها مسائل شائكة – ياريت أسمع منك اقتراحات محددة مقنعة وواضح إنك رافض للمشروع.

علـــى : إذا لم يوجد حل لمشكلة الطمى فهذا المشروع رغم كل ما يصاحب الإعلان عنه من صخب فهو بكل صراحة كارثة قومية بكل

المقاييس لأن تنفيذه بالشكل المعلن عنه يعتبر تدخلاً فى الطبيعة - ولذلك فأنا غير متفائل به وأضاف وهناك أمور أخرى ومآسى للأسف سوف يعانى منها الأجيال القادمة بسبب حجز مياه الفيضانات فالله سبحانه وتعالى عن طريق الفيضان السنوى يتم غسل مجرى النهر، وكافة وما يتفرغ منه من ترع ورياحات ويطهرها، وإلقاء ما بها من ملوثات فى البحر ولمدة ثلاثة شهور، ولذلك فإن الإصابة بالبلهارسيا حتى الآن محدودة - وفى حالة منع مياه الفيضانات وحجزها خلف السد، ومع مرور الوقت سيتحول المجرى وما يخرج منه من ترع الى مياه آسنة قليلة الحركة وسوف تنمو بها الطحالب، وتفقس فيها والعياذ بالله قواقع ميكروبية كثيرة ولذلك فأنا رافض للمشروع بضمير مستريح.

سعــاد : والحل.

علــى : العودة بدون أى حساسيات، ودراسة مشروعات الرى والتى سبق التخطيط لها بمعرفة عثمان باشا محرم الوزير الوفدى السابق.

سعــاد : ضاحكة أيوه كده هات من الآخر وقول بصراحة أنه انحياز للوفد.

علــي : الأمور القومية تعلوا علي أي أنتماء حزبي ومع ذلك ما هو العيب في الانحياز لفكر سليم.

سعــاد : ياريت تلخص بإيجاز المشروعات البديلة.

علــى : بكل سرور - وأضاف عن طريق شق مجموعة من الترع الرئيسية التى تخرج من النهر مباشرة على نمط الإبراهيمية لعلمك فإنها تمتد من شمال أسيوط للجيزة أى يبلغ طولها حوالى ٣٠٠ كم - والترع المقترح إنشاءها من الممكن أن تكون إحداها من عند ثنية قنا وتتجه شرقاً عبر وادى الحمامات حتى البحر الأحمر، والثانية فى الإتجاه العكسى أى غربى وممكن أن تكون من قنا أيضاً. وتتجة غرباً فى الصحراء حتى الواحات الخارجه، والداخله - وبعد ذلك ممكن شق ترعتان موازيتان للإبراهيمية شرق وغرب النيل من المناطق الصحراوية وبهذا الشكل يمكن توسيع زمام محافظات الصعيد - وخلخلة الكثافة السكانية بها عن طريق التوسع الزراعى الذي سيتم قريباً من كل مديرية -

وعندها سوف تنشأ القري بالتدريج بالتوسع الزراعي وبشكل طبيعى وتتحول كل مديريات الصعيد الجنوبى لمديريات جاذبة للسكان وهى الآن مديريات للأسف طاردة - ونكون قد قمنا باستغلال كل قطرة من مياه الفيضان أولاً بأول فى إنشاء مجتمعات زراعية جديدة فى الصحراء وعلى فرض وتعرضت البلاد لفترة جفاف أو نقص مياه الفيضان فيمكن مواجهة ذلك بفائض الإنتاج من القمح وغيرة من المحاصيل كما حدث فى الأقدمين.

سعـــاد : وماذا تقول فى الكهرباء.

علـــى : لها أكثر من حل عن طريق توليد الطاقة من خزان أسوان الحالى والخزانات الأخرى التى ستقام على المجرى الرئيسى الذى يمكن أستخدامه فى التخزين - مع العلم بأن كثير من بلاد العالم تعتمد علـــى المحطـــات الحـــرارية فى توليد طاقة كهربائية وبكميات عظيمة.

سعـــاد : معنى ذلك أنك موافق على المشروع المُسمى مديرية التحرير الذى هو من مشروعات الثورة وتقريباً فيه كل ما سمعته منك من أفكار.

علـــى : تماماً - فعلاً كل مقومات نجاح المشروع متوفرة شريطة أن تبتعد عنه الصراعات والأحقاد الشخصية.

سعـــاد : سيادتكم عارف إحنا مضى علينا من الوقت أد أيه، ثم أضافت أكثر من ثلاث ساعات والفلايكى وزميله يتابعان الحديث أحياناً، وأحياناً ينشغلا بصنع الشاى لنا ولهم.

علـــى : المهم أننا عشنا ليلة من ليالى كليوبطرة.

سعـــاد : باسمة وعلى وجهها علامات الرضا تقول وفين هى كليوبطرة.

علـــى : تجلس أمامى.

سعـــاد : أشكرك يا أنطونيو.

علـــى : موافق وأتمنى ألا يكون مصيرى كمصيره.

ســـعـــاد : أعوذ بالله ما تخلينا فى السهرة الحلوة ده ثم غيرت الحديث قائلة له أنت موش عايز تأكل.

علــى : فعلاً لقد استبد بى الجوع، وهبط العاشقان من الفلوكة، وجلسا على
إحــدى الأرائــك الخشبية المتناثرة على الشاطىء، وعلى الفور
أســرع إليهما بائع الصميت والبيض المسلوق يعرض عليهما ما
تحملــه مائدته المتواضعة من أحجام مختلفة من السميط والبيض
المسلوق والدُقة.

حادثة المنشية

وفـــى أحـــد أيام أكتوبر ١٩٥٤ بينما كان البكباشى جمال عبد الناصر[1]. يخطـــب بميدان المنشية بالإسكندرية قام الشاب محمود عبد اللطيف بإطلاق ستة طلقـــات نارية من مسدسه عليه ولم يصب ولكن أصيب بعض الحاضرين والذى تصادف وقوفهم قريباً منه.

ومـــن بينهم وزير الرى السودانى – وعلى الفور تُشكلت محكمة عسكرية لمحاكمة المتهم ومن معه من المشتركين، وكانوا جميعاً حسبما أعلن وقتها بأنهم ينتمون لجماعة الإخوان المسلمين[2].

---

(١) لـــم يكن أصبح بعد رئيساً للدولة حيث كان نجيب من الناحية الشكلية ما زال هو الرئيس. وقد تم تنحيته بصفة نهائية فى ١٤ نوفمبر ١٩٥٤ دون إعلان.

(١) حكمـــت المحكمة العسكرية برئاسة قائد الجناح جمال سالم بالإعدام على كلا من المستشار حسن الهضيبى المرشد العام للجماعة والذى كان يشغل منصب وكيل محكمة النقض – وكذلك على كل من المستشار/ عبد القادر عودة – والمستشار هنداوى دوير ، وفضيلة الشيخ فرغلى، والأســـتاذ يوســـف طلعـــت ، والأستاذ إبراهيم الطيب ، هذا وقد خفف الحكم للأشغال الشاقة بالنســـبة للمستشار الهضيبى ، ونفذ الإعدام فى الباقين – وكانت المحكمة برئاسة قائد الجناح جمال سالم وعضوية كلاً من البكباشى حسين الشافعى ، والبكباشى أنور السادات.

وسرعان ما أنفعل الجهاز الاعلامى القوى والذى سيطرت علية الثورة تماماً بالحدث ، وظهرت على الفور الأغنيات المستنكرة للإعتداء والمؤيدة للثورة ، وكانت الإذاعة ترددها ليل نهار – فأم كلثوم غنت :

أجمل أعيادنا المصرية — ينجاك يـــوم المنشية
طلقات النـــــــــار — عندك أوتـــــــــار
خاين غـــــــــدار — كان قصده يُصيـــب
طلقات النـــــــــار — فى صدر حبيـــــب

أما الموسيقار أ. محمد عبد الوهاب فقال :

ألفين سلامـــــــــة — تسـلم يا عالـــــى
لياليـــك ليالـــــــى — مجد وكرامـــــــة
تسلم تسلـــــــــم — تسلم يا غالـــــى

وأما الأستاذ محمود شكوكو فأدلى بدلوه فى ذلك المهرجان الفنى وقال :

يا الى سلامتك فيها سلامتنـــا
يالى بنتعب لأجله راحتنـــــــا
بالروح والمال نفديك يا جمــــال

كمـــا تم اعتقال كل من حامت حوله شبهة الانضمام لما كان يُسمى بالجهاز السـري للجماعــة، وكذلــك جميع الأعضاء البارزين بها من طلاب الجامعات والمــدارس الثانوية – والتى تشكلت لهم محاكم عسكرية أخرى خلاف المحكمة العســكرية الأولــى الخاصــة بمحاكمة محمود عبد اللطيف وقيادات الجماعة – وحكمــت تلــك المحاكم أحكاماً كثيرة بالسجن على عدد كبير من الذين حوكموا أمامهــا من طلاب الجامعات وغيرهم وكان من بين هؤلاء الطالب بحقوق فؤاد الأول موسى عبد الله والذى حكم عليه بالسجن لمدة خمس سنوات.

إستدراك

يقول سيادة الرئيس الراحل محمد أنور السادات في كتابه البحث عن الذات ص ١٥٢، ص ١٥٣، ص ١٥٤.

" وفــي جــوا الحقد، والصراع علي السطة الذي سيطر بشكل واضح علي مجلــس قــيادة الثورة في سنة ١٩٥٥ أصبح من الصعب علي أن أحتفظ بمركز المتفرج من البرج البعيد كما اعتدت.. فقد ضاقت نفسي بما تري من صراعات لا تكف لحظة ولا تنتهي فكتبت استقالتي وقدمتها لإخواني بمجلس القيادة ونقلت إليهم اللوحة الجميلة التي شاهدتها بالهند وهي عن نائب وزوجته نائبة أيضاً في الــبرلمان وهما شيوعيان وكانت العلاقة بينهم وبين نهرو رئيس الوزراء علاقة أب بأولاده يعطف عليهم ويحبونه لدرجة التقبيل – رغم اختلاف الفكر السياسي.. عسي أن يتعظوا.. كانت هذه هي الاستقالة الثانية بعد استقالة سنة ١٩٥٣.

ويســتطرد ســيادته فيقول " والآن وأنا أعيش تلك الأيام البعيدة في ذاكرتي أستطيع أن أري بكل وضوح أن الاستقالة الثانية كانت مثل الأولي تنبع من نفس المنبع – وكلاهما احتجاج صريح علي جو الصراعات الذي كان يسود المجلس، وهمــا فــي نفس الوقت دعوة لا تقل صراحة إلي تصحيح مسار الثورة بعد أن بدأت الأحقاد تعصف بها وتجرفها بعيداً عن أهدافها التي قامت من أجل تحقيقها. وكــان التصارع علي السُلطة قد صرف الاهتمام ولو جزئياً عن مصالح الشعب مما أدي إلي إشاعة جو يصعب في التمييز بين من يصلح، ومن لا يصلح فأصبح الإنســان يؤخــذ بجرم غيره أو بدون جُرم علي الإطلاق.. وكانت الإشاعات وحدها كافية للقضاء علي أي إنسان.. وكان يُساند هذا الجو الرهيب اعتقاد القادة بأن لهم الحق في أن يفرضوا علي البلد ما يشاءون بحجة المسْتبد العادل.. ولم لا أليسوا هم الذين صنعوا الثورة؟؟؟

كــان مــن الواضــح أن نشوي الحُكم قد بدأت برءوسهم فقسموا البلاد إلي مناطق نفوذ لهم ولمن يلتف حولهم من أقارب وأصدقاء، ومن الأمثلة الحية علي تلــك وزارة الخارجية التي جنت عليها الثورة فقد اتخذها عبد الحكيم عامر مقراً يُرسل إليه الضباط المتقاعدين حتى يتسني لهم أن يتموا بها سن المعاش الخاص بالمدنيــن وهــو ســن الستين... وعلي هذا المنوال سارت الأمور في كل اتجاه فليســت العــبرة بما يُفيد البلاد بل العبرة بمن سوف يستفيد من أقارب وأصدقاء

وأتـباع الحكام... وهكذا فقدت القيم، واستولت الحيرة علي الناس، فأصبحوا لا يعرفون ما سيأتي به الغد أو كيف سينتهي اليوم.

انتهي مجلس الثورة في ٢٢ يونيو ١٩٥٦ عندما انتخب جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية بالاستفتاء.. ولكن قبل أن ينتهي المجلس كان الشعور بالخوف قد عم البلاد... وهذا في رأيي أبشع ما يمكن أن يصيب الإنسان.. فالخوف يقتل الشخصية، ويشل الإرداة ويمسخ تصرفات البشر.

فهـل كـان أعضاء الثورة يُدركون ما فعلوا بشعب مصر ؟؟ لا أعرف... ولكـن الـذي أعـرفه أن الشـعب كان يُدرك تمام الإدراك ما يفعله حكامه به وبأنفسهم.. وليس أدل علي ذلك من النكتة التي انتشرت في تلك الأيام عبر البلاد مُعبرة أحسن تعبير عن رأي الشعب في قادته.

" كان فيه مرة ثعلب عدي الحدود ودخل ليبيا – مسكوه وقالوا له: إنت جاي هـنا لـيه، قـال لهـم أصلهم في مصر بيمكسوا الجمال... فقالوا له ولكن إنت ثعلب... ؟ فقال حلني علي ما يعرفوا أنني ثعلب".

نُقلت إلينا النكتة ونحن في مجلس الثورة فضحكنا طويلاً.. وكان الأجدر أن نعي ما تضمنته من إدانة الشعب لنا.. فنتدبر أمورنا قبل فوات الأوان ... ولكن هـل كان هذا في الإمكان بعد أن تغلبت العوامل البشرية علي المثالية التي بدأت بها الثورة فحجبت الرؤيا عن ذاتنا ؟؟؟ لا أعرف.

ولا تعليق

الزلزال

وزلــزل الحكــم بالســجن علي الشاب موسي عبد الله كيان الأسرة التي لم تعــرف عـــن الشـــجون غير اسمها... صحيح أن الجريمة سياسية وغير مخلة بالشرف لكنه السجن – وتغيرت الثوابت في نظام الأسرة وأصبح كل من أفرادها يهــرع لحجرته في صمت حتى بعد تناول الوجبات وكعادة الأسرة الشرقية فإن الأبــن الغائــب يُصبح الأسير والعزيز عند والديه مهما كان هناك أي عدد من الأبناء[1].

وكــم مــن مرات عديدة يتخيل الأب المكلوم الذي هده الحدث طيف ولده، ويســمع صــوته في جنبات المنزل الفسيح، أما جلساته مع أصدقاءه المعتادة فقد غابــت عــنها الــروح وحــل اليأس والقنوط محل الأمل والرضا وتوارت تلك اللقــاءات تماماً بعد أن أشيع بأن المكان مراقب من جانب الأجهزة الأمنية، وأن احتمال المداهمة واعتقال المجتمعين أمر وارد، وأصبح الرجل يجلس وحيداً أمام محله، وينصرف راجعاً لبيته بعد صلاة العشاء.

وأخيراً سمحت إدراة الليمان لأهالي السجناء بالزيارة وفي الموعد المحدد لم يتخلف أي من أفراد العائلة – وكان الرجل رابط الجأش وهو يري ولده بملابس السجناء لأول مرة، وكذلك كان الصاغ علي الشقيق الأكبر – أما الأم والبنات فقد غلبتهم المشاعر، وسالت وانهمرت دموعهن مدراراً حتى صاح فيهم علي قائلاً: وبعدين يا حجة ثم توجه بكلامه لشقيقاته وهو يقول ما يصحش كده إنت وهي ثم أردف هي حاجة ما حصلتش يا ما زيه محبوسين معاه، وزعماء البلد كلهم دخلوا السجن فالجرائم السياسية موش عيب وإن شاء الله الفترة مش حتطول ثم تساءل بصوت أقل حدة ومين من زعماء البلد ما تحبس، وتعمد أن يوجه كلامه لشقيقة السجين وهو يقول: أبسط يا سيدي وجودك في السجن ده بشرة زعامة يعني زيك زي أحمد ماهر، والنقراشي، ويوسف الجندي، وأحمد حسين، وإبراهيم باشا عبد الهــادي وكلهم شرفوا في السجون لما كانوا في سنك، وبعدين أصبحوا زعماء، ورؤســاء أحــزاب وعلــي رأي المثل موش السجن للجدعان قالها محاولاً رسم ابتسامة زائفة علي شفتيه وكذلك فعل الوالد

---

(١) سوئلت الأعرابية عن أعز بنيها العشرة إليها فقالت :

المريض حتى يشفى، والصغير حتى يكبر

والغائب حتى يعـــود

أحزان اليكنية

ومــع انــتهاء الزيارة رجع الجميع للمنزل الكبير وتناولوا طعام الغذاء في صمت، واستأذن علي في العودة لمنزله بمصر الجديدة ومع مرور الوقت اعتادت الأسرة علي الوضع الجديد، وبدأت حدة المشاعر المشحونة بالبكاء تخف بالتدريج بالنسبة لأخوة موسي أما بالنسبة للوالدين فكانت تزداد تأججاً وألماً.

وفــي الزيارة الأخيرة للحاج عبد الله لليمان كان صامتاً، يحاول جاهداً رسم ابتسامة باهتة علي شفتيه، وخاطبه موسي قائلاً: مالك يا حاج سرحان في إيه، أنا نفسي أشوفك زي ما كنت بشوفك دائماً من غير أي قلق ثم قال صدقني إحنا هنا مجموعــة مــن كليات مختلفة من الجامعة وبض طلاب المدارس الثانوية يعني مــوش أنــا لوحــدي المحبوس، والحمد لله بنأكل ونشرب ونقرأ القرآن الكريم ونصــلي في جماعة، وسوف يُسمح لنا بدخول الامتحانات يعني ما فيش مشكلة من أي نوع. ونظر الرجل الذي هزمه الحدث وقطع تسبيحه وهو يقول الحمد لله – الحمــد لله شــدة وتزول إن شاء الله، وانتهت الزيارة ورجع الجميع كالمعتاد للمنزل الكبير، وفي فجر اليوم التالي لاحظت الحاجة أن زوجها لم يبرح الفراش بعد فسألته قائلة:

مــالك يــا حــاج مانزلتش المحل زي عادتك ليه ؟ وأجاب الرجل بصوت ضعيف موش عارف نفسي غمة عليّ وحاسس بكرشة نفس.

الزوجة : سلامتك من كل رضي ثم مدت يدها بكوب من الماء.

قائلــة : أشــرب شوية يا حاج، وحاول الرجل الإمساك بالكوب فارتعشت يــده، فقامت الحاجة وجلست بجواره وهي توسد ظهره بصدرها ودفعــت بجــرعة من الماء بفمه، ولكن الماء رجع وانسال علي ذقــنه وصدره، وتمتم الحاج بكلمات غير مسموعة ومال برأسه للخلف وأسلم الروح.

وعلــي صراخ الزوجة الملهوفة فزع سكان المنزل والشارع والحي بأكمله وتساءل أحد باعة الفول فيه إيه فيه إيه ورد عليه آخر قائلاً: الحاج عبد الله تعيش أنت ثم قال لا حول ولا قوة إلا بالله صحيح الأعمار بيده ولكل أجل كتاب، ولكن بدون شك الراجل يا ولداه مات محسوراً علي ولده موسي. وكانت الجنازة كبيرة ومهيبة ولم تشهد اليكنية من قبل يوماً حزيناً باكياً مثل ذلك اليوم.

وداومت الأسرة المنكوبة بكل أفرادها علي زيارة ولدهم السجين، وحرصت سيدات الأسرة وآنساتها علي استبدالهن ملابس الحداد السوداء بالملابس العادية عند الزيارة لإخفاء نبأ وفاة الحاج عبد الله عن موسي، وكان لعملية استبدال الملابس هذه وقع شديد الألم علي الجميع والذين كانوا يبكون بحرقة أثناء ذلك علي المصيبتين. وفي كل زيارة كان من الطبيعي أن يسأل موسي عن أسباب تخلف والده عن زيارته فيكون الرد لا داع للقلق وهو بعافية شوية - والحاجة معه في المنزل للرعاية - وفي حالة وجود الحاجة للزيارة تتلخف إحدي الشقيقات بحجة الرعاية للوالد، ولكن شاءت إرادة المولي أن يصل الخبر لموسي عن طريق والد السجين محمد عفيفي الطالب بطب القصر العيني وجارهم في السكن حيث قدم العزاء لموسي في والده قائلاً "البقية في حياتك يا موسي أنا أتأثرت جداً مع باقي سكان اليكنية لوفاة المرحوم فلكل أجل كتاب ".

وأسقط في يد موسي وأخيراً عرف سر تأخر والده عن زيارته وخرجت عن صدره صرخة ارتج لها مكان الزيارة وهو يتساءل أبويا مات، أبويا مات وأمتي ده حصل ؟... ثم انخرط في بكاء شديد وبصوت مسموع واضعاً رأسه بين كفيه، وانهمرت دموعه أنهاراً وفشلت محاولات الزوار وزملاءه في التخفيف عنه بل وانفعل البعض وبكي معه وبعد قليل حضر للزيارة الشقيق الأكبر، وشقيقته وزوجها.

ولما رأي علياً أخاه ارتمي في صدره، وفاضت مشاعر الأخوين وموسي يردد معاتباً أخاه ويقول: كده برده يا علي أبويا يموت من ثلاثة أسابيع وأنا ما أعرفش وقال علي: الأعمار بيده سواء كنت أنت سجيناً أم طليقاً فلا تعذب نفسك، وإن ما حدث فقد حدث وأرجوك تاخذ بالك من نفسك في الأيام العصيبة ده لعل الله موجد لنا مخرجاً مما نحن فيه - وجلس الجميع في صمت حتى ميعاد انتهاء الزيارة واحتضن الشقيقان بعضهما، وودع علي شقيقه بعناق طويل وانصرف خارجاً بخطوات سريعة دون أي التفات للوراء، ولحقت به شقيقته نجية وزوجها عبد السلام وهما باكيان.

وفي المنزل الكبير بعد آذان العشاء سألت الحاجة علي قائلة: يا علي يا حبيبي الوقت متأخر قوي - فإذا كنت موش حتبيت معانا يبقي مع السلامة ومن غير شر علشان أنتو يا حبيبي مشواركم بعيد وهرعت لأحفادها لتقبيلهم.

علي : ما قدرش أنام هنا العربية بتأتي الساعة ٦ صباحاً هناك، وكذلك ملابسي العسكرية، ومدارس الأولاد كله هناك.

الحاجة : كده مع السلامة وما تحملش همنا إحنا بخير.

وهناك في المنزل الصغير بمصر الجديدة، والذي خيم عليه الحزن أيضاً، وبعد أن أستبدل علي ملابسه أخذ يداعب أولاده في حنان كبير ثم خاطبهما قائلاً: ميـن حيدي بابا بوسة قبل النوم وأسرع إليه الصغيران كلاهما يود تقبيله أولاً.. وبعدها سأل ليلي.

قائلاً : إيه النشيد الجميل ده يا ليلي اللي كنت تتشديه وأنتي عند نينا.

وقالـت الصغيرة ده نشيد أخذناه في المدرسة، ومُدرسة الأناشيد حفظته لنا في حجرة الأناشيد.

علـي : وقـد حملها، وشقيقها متجهاً بهما لمخدعيهما قال: أنا عايز أسمع النشيد وأنا شايلك كده علي ذراعي.

ليلي : في صوت كله براءة وكأنه آت من الجنة.

يابـن مصـر ... يا بن من شادوا الهرم

يـا حليـف المجـد ... مـن عهـد القـدم

سُـدكما سـاد ... الكـرام الأولـون

وامضـي للعليـاء ... لا تخشـي المـنون

وإحـذر اليـاس ... فكـم صـعب يهـون

والمنـي تأتـي ... وراء الطلـب

مصـرنا بالخـير ... جـنات النعـيم

نيلـنا بالخصـب ... فيـاض عمـيم

فـي رُباتـا ... آيـة المجـد القـديم

كيـف لا نسـموا ... لأعلـي الرُتـب

علـي : الله جميل قوي، ثم وضعهما في مخدعيهما بعد أن أمطر وجهيهما الصـغير بالقبلات – وعاد لمكانه المفضل في الفراندة الفسيحة المطلـة علـي حديقة كبيرة وما أن اختلي بنفسه حتى فاضت الدمـوع من عيونه أنهاراً. ومع ذلك فقد كان يتردد في أعماقه صوت صغيرته وهي تقول:

إحذر اليأس فكم من صعب يهون

إحذر اليأس فكم من صعب يهون

إحذر اليأس فكم من صعب يهون

فهدأت نفسه، ومسح دموعه بيده وتوضأ وصلي العشاء، وبعد الصلاة انهمك في ترديد كلمة الحمد لله – الحمد لله حتى دخلت سعاد الفراندة وهي تدفع أمامها عربة الشاي وعليها طعام العشاء.

وقالت : ما تمد يدك يا علي وتأكل إنت ما أكلتش حاجة من صباحية ربنا، وأثناء الغذاء أنا كنت واخدة بالي منك كويس، ما كنتش بتأكل وجلوسك علي المائدة كان مجرد شكل لكسر حدة الحُزن والوجوم.

نظر علي إليها ولم يعلق وبدأ في تناول عشاءه في صمت ثم قال: وهو يمسك بيده كوب الشاي يا سعاد فيه حاجات من المهم إنك تعرفيها لتستعدي لها تجنباً للمفاجآت.

سعاد : وقد بدت عليها الدهشة خير يا علي فيه إيه أتكلم علي طول أنت كده خوفتني.

علي : إن شاء الله ما فيش خوف – ولا حاجة وحاول أن يتماسك وهو يقول بألم شديد بدون شك فإن أيامي في الجيش أصبحت معدودة والإحالة للاستيداع موش حتكون بعيدة.

سعاد : وقد امتقع وجهها بصفرة غريبة علي الوجه الوردي وهي تُردد كلمة اسَتيداع.

علي : مؤكداً – نعم الاستيداع.

سعاد : غريبة ثم تساءلت استيداع لمن لك أنت وأضافت لضابط من أكفأ الضباط وزي ما بسمع عنك أن تقارير القادة عنك ممتازة، والفرق العسكرية اجتزتها بتفوق هذا بالإضافة لحصولك في ميدان القتال بفلسطين علي نجمة فؤاد الأول العسكرية وهي أعلي وسام عسكري بالجيش.

علي : قد يكون ما ذكرتيه صحيح – فالأمر اليوم لم يعد أمر كفاءة إنما أصبح أمن وأنا اليوم من وجهة نظر الثورة وكذلك الضباط الذين لهم نفس ظروفي خطر علي أمن النظام.

سعاد : يا سلام للدرجة ده ثم قالت إزاي يعني.

علي : الموضوع ده واضح فأنا لا أستطيع التنكر لإنتمائي للوفد وذلك شيء يعرفه الجميع – والحزب تم حله مع غيره من الأحزاب،

وأعضــاءه غير مرضي عنهم باستثناء من هرولوا لتنظيم الثورة المسمي بهيئة التحرير هذا من ناحية – ومن ناحية أخري شقيقي المســجون الآن المنتمــي لجماعــة الأخوان المسلمين ألدّ أعداء الــثورة بعد حادثة المنشية، وأضاف لذلك في ظل هذه الظروف مجــتمعة لابــد أن أتوقع الإحالة للاستيداع فإذا لم يكن بالنشرة العسكرية القادمة ففي التي تليها علي أقصي تقدير.

سعاد : تقول وهي ساهمة غريب للغاية ما أسمعه ثم قالت سلمها لله، وبلاش تشاؤم ومين عارف ما قد يخبأه الغد وربك خلاف الظنون

علــي : قائلاً ونعم بالله ثم تنهد تنهيدة كبيرة كلها ألم وقال: محاولاً التخفيف عــن زوجــته ما تسيش أنني مهندس، ومجالات العمل موجودة مــثلاً فــي مجال المقاولات وأنا مطمأن من الناحية ده فالأرزاق بــيده ومافيش قلق كما يوجد احتمال آخر وهو أن يلحقني الجيش بعمــل مدنــي كما حدث لزملاء أُحيلوا للاستيداع وأكرر مسألة الشغل هذه لا تسبب أي قلق.

سعاد : أمال أيه هو الذي يسبب كل هذا القلق البادي علي وجهك.

علــي : ترك الخدمة العسكرية في ذاتها فقد أحببت بل عشقت العمل وسط الجنود، وبداخل التشكيلات العسكرية في ذلك المناخ الذي أشرفت فــيه علــي الشهادة في معارك ١٩٤٨ ومُنحت لذلك أرفع وسام عسكري كما يعرف الجميع – ثم قال والإنسان مننا في مثل هذه الأمــور غير مُخير – ثم أضاف قائلاً علي رأيك لا داع لاستباق الأحــداث وثقتي في الله سبحانه وتعالي بلا حدود وقال: أيضاً يا سعاد أنا في غاية الإجهاد واستأذنك للنوم. ثم قال: تصبحي علي خير، ودلف لمخدعه، تاركاً سعاد بالفراندة وحيدة مع أفكارها في هدوء الليل ونسيمه الرطب.

الليمان

ومضـــت الحياة بطيئة وعصيبة داخل الليمان أو سجن طرة بالنسبة للشاب موسي عبد الله، وفي إحدي أيام شتاء ١٩٥٥ الباردة وفي الفترة القصيرة، والتي كـــان يُســـمح فـــيها للسجناء بالتريض لدقائق، وبينما كان موسي اوأحد زملاؤه يتريضان لمحا رجلاً ضخم الجثة بشوش الوجه يجلس وحيداً، ويدخن سيجاراً في هدوء وسلام وسأل موسي زميله عن الرجل قائلاً: هل رأيت الرجل من قبل.

السجين : الوجه ده أنا موش عارفة ولست مُتذكره.

موســـي : يعنـــي مـــوش عارفه إنه فؤاد باشا سراج الدين السكرتير العام لحزب الوفد، ووزير الداخلية الأسبق، وصاحب المواقف البطولية في معركة القتال •

الســـجين : يُعـــيد النظر ويتأمل الرجل الجالس ويقول فعلاً – إنه فؤاد باشا ربمـــا تكون ملابس السجن غيرت من ملامحه ثم يخاطب زميله قائلاً: أنظر الرجل يجلس في صمت، وشموخ ولم نسمع أنه تبرم من المعاملة أو اشتكي اللهم إذا كان ذلك في شكل مناجاة مع ربه – ويضـــيف الشاب السجين أنني أذكر ما كانت تنشره الصحف عـــن محاكمته وقول القاضي له " نحن لا نشك في نزاهتك ومع ذلـــك صدر الحكم ضده بالسجن ١٥ عاماً ن وها هو الآن زميلا لـــنا في هذا البلاء وقال لزميله: هيا بنا نقترب منه – فلما رآهما الـــرجل نهض بأدب شديد ومد يده للسلام ثم سألهما هل أنتما من الشـــباب الوفدي ؟ وأجابا في نفس واحد بالنفي، وقالا نحن ننتمي لجماعـــة الأخـــوان المسمين، ونحن طالبان بحقوق فؤاد الأول، وطب القصر العيني•

الباشا : لا فرق فكلنا مصريون، ثم سألهما ما هذا اليأس والانكسار الذي لا أخطأه في وجهكما.

أجابا في نفس واحد وهل ما نحن فيه من كرب وعذاب يدعو للـــتفاؤل " ثـــم قال موسي عبد الله يا معالي الباشا الحياة هنا كما خبرتها معاليك فوق طاقة الاحتمال وعن نفسي لا أتصور قدرتي علـــي احتمال الحياة في هذا الجحيم لخمس سنوات المحكوم عليّ بها.

الباشا : أعلم وأسأل الله أن يجد لنا جميعاً مخرجا مما نحن فيه ثم قال ومع ذلك رجائي أن تتقبلوا السجن كواقع لا فرار منه، وحاولا إحضار الكتـــب والمذكرات وأنا أعلم أن لوائح السجون تسمح بذلك حتى يمكن إنقاذ ما يمكن إنقاذه.

الشاب السجين: استنكار في ذلك المناخ وهذا المكان فذلك هو المستحيل.

الباشا : لا مستحيل ولا غيره بالإرداة كل شيء يهون. إن شاء الله مُمكـــنٍ وأضاف فترة السجن بدون شك صعبة، لكن الشدائد مهما طالت تصقل معادن الرجال.

موسي : ضاحكاً كأنك سعيد لوجودك هنا معالي الباشا.

الباشـــا : موش لهذه الدرجة وأضاف وأين نحن من كل الذين سبقونا في هذه التجربة وقبل كل هؤلاء نبي الله يوسف عليه وعلي رسولنا أفضل الصلاة والسلام ثم قرأ:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قَـــالَ رَبِّ السِّـــجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾. {٣٤ يوسف}..

الشـــاب السجين : يا معالي الباشا هذا نبي الله مرسل وأين نحن من صبر الأنبياء.

الباشـــا : بلاش الأنبياء – معظم زعامات الوفد وغيرهم ابتداء من الزعـــيم سعد باشا زغلول خاضوا تجربة النفي والسجن أو الاعـــتقال وكانوا في كل مرة يخرجون من التجربة أكثر صلابة.

موســـي : ضاحكاً اعتقد لو كانت تجربتهم في هذا الليمان، ووجدوا نفـــس المعاملـــة التي نلقاها هنا – كانوا غيروا رأيهم.. واشترك ثلاثتهم في الضحك.

الباشا : غداً ألقاكم إن شاء الله أكثر تفاؤلاً.

الشاب السجين: من أين يأتي التفاؤل أنا لا أتصور وجودي هنا خمسة أشهر وليس خمس سنوات ثم قال الله يرحمك يا شوقي بك.

الباشا : متسائلاً وما دخل أحمد شوقي فيما نحن فيه ؟

الشاب : منذ أسبوع وأنا أردد في اليقظة وفي المنام أحد أبياته من مسرحية مصرع كليوبطرة.

الباشا : وما هو.

الشاب : حياة الذل تدفع بالمنايا[1].

تعالي حية الوادي تعالي

الباشا : في غضب ولكن بلهجة أبوية يقول للشاب: أتق الله يا ولدي، وأترك الوساوس بعيداً فجميع الأديان تحرم قتل النفس، وتحرم الانتحار والعياذ بالله لأن في ذلك سخط علي قضائه أما كليوبطرة فلم تكن تعرف ذلك بحكم وثنية ذلك الزمان.

موسي عبد الله: إنها ذلة لسان يا باشا فلا تؤاخذه عليها.

الباشا : يغفر الله لنا جميعاً، وبذكاء شديد استطاع أن يحول الحديث إلي محاضرة في التاريخ، والأدب فقال هل تعرفان المصير الذي كان ينتظر كليوبطرة في روما إذا وقعت في الأسر.

الشابان : ما هو.

الباشا : كانت ستعرض كسبية في الميدان العام في روما أمام الشعب الروماني وقادته – موثوقة اليدين تجري خلف إحدي العجلات الحربية – كانت هذه تقاليدهم مع الملوك الأسري، وكانت هي تعرف ذلك ولهذا لم تتردد في الخلاص من حياتها تجنباً لمهانة الأسر وذله، وهي الملكة العظيمة.

ثـم توجه بحديثه للشاب متسائلاً هل تحفظ القصيدة أو بعض أبياتها، ولما أجاب الشاب بالنفي قال من حسن الحظ أنني أتذكر بعض الأبيات وقال:

هلمي إلـــي منقـــذي هلمي	وأهلاً بالخلاص وقد سعــي لي
سطت رومــا علي ملكي ولصُت	جواهــر إسـرتي وحـلي آلي
فرمت المــوت لم أجـبن ولكن	لعل جـلاله يحـمي جـلالي

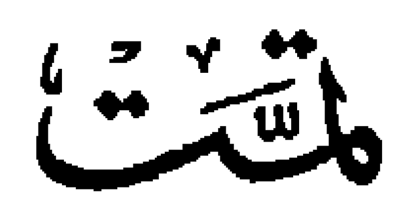
(١) مفردها منية أي الموت – وفي البيت إشارة لانتحار كليوبطرة بسم الأفعي.

فلا تمشي روما علي تاجي ولكن	علي جسـد ببطن الأرض بالي
أأدخـل في ثيـاب الـذل روما	وأعرض كالسبي علي الرجال؟؟
وأحـدج بالشـماتة عن يمينـي	ويعرض لـي التهكم عن شمالي
أمـوت كما حييت لعرش مصر	وأبـذل دونه عـرش الجمـال

الباشا : هذا ما تذكرته من القصيدة.

الشابان : ما شاء الله علي الذاكرة يا باشا.

ومع غروب الشمس دوي النفير معلناً انتهاء وقت التريض. ودخول السجناء للعـنابر والزنازين فتبادل الأصدقاء التحية ومضي كل منهم لزنزانته في صمت وهدوء.



الخـــاتمة

والآن وقـــد انتهيت من تسجيل خواطري بالكتابة عن فترة زمنـــية عزيزة علي نفسي، والتي هي في نفس الوقت من أهم فـــترات تاريخ مصر الحديث لأنها كانت نهايات عهد، وبدايات عهـــد كمـــا شهدت أحداثاً جساماً وللأسف لم تكن تعبيراً علي إرادة مصر بقدر ما كانت تعبيراً عن إرادة الحاكم – وقد حاولت بقـــدر الإمكـــان التدليل علي أن تارخ مصر الحديث لم يبدأ من ٢٣ يولـــيو ١٩٥٢ لأن فـــي ذلـــك إهانة لتاريخ أعظم شعوب الدنيا، كما حاولت تصوير العصر كما عايشته الأمر الذي جعلني الآن فـــي قمة سعادتي لأنني عشت أحداث ذلك العصر مرتين، المـــرة الأولـــي منفعلاً بها، ومشاركاً فيها بقدر ما سمحت لي الظـــروف، والمـــرة الثانـــية عشتها بقلمي مدوناً لها أما سر ســـعادتي بذلـــك فهـــي أنها أعادتني صغيراً مرة أخري لمنزلنا باليكنـــية حيـــث طفولتي المبكرة بمدرستي ولي العهد الملكية، والارتقـــاء أو كـــتاب الشيخ صالح كما كنا نطلق عليه وعشت أيضـــاً بدايـــات الإحســـاس بالإنـــتماء وبإشتراكي مع أقراني بالمدرســـة الأولـــية في مظاهرات عام ١٩٤٦، واضعاً شعاراً معدنـــياً علي صدري مكتوب عليه " الجلاء بالدماء " مطالبين الإنجليز بالجلاء عن القاهرة، كما تظاهرت ضد مشروع معاهدة صدقي بيفن وأنا في نفس المرحلة العمرية – كما عشت أجمل أيام الديمقراطية في أوائل عام ١٩٥٠ مع وصول الوفد للحكم، وكذلك أيام المجد بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦ ومعارك القنال – أما آخـــر عهدي بتلك الفترة فمتظاهراً من وفق كوبري قصر النيل مـــع أقراني طلاب المدارس الثانوية في مارس ١٩٥٤ ونحن نهتف:

" إلي ثكنات رجال الجيش "

وأكـــرر فإنني في هذه الخواطر عشت الماضي ولا أعرف المصـــير الذي ينتظرها - فربما ظلت حبيسة أدراج مكتبي، أو وقعـــت مصـــادفة فـــي يد صغير عابث من أحفادي أو وجدت طريقها لبائع الروبابيكيا. بعد تصفية مكتبي من بعدي فكل تلك الاحـــتمالات واردة.. لكنني سوف أكون أكثر راحة، وسعادة لو وجدت تلك الخواطر طريقها للنشر وبذلك يكون هدف كتابتها قد تحقـق، ولا ســـيما لو تزامن ذلك مع تحقيق الأمل الذي عاش جيلـــنا وأجـــيال سبقته تحلم بتحقيقه في حياة كريمة آمنة لكل المصـــريين فـــي ظـــل نظـــام حكم ديمقراطي يكون فيه الناس سواسية، وحكومات متداولة للسُلطة ومسئولة أما مجلس نيابي مُنتخـب بـــإرداة حـــرة، يراقب السُلطة التنفيذية، ويحاسبها، ويشرع لها، ويعود وطني مرة أخري صاحب اليد العليا لكل من يحاوره.. واســـأل نفسي هل هذا الأمل ما زال قابلاً للتحقيق، وبكل الإيمان والثقة في الله أقول، وما ذلك علي الله بعزيز

فوزي فراج

فهرس

رقم الإيداع: ١٣٧٤١/ ٢٠٠٥
الترقيم الدولى: 977-5378-51-6

عطر الماضى

الكتاب يمثل فترة من أخصب تاريخ مصر الحديث، والتى تبدأ من مطلع الأربعينات حتى منتصف الخمسينات من القرن الماضى والغرض من الكتاب هو إلقاء بصيص من الضوء على رموز شريفة من أبناء مصر، أعطت بتجرد وإيثار، وبغير حساب، وجميعهم الآن فى رحاب رب كريم وفى غير حاجة لكلمة إنصاف منى أو من غيرى بعد أن ظلمهم للأسف التاريخ المزيف، والإعلام الحكومى الموجه لتجاهله لبعضهم عن عمد أو جهل، وبإهالته التراب على تاريخ البعض الآخر لمجرد أنهم كانوا يحملون رتب الباشاوية أو البكاوية قبل يوليو ١٩٥٢م.

وقد نهجت فى تسجيلى للأحداث الشكل الروائى والوصفى كما رأيتها وتعاملت مع بعضها عن قرب، والبعض الآخر حققته من مصادره المشار إليها مع الوصف التفص
للأماكن التى كانت مسرحاً لها، وذلك فى محاولة متوا
لتصوير المناخ السياسى والاجتماعى لتلك الفترة للأ
التى لم تعاصرها ومعلوماتهم عنها مصدرها الإعلام الحك
المرئى..

